مجلة مركز التخطيط الفلسطيني

تصدر عن دائرة العمل والتخطيط الفلسطيني

السنة السابعة عشرة – العدد 56-57 يناير 2020

مدير التحرير

د. خالد شعبان

سكرتير التحرير

د.غادة حجازي

إشراف فني :

أ. أحمد الطيبي

إعداد وتنسيق:

محمد حمودة

سهير نصر

سائدة أبو شقفة

هيئة التحرير

د. عبد الحكيم حلاسه

أ.جمال البابا

أ. مطيع بسيسو

أ.زهير عكاشة

رئيس التحرير

أ.عاطف المسلمي

ملاحظة / لا يجوز طبع أي جزء من هذه المجلة أو خزنه في أي نظام معلومات أو استعماله بأية وسيلة إلا بإذن من دائرة العمل والتخطيط الفلسطيني.

الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء الدائرة

المحتويات

دراسات

مشاريع تهويد القدس بلدة سلوان "أنموذجاً" 1967-2018م.....	د. إلهام شمالي	5
تنمية تقدير الذات وتحسين صورة الجسم لدى مُصابي عدوان 2014.....	د.غادة حجازي	38
التحديات الدبلوماسية الفلسطينية في أروقة الجامعة العربية.....	أ.صالح المصري	91

تقارير

تحليل نتائج الانتخابات الإسرائيلية للكنيست 22.....	د.خالد شعبان	112
اتجاهات تصويت فلسطينيي 48 في انتخابات الكنيست.....	أفيصل مغاري	124
أزمة إيرادات المقاصّة المتكررة: السياق السياسي والتداعيات الاقتصادية.....	أ.رائد حلس	142

ترجمات

الانقسام المستمر مشاركة الأقلية الفلسطينية في الانتخابات الاسرائيلية..... أ.زهير عكاشة 164

دراسات

مشاريع تهويد القدس بلدة سلوان "أنموذجاً" 1967-2018م

د.إلهام جبر شمالي

الملخص:

إن ما يدور في سلوان يعد صورة مصغرة لما يدور في بقية أحياء القدس، بفعل الممارسات التي تنفذها الجمعيات الاستيطانية في مدينة القدس المحتلة بتغطية من بلدية الاحتلال، وتعمل جميعها بشكل جاد لفرض سياسة التهويد """الإسرائيلية"" على تلك الاحياء من أجل تحقيق أهدافها بزيادة أعداد المستوطنين اليهود، الذين يتغلغلون في البلدة، من خلال اجراءات مجحفة وسياسة التمييز العنصري بحق أهالي بلدة سلوان والأحياء الأخرى.

ويندرج ذلك تحت غرض إعطاء شرعية لتهجير أهالي سلوان، وتوطين المستوطنين في الحي، مما يعني اعتبار الوجود الفلسطيني في سلوان وجود مؤقت ليس له امتداد تاريخي.

المقدمة:

تبنت حكومة الاحتلال منذ احتلال الجزء الشرقي من القدس عام 1967م، سياسة ممنهجة واضحة إزاء المدينة، تمثلت في توطيد السيطرة الصهيونية على البلدة القديمة ومحيطها؛ لتعزيز وحدتها المادية، والحؤول دون تقسيمها؛ الأمر الذي شكل ركناً أساسيا في الإجماع الصهيوني، وتجسدت سياسة التهويد في جملة من القرارات والإجراءات، و في الخطط والمشاريع الاستيطانية المكثفة التي طالت أحياء المدينة، ومنها حي سلوان، تمثل ذلك في الاستيلاء المنظم على الأراضي والعقارات العربية فيها، وقد بلغ التهويد مبلغاً خطراً في الآونة الأخيرة، مع استمرار أعمال الحفريات والتنقيب الأثري بدعاوى توراتية مزعومة .

فقد رفضت حكومة الاحتلال الاعتراف بأن مشكلة التهويد مشكلة سياسية، واعتبرتها مشكلة تتعلق بأفراد يشترون عقارات، ويسكنون فيها، ولكن إذا كان محور الصراع هو المسجد الاقصى فالسيطرة المباشرة على الأماكن المجاورة يعني السيطرة على المنطقة ككل، فمنذ احتلال قرية سلوان عملت الجماعات الاستيطانية اليمينية على تعزيز وجودها فيها في محاولة لتغيير الطابع الديمغرافي والديني فيها. عبر ادعاءات كاذبة ووسطاء وتهديدات عنيفة، حيث واجه اهالي سلوان حملات منظمة من التهجير والاقتلاع المتواصل من الجمعيات الاستيطانية بمساندة بلدية الاحتلال بشكل متواصل من خلال إخطارات هدم البيوت، وتغلغل المستوطنين داخل المنطقة وفي بيوتهم دون أي رادع.

أولاً: الاسم والمعنى:

سلوان مشتق من الكلمة الآرامية سيلون"Sillon"، وتعني الشوك، أو العليق، أو الجريان[1]، وتعود للجذر السامي سلا، أو شلا بمعنى الهدوء،

والسكون، والعزلة[2]، وقد يكون الاسم العربي الحالي تحريف للاسم الأرامي الذي ورد في الانجيل :" وقال له: اذهب اغتسل في بركة سلوام الذي تفسيره المرسل "[3] فحل حرف النون بدل الميم.

ربما يكون لسلوان علاقة بكلمة شيلوح، المشتقة من الفعل العربي شلاح، بمعنى أرسل أي المياه أرسلت إلى هذا المكان كما ورد في أية الإنجيل؛ إلا أنه من المستبعد أن تكون سلوان مشتقةً من شلحون؛ لاستحالة قلب حرف الحاء إلى نون أو ميم[4]، فالاسم سلوان كلمة كنعانية " شيلوه" بمعنى مستخرج أو مستنبط وهي مشتقة من المادة السامية العامة" س ل و" التي تأخذ معنى الانطلاق والإفلات، وبذا تكون الكلمة دالة على الماء المستخرج من الصخر، خاصة إذا علمنا أن الماء أصعد في نفق داخل الصخر؛ ليصب في بركة داخل أسوار مدينة القدس[5].

تعد بلدة سلوان من أكثر أحياء القدس ازدحاماً بالسكان الذين بلغ عددهم نحو 57.530 نسمة عام2016م[6]، بينما تبلغ مساحتها 5.421 دونماً[7]، منها 1421 دونماً تمت مصادرتها عام 1948م، ويقيم أهالي سلوان على مساحة 1610 دونمات[8]، وتعرض الحي لإهمال من الاحتلال بشكل متعمد، فأكثر من 40%منهم عاطلون عن العمل، وبحسب معهد أريج يجذب سوق العمل الإسرائيلي 75% من القوى العاملة في سلوان، وحوالي70 % من الطلاب يضطرون يومياً إلى مغادرة بلدتهم والذهاب للمدارس المجاورة؛ نظرا لعدم توفر المدارس الكافية [9].

تضم سلوان العديد من المعالم الأثرية، حيث اتخذها النساك والرهبان مسكنا لهم منذ القرن السابع الميلادي[10]، وتوجد في سلوان ثلاثة مساجد هي: مسجد عين سلوان، ومسجد بئر أيوب، ومسجد عين اللوز، ومن أهم الاماكن الدينية المسيحية دير بطرس "صياح الديك"، دير المشنقة، الكنيسية اليونانية، ودير سيدنا إبراهيم، دير يوحنا المعمدان، والكنيسة اللاتينية[11]،

وقبر زكريا[12]، كما يوجد مواقع أثرية في منطقة جورة العناب، ووادي قدرون، وطنطور فرعون[13].

وقد أدى هذا الموقع والقرب من المسجد الأقصى والبلدة القديمة إلى تعدد المخططات الاستيطانية؛ لاستهداف الحي وإفراغه من أصحابه، لمحاولة محو تراثه وأصالته العربية ؛ الإسلامية والمسيحية وخلق تاريخ يهودي مزعوم في قلب أكثر المناطق أهمية في مدينة القدس من منطلق ديني، ثم استيطاني بشكل منظم ومحبوك من المنظمات والجمعيات الاستيطانية.

ثانياً استيطان حي سلوان:

شكّل بلدة سلوان خط الدفاع الأول للمسجد الأقصى من الجهة الجنوبية؛ كونه يمثل –حسب المزاعم الصهيونية–" مدينة داوود"14 التي نزعها الملك داود من اليبوسيين، وجعلها عاصمة له،15 ولتسهيل عملية الاستيطان والتهويد؛ قسمت بلدية الاحتلال البلدة بعد احتلالها عام 1967م، إلى تسعة أحياء صغرى؛ لفرض السيطرة عليها، وضمت: وادي قدوم، ورأس العمود، وعين اللوز، والثوري، والشياح ، ووسط البلدة، وحارة التنك، وبير أيوب، وحارة اليمن، والبستان، ووادي حلوة، ووادي ياصول16.

إن تفتيت بلدة سلوان بتلك التقسيمة هدفها قطع العلاقات الاجتماعية وبين الأهالي وتشتيت المقاومة المقدسية لما يجري في أحيائها عبر فصلها بعضها عن بعض، ومنع أي تواصل بين الأحياء التسعة؛ الأمر الذي رفضه أهالي سلوان؛ كونهم يعتبرون أنفسهم حياً واحداً.

رفضت بلدية الاحتلال استيطان الأحياء العربية؛ خشية حدوث صدمات بين العرب والمستوطنين؛ ما يؤدي لحدوث صراع ديني في المناطق المحيطة بالمسجد الأقصى؛ الأمر الذي يستدعي تدخلاً دولياً وهو

ما ترفضه دولة الاحتلال[17]، وبعد أن عززت دولة الاحتلال سيطرتها على الحي، بمصادرة 73 ألف دونم الممتدة إلى الشرق من الخان الأحمر "خان السلاونة" عام1967م[18]، أقيم عليها تجمع استيطاني، ضم مستوطنتي (معاليه أدوميم، وميشور أدميم)؛ لتشكلا طوقاً استيطانيا حول مدينة القدس من الجهة الشرقية[19] .

انتقلت المخططات الاستيطانية من السيطرة على الأراضي إلى الاستيلاء على العقارات في بلدة سلوان منذ أن تولى حزب الليكود الحكم عام 1977م، الذي مّكن المستوطنين من الاستيطان على أي بقعة رغبوا بها، حيث بدأ بتخصيص ميزانيات خاصة للسيطرة على العقارات في بلدة سلوان وأحيائها، فمّثل استيطان سلوان الطوق الثاني[20] للسيطرة على مدينة القدس عبر مخطط الحوض المقدس[21].

واتبعت الجمعيات الاستيطانية كافة السبل للسيطرة على عقارات سلوان وممتلكات الموطنين ومصادرتها وغرس البؤر الاستيطانية فيها، حتى وصل عدد المستوطنين نحو 400 مستوطن وسط أكثر من 57.000 نسمة[22]؛ مما شكل خطرا محدقا على النسيج الاجتماعي للسكان، حيث استخدمت تلك الجمعيات كافة الوسائل، وتلاعبت بالقوانين التي سهّلت سيطرة أعضائها على أكبر عدد ممكن من العقارات في سلوان[23].

وقد تعددت مشاريع دولة الاحتلال والجمعيات الاستيطانية لتهويد بلدة سلوان، وكان أهمها:

1- الحوض المقدس وتهويد بلدة سلوان:

طرح مشروع الحوض المقدس[24] في تسعينات القرن العشرين، الذي هدف لعزل البلدة القديمة عن محيطها العربي والإسلامي؛ كي يسّهل وصلها مع البؤر الاستيطانية المقامة في الأحياء الفلسطينية المتاخمة للبلدة

القديمة[25] ، وشمل الحوض البلدة القديمة بكاملها وأجزاء واسعة من الأحياء والضواحي المحيطة بها مثل: حي الشيخ جراح، وحي وادي الجوز في الشمال، وحي الطور في الشرق، و بلدة سلوان من الجهة الجنوبية[26]، وتبلغ مساحة الحوض 2.5كم2، وتضمن المشروع إنشاء مدينة أثرية مطابقة للوصف التوراتي" لمدينة القدس" أسفل المسجد الأقصى[27]، وإحلال المستوطنين مكان المقدسيين؛ لخلق نوع من التواصل الجغرافي بين الحي اليهودي في البلدة القديمة في القدس والمستوطنات[28] في منطقة الحوض، بالإضافة لتقويض نشاط السلطة الفلسطينية في المدينة، ومنع تقسيمها؛ نتيجة فشل مفاوضات التسوية عام 2000م؛ ويهدف المشروع إلى ضم القدس بشكل كامل تحت غطاء ديني، عبر السيطرة الفعلية بإقامة مستوطنة معاليه زيتيم في رأس العامود، ووضع اليد على بيوت متباعدة، ثم الربط بينها كما يجري في وادي الحلوة، باستخدام المواقع الأثرية والتاريخية والأنفاق كآلية السيطرة الإضافية كما يحدث في ما يسمى مشروع "مدينة داوود"[29].، وانتهاء ببناء الحدائق التوراتية[30] في بلدة سلوان، حيث يبلغ عدد المنازل التي سيتم هدمها نحو 97 وحدة سكنية لإقامة حديقة داوود[31].

هكذا يطبق مشروع الحوض المقدس على حي سلوان، ويتم تهويدها في إطار أخطر المشروعات التهويدية التي تحاك ضد مدينة القدس وفق مزاعم دينية وادعاءات مزيفة، لكنها تستند إلى منطق القوة والاستفراد، التي يتعرض لها الحي من عدة جهات استيطانية، أخذت على عاتقها الإسراع في تنفيذ مشروع الحوض المقدس على أرض الواقع.

فبناء الحدائق التوراتية يعد شكلاً أخر من أشكال الاستيطان في أحياء القدس، بحجة إنشاء رموز دينية تعويضاً لفشل الرواية "الإسرائيلية" بوجود أثار يهودية في حي سلوان، وهي عبارة عن متاحف مليئة بنماذج وشعارات ومجسمات ورموز مما وصفته أو تحدثت عنه التوراة، على اعتبار

أن ذلك سيمنحهم وجوداً دينيا في المدينة، بالرغم من فشل كافة عمليات التنقيب الأثري32

كما خطط لتوسيع الرقعة الجغرافية لمنطقة الحوض المقدس، عبر إقامة مستوطنة كدمات تسيون المشرفة على سلوان عام 2004 م، وكذلك بناء عدة وحدات سكنية وكنيس يهودي، إلى جانب بناء 17 مستوطنة حول البلدة القديمة تمتد من الشيخ جراح حتى رأس العامود، وهي منطقة تحولت إلى مواقع جذب للجمعيات الاستيطانية التي يمولها الملونير اليهودي الأمريكي " ايرفينغ موسكوفيتش"[33].

يمكن القول: أن المخططات التهويدية لا تنحصر هنا بالسيطرة على الأرض والإحلال السكاني، بل تتضمن عملية تهويد شاملة؛ أي شطب كل ما هو عربي وإسلامي واستبداله بالهوية اليهودية، وترحيل أكبر عدد من المقدسيين عن الحوض المقدس والبلدة القديمة، والأهم من ذلك إحداث تواصل جغرافي بين البؤر الاستيطانية في البلدة القديمة، ومحيطها و خارج مدينة القدس.

2- مشروع القدس الكبرى وسلوان:

بدأ التخطيط لمشروع القدس الكبرى منذ عام 1993م؛ لتعزيز مكانة القدس كعاصمة للكيان "الإسرائيلي"؛ كي يتم الترويج لها وكأنها مدينة عالمية برواية توراتية صهيونية تنفي أية صلة للمسلمين في المدينة، إلى جانب خلق تواصل بين المستوطنين وربط المستوطنات خارج حدود بلدية القدس مع داخلها عبر ممرات استيطانية، وتقليص التقارب والتواصل بين الفلسطينيين، وفصل المناطق الفلسطينية عن بعضها البعض، وتحقيق أغلبية يهودية في القدس، وضم المشروع بلدة سلوان من خارج البلدة القديمة، وقد تبنت الخطة الهيكلية 2000مشروع القدس الكبرى، التي قضت

بهدم وإزالة أكثر من 100 بيت تسكنها أكثر من 140عائلة في حي سلوان؛ مما يعني تشريد حوالي 1000 فلسطيني من سلوان [34] .

من أهداف المخطط اقتلاع العرب "وإحلال مكانهم اليهود؛ لتصبح المدينة يهودية خالصة كما رآها الآباء قبل 3000 عام"؛ لذلك تستمر أعمال الحفريات وبناء المستوطنات على أراضي سلوان، وفي رأس العامود " معاليه زيتيم"، وتتسارع عمليات الاستيلاء على البيوت والعقارات في وادي حلوة؛ بغرض خلق تواصل جغرافي بين سلوان عن طريق شبكة من الأنفاق، إذ يوجد في سلوان نفق يربط بين مسجد عين سلوان، ووادي حلوة، يتم تنفيذه؛ ليصل إلى المسجد الاقصى.

3- مشروع واجهة القدس:

تمحور مشروع واجهة القدس حول إقامة مجموعة من المباني والمرافق السياحية، والسياحية الدينية، والجسور، والانفاق، والساحات الترفيهية؛ لإحكام القبضة الاستيطانية على المواقع الأثرية وتعزيز ربط اليهود" بأرض الأجداد!"، وتغيير ملامح البلدة القديمة، وتنفيذ مشروع الحوض المقدس، الذي تضمن تطوير منتزه، ومركز زائرين مع خدمات سياحية وتجارية فوق وادي قدرون على حساب المقبرة الإسلامية؛ وذلك لاستقبال السياح اليهود من دول العالم[35] **ومن أهم مخططات مشروع واجهة القدس:**

أ- موقف جفعاتي "حفريات":

بُدئ بتنفيذ مخطط الموقف عام 2003م، بعمق ثلاث طبقات تحت الأرض، الذي يتسع لنحو400[36]، وكان الهدف المعلن لإنشاء الموقف لزوار بلدة سلون، ولكن ما إن بدأ العمل حتى ادعت جمعية العاد[37] عن اكتشاف آثار في الموقع؛ ليتوقف العمل بالموقف بشكل مؤقت بهدف البحث عن آثار، ثم ادعت سلطة الآثار عام 2008م، العثور على تمثال

روماني مصغر يبلغ عمره 2000 عام، ولا يشكل هذا الإعلان بحد ذاته تطورا مهماً ذا معنى فيما يتعلق بالحفريات في محيط المسجد الاقصى، حيث اكتشفت مئات التماثيل والمنحوتات الرومانية في المكان على مر العصور؛ إلا أن الاحتلال أعلن أنه اكتشف عام 2009م قصر الملكة هيلينا، التي أشير إليها أنها من ملوك الأشوريين التي اعتنقت اليهودية[38]؛ وذلك مخالف للواقع حيث لم يكن هناك أي يهودية زمن الحكم الأشوري حيث أن اليهودية ظهرت بعد عام 300 قبل الميلاد .

هكذا يبدو كيف هو التحريف والتزوير الأثري، الذي تمارسه سلطات الاحتلال في بلدة سلوان عبر الحفريات التي تكشف يوماً بعد يوم زيف ادعاءاتهم بوجود مملكة داوود في الحي.

تم افتتاح حفريات الجزء الجنوبي الغربي من موقف جفعاتي عام 2016م، حسب أول تقرير أصدرته سلطة الآثار "الإسرائيلية" عن الحفريات وعثروا فيه على آثار بيزنطية، وآثار تعود لحقبة التاريخ الإسلامي الأولى وإلى حقبة المماليك، ومنها شارع مرصوف من الحقبة البيزنطية تم تعبيده بأحجام مختلفة من الألواح الحجرية وقناة صرف[39]، وزعمت سلطة الآثار "الإسرائيلية" أنها قد تكون ممتدة إلى بركة سلوان؛ مما يبرر توسيع حفرياتها؛ لتصل إلى النقطة بركة سلوان جنوبا، وهو ما جرى التأكيد عليه في حفريات المنحدرات الشرقية لجبل صهيون عام 2018م [40].

ب- الطريق الهيروديانى:

ادعت جمعية العاد الاستيطانية أن هذا الطريق يعود إلى فترة الهيكل الثاني[41]، ويتكون من درج يصعد من بركة سلوان جنوبا حتى منتصف ساحة البراق شمالاً بطول 600م[42] ؛ وأدى شق الطريق لتصدعات في عدد من المباني، وللطريق ثلاث حفريات، الأولى تبدأ من مجمع عين سلوان وتتجه شمالاً باتجاه وسط وادي حلوة، ثم شمالاً نحو المسجد الأقصى،

والثانيــة حفريــات غــرب ســاحة البــراق، أمــا الثالثــة فــإلى الجنــوب حــي وادي الحلــوة؛ وأحــدثت تلــك الحفريــات أضــراراً كبيــرة فــي بيــوت حــي وادي حلــوة، وجعلها غير صالحة للسكن[43].

وقــد أعلنــت مؤسســة التــراث عــن وجــود عمليــات حفــر نشــطة غــرب مسـجد عـين سـلوان عـام 2011م، حيـث تـم إخـراج عشـرات الأكيـاس الأتربـة فـي يـوم واحـد، وأسـفر ذلـك عـن انهيـارات أرضـية قـرب المسـجد، بلغـت حفرتهـا طــول متــرين، وعــرض متــر، وعمــق متــر ونصــف، وتوســعت الحفــرة بعــد يـومين؛ حتـى أصـبح طولهـا نحـو مـن عشـرة أمتـار، فقامـت سـلطات الاحـتلال بمحاولــة إخفائهــا بســواتر رمليــة ومنــع المــواطنين الاقتــراب منهــا، ولكــن وقــع انهيــار آخــر وأدى اشــتداد هطــول الأمطــار إلــى كشــف المزيــد مــن الحفريات[44].

ت- **مركز كيدوم:**

مركـز سـياحي تهويـدي يقـع فـي قلـب سـلوان، علـى بعـد 30 متـراً جنـوب البلــدة القديمــة، تمــت المصــادقة عليــه بتــاريخ 2017/7/14م، يتبــع لشــركة فرعيــة تابعــة لجمعيــة العــاد- معاليــه بيــت دافيــد وســلطة الطبيعــة والحــدائق[45]، وتكمـن خطورتـه أنـه يتشـكل مـن سـبعة طوابـق سـتقام علـى مسـاحة 15 ألـف متــر مــن أراضــي حــي وادي حلــوة، ويضــم محــلات تجاريــة، ومركــزاً توراتيــاً، وموقفــا للســيارات، إلــى جــوار محطــة التلفريــك، أمــا الهــدف الأساســي لهــذا المخطـط؛ هـو إنشـاء مركـز عمـومي واسـع فـوق آثـار ومكتشـفات تـم العثـور عليها في" موقف جفعاتي"[46]

ث- **تلفريك القدس" القطار الهوائي":**

يعـد مـن أخطـر المشـاريع التهويديـة التـي طرحـت بعـد إعـلان الـرئيس الامريكــي دونالــد ترامــب بــأن القــدس المحتلــة عاصــمة لدولــة الاحــتلال عــام 2017م، وقـدم المخطـط عـام 2019م؛ تحـت حجـة أنـه مشـروع للمواصـلات؛

للتخفيف من الازدحام المروري، والوصول إلى حائط البراق، وزيادة الجذب السياحي، وأنه مشروع صديق للبيئة، وينقل التلفريك السائحين من غرب مدينة القدس إلى حي سلوان، أو إلى حائط البراق، وجبل الزيتون حيث فندق الأقواس السبعة، ومن الثوري إلى عين سلوان، ومنطقة حوض القدس[47].

ركز المشروع بشكل أساسي على باب الأسباط أحد أهم أبواب المسجد الاقصى المبارك كمدخل للسيارات والحافلات في الواجهة الشرقية[48] ؛ إلا أنه يعمل مع المخططات الاستيطانية الأخرى على طمس المعالم العربية لحي سلوان، عبر تغيير جذري للمشاهد التاريخية بالحي خاصة من جهة السور الجنوبي للبلدة القديمة[49].

ويمر القطار في أربع محطات هي: محطة باب المغاربة، ومحطة الكنيسة الجثمانية شرق باب الاسباط، ومحطة باب الزيتون، والرابع بجانب سلوان، وإن هذا المشروع له نتائج عكسية على أهالي سلوان، سواء لمرور التلفريك فوق منازلهم والوصول بها إلى سلوان عبر مركز كيدم، وسيدمر اقامة الطبقات العليا، وأساسات بعض المنازل القديمة عبر إقامة بنية تحتية خاصة للتلفريك، عند بناء الأعمدة على أراضي الفلسطينيين، أو التابعة للكنائس والأديرة[50].

هكذا يتبين أن مشروع القطار الهوائي، ما هو إلا سيطرة فعلية على سماء بلدة سلوان والأحياء المجاورة بعد الاستيلاء على الأرض وما تحتها وما فوقها، والخطورة في ذلك أيضاً أنه سيمسح للجمعيات الاستيطانية بالسيطرة على الأماكن التاريخية، كما أن ذلك يتناقض مع كافة قرارات منظمة اليونسكو التي أدرجت القدس بأنها مدينة ذات طابع أثري وتراثي عالمي، والمشروع بما احتواها يمثل انتهاكاً للهوية العربية في مدينة القدس؛ كونه سيمسح بزيادة السياحة الاستيطانية.

ح: حفريات أسفل عين سلوان

ارتكزت قرب مسجد عين سلوان، حيث ما زالت المؤسسات الاستيطانية مستمرة في طمس الحضارة العربية والاسلامية لمدينة القدس التي سعت لتفريغ المدينة من وجودها العربي والاسلامي وصبغها بالصبغة اليهودية، ومحاولة إنشاء الحدائق التوراتية كمخطط شمولي لتهويد القدس عبر بلدة سلوان الذي يشكل الواجهة الجنوبية للمسجد الاقصى، ويشمل المشروع أيضا تطوير نفق سلوان، وربطها بالمسجد الاقصى[51].

وبشكل فعلي ارتكزت الحفريات في سلوان، ولازالت على عدة محاور، وهي :

1-ضرورة خلق رواية تاريخية مزعومة للادعاءات التوراتية؛ لإحداث تأثير على الرأي العام الداخلي والعالمي لما يجري في مدينة القدس بشكل عام وبلدة سلوان بشكل خاص.

2-من الأهمية بمكان أن تحدث الحفريات تأثيراً على حياة أهالي سلوان، الذين يعيشون في المواقع السياحية الأثرية وحولها وجعلهم في حالة قلق دائمة وتخوف على مصيرهم.

3-استخدام تلك الحفريات لتبرير بناء المستوطنات، واختلاف الهوية "اليهودية" لحي سلوان، كونه يمثل منطقة في غاية الأهمية؛ نظرا لقربه من المسجد الأقصى، ووفق تلك المنهجية لازالت هناك العديد من الحفريات التي لم تستكمل بعد.

ويمكن القول: إن الهدف "الإسرائيلي" بات واضحاً، وهو صنع سياحة استيطانية؛ بإشراف الجمعيات الاستيطانية؛ مما يسهم في إحكام السيادة "الإسرائيلية" التامة على مدينة القدس؛ ما يجلب الزوار من أبو طور في الجنوب إلى جبل الزيتون مروراً بحائط البراق وسلوان؛ مما سيفاقم التوتر داخل بلدة سلوان والأحياء الأخرى.

رابعاً هدم بيوت أحياء سلوان:

يعد هدم البيوت من أخطر الوسائل التي استخدمتها دولة الاحتلال، تحت مسمى البناء دون ترخيص؛ نتيجة تقاعس سلطات الاحتلال عن تقديم التخطيط الكافي للمناطق الفلسطينية، فعدد التراخيص لا تكفي، مما أوجد فجوة بين عدد البيوت والتزايد السكاني بحوالي 1100 وحدة سكنية على الأقل في العام الواحد، ولغياب البدائل يلجأ الأهالي للبناء دون ترخيص، فهناك نحو 28% من بيوت الجزء الشرقي من القدس غير مرخصة بفعل الشروط "الإسرائيلية" المجحفة[52].

وبلغت نسبة البيوت المهددة بالهدم داخل سلوان نحو 62%، تنفيذاً للمخطط الاستيطاني 2020م، الذي يهدف للقضاء على أي معالم للهوية الفلسطينية في القدس، وحتى عندما تقدم الفلسطينيون، طلبات رخص للبناء رفضت، في الوقت الذي تم فيه بناء مستوطنة حسب خطة مجمع بيت أوروت في حي الصوانة، دون بناء المدرسة الخاصة بالفلسطينيين بحسب المخطط ، وتمت أول عملية هدم 13 منزلاً في سلوان، ضمت 84 أسرة عام 2006م [53].

يعد الهدم الإداري أحد أساليب سلطات الاحتلال المتبع لهدم منازل وادي سلوان، وينفذ بموجب قرار البناء دون الحصول على ترخيص، حيث صدرت قرارات الهدم الإداري بكل سهولة، تحت بند المصلحة العامة، مع أن البناء بدون تراخيص يجري في المستوطنات في العديد من الحالات، إلا أنها تتم بأثر رجعي، وذلك دليل واضح على السياسة العنصرية المتعبة من سلطات الاحتلال[54].

معظم أوامر الهدم في سلوان إدارية؛ بمعنى أن تلك المنازل بنيت أو تمت الإضافة عليها دون الحصول على ترخيص، وتدعي حكومة الاحتلال

أن ذلك الهدم ينفذ فقط ضد الشقق غير القانونية التي بنيت دون الحصول على ترخيص، الذي شبه مستحيل الحصول عليه، فالتكاليف المالية ومتطلبات الحصول على رخص البناء، تجعل الأمر مستحيلاً لمعظم العائلات المقدسية مما يضطرهم للبناء غير القانوني[55]. أن أوامر الهدم ما هي إلا وسيلة وإضافية لتعزيز الوجود الاستيطاني في الأحياء المقدسية، ومعظم أوامر الهدم الإدارية ذات بعد سياسي بشكل أساسي.

1- مشروع تهويد حي وادي الحلوة:

يمثل حي وادي الحلوة المدخل الشمالي الرئيسي لبلدة سلوان، وتبلغ مساحته 314دونماً تقريبا، يقطن الحي نحو 5000 نسمة، ويتعرض لاستهداف منظم لتهويده؛ نظرا لأهميته التاريخية حيث الادعاءات من علماء الآثار الصهاينة بالعثور على حجارة للهيكل المزعوم في الحي، ويضم الحي عدة طبقات أثرية تحت بيوته، بدءا من الحضارة الكنعانية[56].

وقد خطط لإقامة " حديقة وطنية توراتية في الحي أيضا[57]، وتنفيذاً لتلك المخططات تعرض نحو 60 منزلاً للهدم؛ بحجة البناء دون ترخيص، أو أنها أقيمت فوق مواقع أثرية [58]، واستولت الجمعيات على نحو 20 بيتاً حتى عام 2006م، بحجة أنها أراض يهودية، وأخرى باستخدام قانون أملاك الغائبين[59]، وتمكنت العاد عام 2008م، من السيطرة على ربع مساحة وادي الحلوة، فكان لذلك أثره في إحداث تغيير ديمغرافياً الحي وتهويده[60].

كما أصدرت بلدية القدس بتاريخ 2009/3/5م، أوامر هدم بدون سابق إنذار ضد مبنيين سكنيين مكونين من أربعة، وستة طوابق على التوالي، وأمهلت الأوامر 34 عائلة ما يزيد عن 250 نسمة عشرة أيام لإخلاء المنازل؛ بذريعة البناء غير المرخص؛ لأنه الترخيص منح لأول ثلاثة طوابق من المبنى، وجرفت عام 2009 م، أربعة دونمات تعود

ملكيتها لعائلة العباسي بالقرب من المسجد الاقصى؛ لإقامة موقف لمركبات الزوار الذين يأتون لزيارة "مدينة داوود" [61].

وحاول المستوطنون الهجوم على جامع وادي الحلوة مرات عديدة، وألحقوا به العديد من الأضرار وفي شهر أب عام 2010م، فكان الهجوم الثالث وزادت الأوضاع سوءاً حينما قتل المستوطنون المواطن سامر سرحان، وأطلق سراح المستوطن القاتل بكفالة قبل أن يمضي 24 ساعة على الاعتقال[62].

كما أعلنت جمعية العاد في 2012م، رغبتها في إقامة مجمعين تجاريين في سلوان الأول مساحته 8.400 متر مربع في وادي حلوة، والثاني من 3000 متر مربع في منطقة العين الفوقا ويكون عبارة عن متحف توراتي وغرف زجاجية؛ ليتمكن الزوار من مشاهدة الآثار اليهودية القديمة المزعوم حسب مخططاتهم[63]، ولكن ما سيشاهده الزوار ما هي إلا آثار تم استنطاقها وفق الرواية اليهودية للمكان، وخدمةً لأهداف سياسية وتاريخية ودينية عملوا على اختلاقها؛ فالعديد منها آثار عربية واسلامية مسروقة أو مزورة لا تمت بصلة لأي تاريخ يهودي بمدينة القدس ومقدساتها

2- مشروع تهويد حي البستان:

صنفت حكومة الاحتلال حي البستان أواخر السبعينات كمناطق خضراء64 ، ومنعت البناء فيها، وذلك في إطار السيطرة على أراضيه لصالح المشاريع الاستيطانية، ثم تصاعدت الهجمة الاستيطانية عبر مخطط هدم الحي بالكامل عام 1991م، وبدأت بالاستيلاء على نحو أربعين بيتاً بالقوة ، وتمت الإشارة للحي على أنه "مدينة داوود"65.

وقد أصدرت بلدية الاحتلال بتاريخ2004/11/11م قرارا بهدم الحي كاملاً، والذي يضم"88 " منزلاً"؛ بحجة أنها مملوكة لمنظمتي عطيرت

كوهانيم والعاد؛ لصالح بناء حديقة أثرية متصلة "بمدينة داوود"، وبدأت عملية توزيع أوامر الهدم في عام 2005م، ولوائح الاتهام بدعوة البناء بدون ترخيص، وتم هدم منزلين في الحي، إلا أن قرارات الهدم أوقفت بضغوط دولية عام 2005م66، إلى جانب قيام الأهالي بتقديم سلسلة احتجاجات للمستشار القضائي لدى حكومة الاحتلال للمطالبة بمنع هدم الحي67، ووضعوا عدة مخططات هيكلية لمنع الهدم تراعي النمو السكاني خلال الفترة 1977م–2005م، ولكن دون جدوى، وقدرت تكلفة المخطط الأخير بحوالي77000 دولار68، حيث أكد أصحاب المنازل أنهم حاولوا مرارا وتكراراَ الحصول على تراخيص البناء، ولكنها رفضت على مر السنين، فمنذ عام 1977م لم يتم الموافقة سوى على طلب ترخيص واحد فقط، ولم يكن خيار أمام العائلات سوى الإضافة لمنازلهم دون رخص بناء[69].

كما سلمت بلدية الاحتلال بتاريخ 2009/2/21م، لنحو134 عائلة مكونة من 1500 فرد انذارات لهدم بيوتهم، تمهيداً لبناء أحياء استيطانية عليها، لرغم أن العديد من البيوت أقيمت قبل عام 1967م[70]، رفض أهالي حي البستان عروض بلدية القدس، باستكمال بناء مشروع الحديقة في الحي، وعرضت عليهم إخلاء البيوت مقابل تعويضات، أو إعادة تسكينهم في أماكن أخرى من مدينة القدس؛ ولذلك رفض المخطط المقدم من الأهالي بحجة أن الخطط "الإسرائيلية" بدُي في تنفيذها، وأن الأرض صنفت لخدمة أهالي بستان والحديقة التوراتية، خاصة بعد نقل ملكية 14 عقاراً تبلغ مساحتها 28دونماً إلى جهات يهودية [71] .

قدم نير بركات رئيس البلدية عام 2010م مخططاً، تضمن عدم هدم بيوت الحي، وأشار أنها ستقسم المكان إلى قسمين قسم غربي حيث سيهدم 22منزلاً تعود لعائلات أبو سنينة والعباسي، وعواد؛ لإقامة مجمع سياحي استيطاني، وقسم شرقي لبناء مساكن بديلة وقريبة للسكان، حيتم سيتم نقل

أهالي القسم الغربي إلى الشرقي؛ أي أنه سيضع الفلسطينيين تحت رحمة جمعية العاد الاستيطانية ومستوطنيها[72]، ولكنه فعليا سيتم هدم نحو 40 منزلاً في القسم الغربي بشكل كامل، وهدم 13 منزلاً بشكل جزئي؛ مما يعني تهجير نحو 500 فلسطيني[73].

إن ما تقوم به الجمعيات الاستيطانية بموافقة بلدية الاحتلال يندرج في إطار حملة التطهير العرقي و إزالة المنازل في المنطقة المحددة سيغير من طابعها الجغرافي والديمغرافي، ويحرم الأهالي من التعويضات المستحقة لهم؛ بحجة أن بناء هذه الحديقة لا يقوم عمليا بمصادرة الأراضي، وتجاهلت البلدية التوسع الطبيعي للمجتمع الفلسطيني.

3- مشروع تهويد حي بطن الهوى :

تعرض الحي لعملية اقتلاع وترحيل منظم، من جمعية عطيرت كوهنيم، التي سعت لتحويل بطن الهوى لمستوطنة؛ نظراً لقربه الجغرافي من المسجد الأقصى، الذي بلغ تعداده السكاني حوالي1000نسمة؛ فهو ذو كثافة سكانية مرتفعة ووضع اقتصادي واجتماعي متردي[74].

اتبعت عطيرت وسيلة الدعاوي القضائية للتغلغل داخل الحي، لرفع اليد والطرد لتسعين عائلة مقدسية، حيث ادعت الجمعية بأن أراضي الحي البالغة 5.2 دونمات أراض وقفية يهودية منذ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وطبقا للقانون الإسرائيلي وضعت الأراضي التابعة لأوقاف يهودية ضمن مسؤولية الوصي العام على الأملاك عام 1948م، إلى أن تمت المصادقة عام 2001م على تعيين أمناء الوقف من المستوطنين المقربين من جمعية عطيرت، حيث قاموا بنقل مساحة من الحي للوقف، ومطالبة العائلات المقدسية إخلاءها؛ مما دفع مستوطنين للسيطرة على بنايتين من الحي عام 2004م ، وأطلق على إحداهما بيت يهونتان مؤلفة من ستة طوابق، والثاني سمي بيت العسل، عبارة عن شقة سكنية واحدة

على بعد 100 متر من الأولى، وبذلك كانت أول مستوطنة داخل الحي مكونة من هاتين البنايتين فقط[75].

ومن أحدث البؤر الاستيطانية مركز التراث ليهود اليمن، الذي أقيم بمنزل عائلة أبو ناب بحي بطن الهوى، بعد طرد أصحابها منها بقرار من المحكمة "الإسرائيلية" عام2015م؛ بحجة أنه يشكل كنيساً ليهود اليمن[76]، وأطلق عليه بيت العسل" بيت هدفاش" وافتتحته وزير الثقافة "الإسرائيلية" ميري ريغيف في أكتوبر عام 2018م، إلى جانب البؤرة الاستيطانية بيت جوناثان التي تعد أكبر كتلة استيطانية في سلوان[77].

حسب منظمة أوتشا الحقوقية فإن عملية التطهير العرقي ستطال أكثر من 45% من مجموع الأسر و ستلسب بيوتها حال نفذ قرار المحكمة، ونقلت ملكية الأراضي لليهود[78]، حيث سمح للمستوطنين فقط مطالبة الوصي العام باستعادة حقهم على أملاك كانت بحيازتها قبل عام 1948م، بالمقابل منعت المحكمة والقوانين العنصرية الفلسطينيين "استعادة حقوقهم" لأملاكهم التي كانت بحوزتهم قبل عام 1948م.

فقد جرى تقسيم حي بطن الهوى إلى خمسين قسيمة، تسعة منها تم التحايل على أصحابها ونقلت لجمعية عطيرت، بالإضافة إلى خمسة قسائم سكنها المستوطنون، ووزعت 81 دعوة اخلاء عام 2015 م[79]؛ لإخلائها من أصحابها، إلى جانب عائلتين تقيمان في القسيمة رقم 84، واستطاعت الجمعية استملاك 28 وحدة سكنية في ستة، سكنها المستوطنون، بعد طرد أصحابها منها؛ بحجة أنها كانت ملكاً لليهود، إلى جانب بقاء نحو 12 دعوى قضائية للإخلاء قيد مداولات المحاكم "الإسرائيلية"" ضد 51 عائلة فلسطينية، قد تفقد بيوتها وتُطرد مع صدور القرار القضائي[80]

4- البناء الاستيطاني في سلوان:

أقامت جمعية عطروت كوهنيم في سلوان عام 2002م، مبنى مكوناً من سبعة طوابق أطلق عليه اسم الجاسوس جوناثان بولارد، في سلوان، حيث لم يكن يسمح بالبناء أكثر من طابقين للمبنى الواحد، حتى غير المرخصة، ورغم صدور أوامر لهدم المبنى، إلا أن ذلك لم يحدث، بالمقابل هدمت البلدية أكثر من 35 منزلاً تابع للفلسطينيين؛ بحجة عدم التراخيص في الحي، وتم تشريد أكثر من 60 عائلة[81] .

يعد المبنى خطوة استفزازية لأهالي الحي، كونه ضم سبعة طوابق ورفع عليها العلم الإسرائيلي، وضم بيت جوناتان ثماني عائلات من المستوطنين، بالرغم من أنه المحكمة أمرت بإخلاء البيت، وإغلاقه عام 2007 م؛ إلا ان الأمر لم ينفذ بعد، وربط إخلاء البيت بقرار هدم 200 بيت في الحي دون ترخيص خاص بالفلسطينيين، وتلك سياسة اتسمت بالانتقام من أهالي الحي، وفي محاولة لشرعنة عدد طوابق مبنى جوناتان، صدر عام 2009 م قرار وسع حدود البناء في هذه المنطقة من طابقين إلى أربع طوابق[82]. مما يدل على ازدواجية تطبيق قرارات المحاكم """الإسرائيلية"" ومدى عنصريتها وانتهاكها للقانون الدولي

قام المستوطنون –بدعم من الحكومة والجمعيات الاستيطانية– بفرض سيطرتهم على بعض بيوت الحي؛ لتشكل بؤراً استيطانية لهم تمهيداً لتوسيع السيطرة "الإسرائيلية" على البلدة ومحيطها كتوسيع مستوطنة الحي اليهودي على حساب الحي؛ لتكتمل الحلقة الاستيطانية المحيطة بالبلدة القديمة والمسجد الاقصى، وُقّدر عدد المنازل حتى عام 2012 م التي تمت السيطرة عليها في البلدة حوالي 30 بيتاً ، و المساحة التي سيطر عليها المستوطنون نحو 45 دونما، إلى جانب 22 دونماً مساحة المستوطنتين[83]، ومكنت تلك المساحة الجمعيات الاستيطانية من توسيع شبكة الحفريات والأنفاق في بلدة سلوان ومحيطها.

انتهاكات أخرى:

تعددت صور الانتهاكات ومخططات التهويد التي تعرض لها بلدة سلوان وشمل صوراً أخرى، إضافة لما سبق.

1-نصب الكاميرات: أقدمت سلطات الاحتلال في كانون ثان 2012 م، على نصب 320 كاميرا في الأحياء المقدسية، وفي بلدة سلوان، وعملت على توجيهها على منازل المواطنين ؛ بغرض مراقبتها عن كثب، ونشرت الكاميرات لمراقبة النقاط الاستيطانية سابقاً، إلا أن الأمر بدا مختلف كون أحياء سلوان لا يوجد بها تجمعات استيطانية ولكن توجد بعض العقارات التي تم احتلالها، وقد نشرت بعض الكاميرات على الأعمدة، وكل عامود حمل عشر كاميرات موجهة منها كميرتان موجهتان للطريق العام والباقي نحو منازل المواطنين[84]

2-الجسر المعلق: يعد إنشاء جسر معلق للمشاة بين حي الثوري إلى البلدة القديمة من حلقات التهويد المتسارعة بطول 197متراً وارتفاع30 متراً، الذي بُدئ في اقامته بتاريخ 2018/1/8م، حين اقتحمت بلدية الاحتلال في القدس وسلطتي الاثار والطبيعة وادي الربابة في حي سلوان، ووضعت قواعد الأساسات وتجهيز البنية التحتية لجسر المشاة المعلق؛ بهدف تشجيع السياحة الدينية التوراتية، وتسهيل نقل السياح والمستوطنين من الأحياء الجنوبية للبلدة القديمة، والمواقع الأثرية في المكان، حيث يتم الترويج للرواية اليهودية المزورة من الجمعية المشرفة على مشروع ما يسمى بسلطة تطوير القدس[85].

3-الأسرلة: كما أقدمت حكومة الاحتلال على أسرلة أسماء أحياء وشوارع بلدة سلوان لمحو ثقافتها وتاريخها العريق، عبر إصدار تشريعات وإجراءات غير قانونية؛ لطمس كل ما هو عربي وفرض طابع يهودي عليها؛ كجزء من خطة تهويدية تستهدف إزالة معالم المدينة ومقدساتها

وتغيير أسماء شوارعها وأحيائها بأسماء عبرية ومن تلك المسميات وادي الحلوة "معاليه أر دافيد"، عين اللوز "معاليه هشالوم"[86]، كما اعتمدت البلدية أسماء الشوارع بثلاث لغات، هي العربية والعبرية والإنجليزية، ومحاولة وضع أسماء ليهود اليمن في بعض شوارع الحي.

4-**قبور وهمية:** زرعت سلطات الاحتلال بتاريخ 2012/1/8 م، نحو 50 قبراً وهمياً في المنطقة الشمالية لبلدة سلوان؛ بهدف السيطرة على نحو 20 دونما، وتم جلب القبور الوهمية لفصل المنطقة عن أسوار المسجد الأقصى، وإقامة حدائق تلمودية تتصل مع بعضها البعض[87].

هكذا شهدت سلوان هجمة استيطانية متواصلة ؛نظرا لموقعها الاستراتيجي الملاصق للبلدة القديمة والمسجد الاقصى من الجهة الجنوبية، ولذلك يعيش أهالي بلدة سلوان في حالة توتر دائما؛ بسبب المخططات "الإسرائيلية"، هي عقاب جماعي لأهالي البلدة وصمودهم، واستخدمت دولة الاحتلال كافة السبل بغية تحويل أحياء مدينة القدس إلى أحياء يهودية، حيث وضعت استراتيجيات؛ لفرض أمر واقع على المدينة وفرض السيطرة الكاملة، ومع ذلك لم تتمكن الجمعيات الاستيطانية ومن خلفها حكومة الاحتلال إثبات أحقية اليهود بمدينة القدس أو ايجاد ، تاريخ لهم في بلدة سلوان.

نتائج:

1-إن ما تقوم به سلطات الاحتلال في مدينة القدس انتهاك صارخ لكل المواثيق الدولية، ومن ضمنها القانون الدولي الإنساني، وذلك لما تمارسه من عمليات ترحيل وطرد وتدمير للممتلكات المدنية والممارسات غير الشرعية في إعاقة حرية التنقل والحق في العمل والتعليم وغيره.

2-إن المتتبع لواقع الحال في سلوان واحيائها ، يجد معركة من نوع خاص يعاني منها سكان غير استهداف البيوت والعقارات فوق الأرض؛ ليصل استهداف الجمعيات الاستيطانية أسفل المنازل والطرقات في البلدة المتركزة على وادي حلوة وعين سلوان وصولاً إلى حي البستان، حيث يعمل الحفريات والتنقيب، لذات الغرض دون الاكتراث بحال أهالي البلدة.

3-أن جمعيتي إلعاد عطيرت كوهنيم تعملان ليل نهار على طرد الأسر الفلسطينية من الأحياء المقدسية، ومصادرة منازلهم لصالح المشاريع الاستيطانية، بتغطية المحاكم "الإسرائيلية"، والمتبرعين الصهاينة من داخل وخارج فلسطين المحتلة، وحرمت الإنسان الفلسطيني من الحق في السكن الدائم والملائم.

4-يعد بناء البؤر الاستيطانية والسيطرة على العقارات في بلدة سلوان تحدٍ للقوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة، وتسعى بلدية الاحتلال إلى خلق وقائع استيطانية على أراضي بلدة سلوان تعزز الوجود اليهودي في القدس، وتضيق الخناق على أهالي سلوان؛ لأنها ترفض حتى ترميم بيوتهم المتصدعة جراء عمليات الحفر والتنقيب.

5-يتعرض أهالي أحياء سلوان بصورة شبه يومية لاعتداءات المستوطنين وحراسهم من جنود الاحتلال، و تزايدت منذ الإعلان عن الحديقة التوراتية في حي سلوان.

الملاحق

ملحق رقم(1)

بلدة سلوان الفلسطينية[88]

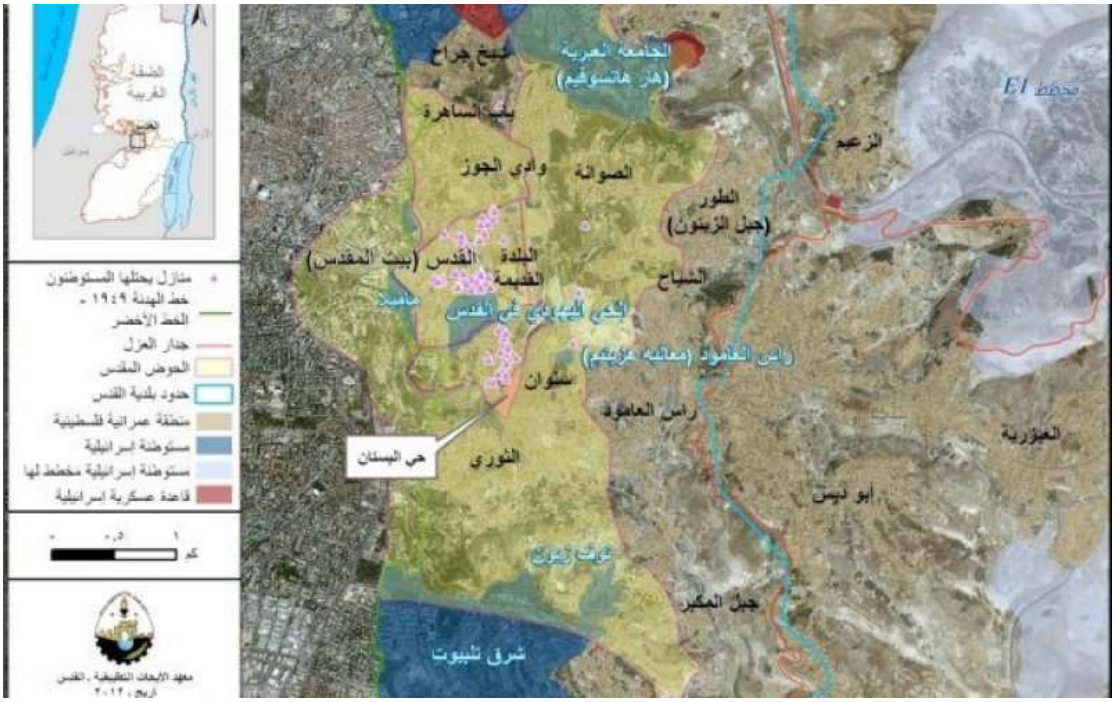

ملحق رقم (2)

حدود الحوض المقدس[89]

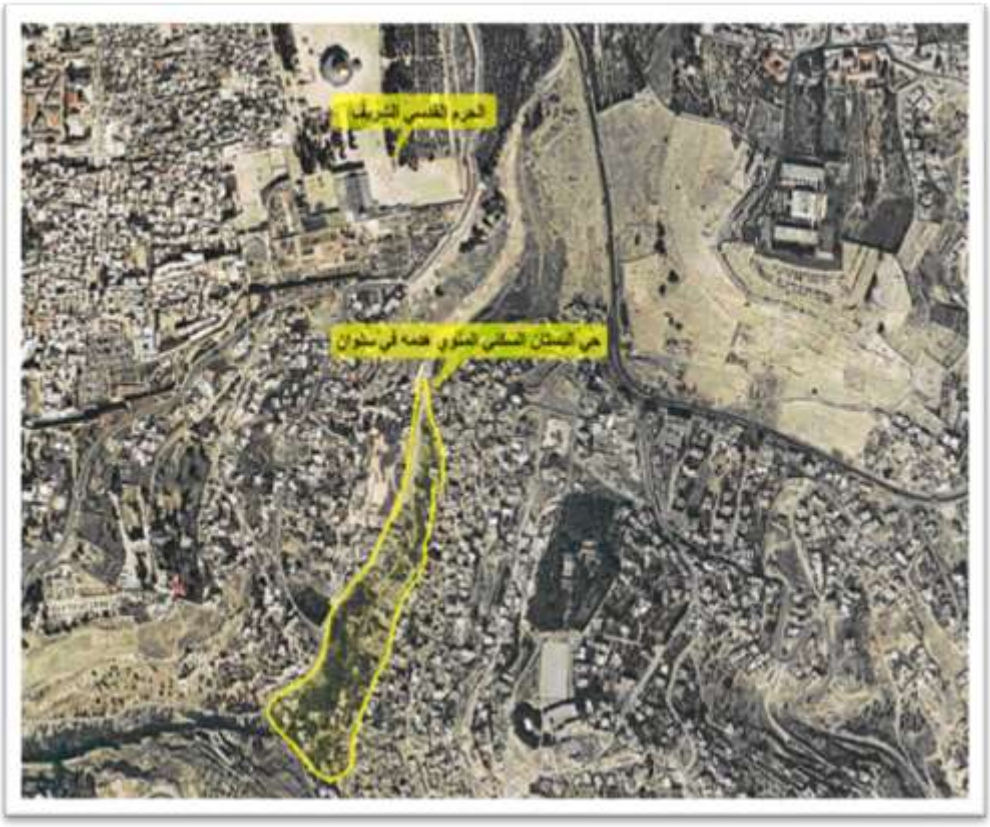

ملحق رقم (3)

حدود الحدائق التوراتية[90]

المراجع

[1] مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج1، دار الهدي، كفر قرع، ط2003م،ص615، وليد الخالدي: كي لا ننسى، قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948م، وأسماء شهدائها،ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1997م، ص527

[2] محمد شراب: موسوعة بيت المقدس والمسجد الاقصى، ج أ ، ص501

[3] الانجيل: يوحنا 6، أية 9: 7

[4] ناصر الدين أبو خضر: أسماء قرى القدس، دراسة لغوية ، مؤسسة القدس الدولية، 2016م، ص362

[5] يونس عمرو: القدس مدينة الله، ط2، دار الشيماء ، 2009، ص34.

[6]) معهد القدس لبحث السياسات: الكتاب الإحصائي السنوي" لأروشاليم" القدس، ع 3، " عبري" ص149.https://jerusaleminstitute.org.il/ar/yearbook/

[7] للمزيد انظر ملحق رقم (1).

[8] وقيل مساحتها 6139دونما، خليل التفكجي: مشاكل الملكيات، ص100،

[9] معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية – ماس: تشخيص الموارد الاقتصادية المحلية للقدس الشرقية، ، رام الله ، 2010م، ص23، الثوري وسلوان، ص8

[10] أحمد مصطفى: بلدة سلوان الحاضنة والخاصرة للمسجد الأقصى، مجلة السعادة23، 2014 ، ص35

[11] مصطفى الدباغ: مرجع سابق، ص155، 151

[12] جنوبي طنطور فرعون عبارة عن نصب تذكاري ينسب إلى زكريا، ولكنه لا يحتوي على قبر. نظرة أقرب إلى القدس، سلوان، الرؤيا الفلسطينية، ص13، الموسوعة الفلسطينية العامة، المجلد الثاني، ط1، 1984م، ص850

[13] طنطور فرعون يقع جنوبي المسجد الاقصى وهو عبارة عن ضريح مكعب الشكل محفور في الصخر منفصل عن الصخر المحيط به ويعلوه قبة هرمية الشكل. عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ج1، القدس مكتبة الاندلس، ص544.

[14] مصطلح مدينة داوود أطلقه عالم الأثار ريموند ويل الفرنسي عام 1920م، وتبناه "الإسرائيليون" عام 1960م، موقع مدينة داوود
http://www.cityofdavid.org.il/ar/tours/city-david

[15]) غازي ربابعة: تاريخ القدس السياسي، وزارة الثقافة، الأردن، 2010م ص66

[16]) معهد أبحاث السياسات الاقتصادية: مرجع سابق، ص 23

[17] زينة عمرو: استهداف حي البستان- القدس وأثره على الأمهات والأطفال، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، القدس،2016م، ص22

[18] دراسة، عصام الشنطي وأخرون، القدس معرفة في سبيل التحرير، مكتبة الشروق الدولية،684، سلوان والثوري، ص4

[19] زينة عمرو: مرجع سابق، ص22

[20] يمتد الطوق الاول حول حائط البراق وحارة المغاربة الذي يطوق المسجد الأقصى واجزاء كبيرة من الحي الإسلامي ليرتبط بالطوق الاستيطاني الثاني النشاط، زينة عمره مرجع سابق، ص23

[21] ظهر مصطلح الحوض المقدس بشكل علني خلال مفاوضات كامب ديفيد عام 2000م، وما تلاها من محادثات إسرائيلية فلسطينية، ومنذ ذلك الوقت شاع استخدامه في المحافل السياسية والبحثية كمفهوم ذي مرجعية دينية وقومية الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية: القدس النشاط الاستعماري والسياسات والممارسات "الإسرائيلية" حزيران /يونيو2009،، القدس ص5 .

[22] غسان عبده: أطواق العزل والتهويد "الإسرائيلية" في القدس1967-2010م، رسالة ماجستير غير منسورة، جامعة القدس، القدس، 2012م، ص 84

[23] معاذ الزعتري، وجوناثان مولوني: سياسة هدم المنازل في قرية سلوان ، تهويد مدينة القدس، مؤسسة المقدسي لتنمية المجتمع، القدس، 2010، ص5

[24] للمزيد انظر ملحق رقم (2).

http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=530

[25] دائرة شؤون القدس: ممارسات وإجراءات الاحتلال الإسرائيلي منذ حزيران 1967-2009م، منظمة التحرير ، القدس، 2010م، ص32

[26] جاد إسحاق، وسهيلة خليلية: الاستيطان الإسرائيلي الاستعماري في القدس، سلسلة أوراق، ع4، منشورات دائرة شؤون القدس، منظمة التحرير الفلسطينية،2012م، ص37.

[27] جاد إسحاق: مرجع سابق، ص102، المنظمة الإسلامية: مرجع سابق، ص25

[28] معهد الأبحاث التطبيقية القدس-أريج: دراسة التجمعات السكانية والاحتياجات التطويرية في محافظة القدس، ، ص75

[29]) إباء فتيحة: الجلد الجماعي لدى الفلسطينيين في القدس؛ قرية سلوان في مواجهة سياسة الاستيطان وهدم البيوت، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، 2013، ص35، 36.

[30] أحد مظاهر مخطط الحوض المقدس لمخطط2000 " حدائق الملك" التابعة للبلدية، والذي يدعو إلى هدم عدة بيوت في حي البستان؛ من أجل تحويله إلى منطقة خضراء، تحت مسمى غطاء السعي لتخليد ذكرى الملك داوود، وتتمثل في عدة مناطق، وهي: حي الشيخ جراح، وادي الجوز في الشمال منطقة وادي حلوة " "مدينة داوود" وحي البستان في الجنوب، وغيرها يوسف جبارين: التخطيط الاستراتيجي في القدس، استراتيجيات السيطرة والهيمنة مركز مدار ، رام الله ، 2016، ص44

[31] دائرة شؤون القدس: مرجع سابق، ص102

[32] زينة عمرو: مرجع سابق، ص27.

[33] أحمد سعيد دحلان: مرجع سابق، ص339

[34] محمد علي الكحلوت: الأنفاق والحفريات الصهيونية في مدينة القدس، مؤسسة القدس الدولية، غزة ، ص14

[35] زكريا السنوار: وزارة التربية والتعليم، القدس، ط1، 2013م، ص202، محمد الكحلوت: مرجع سابق، ص17

[36] دائرة شؤون المفاوضات: تقرير بين الصمود ومواجهة التهديد في حضرة القدس ، عاصمة فلسطين الأبدية، العدوان الإسرائيلي على القدس خلال عام 2017م، 2017، ص4

[37] جمعية العاد أسست عام 1986م، اسسها دافيد باري عطرت ماني ديان على شراء عقارات سلوان؛ لإعادة لفت انتباه اليهود إلى مدينة الملك داوود، وتقوية الروابط بمدنية القدس، فهي تعمل كوكالة حكومية، وتشرف الجمعيات على شركات فرعية في الخارج، هشام أبو حاكمة: مسجد داوود وليس هيكل سليمان، دار الجليل، عمان،ط1، 2008 ، ص134، زينة عمرو: مرجع سابق، ص34

[38] عبد الله ابحيص: البحث عن سراب، الحفريات تحت المسجد الأقصى ومحيطه، مؤسسة القدس الدولية، 2012م، ص22

[39] مؤسسة القدس الدولية: عين على الأقصى، تقرير توثيقي يرصد الاعتداءات على المسجد الاقصى والتفاعل معه 2017/8/1-2018/8/1م، ص24

[40] مؤسسة القدس: عين على الأقصى، تقرير توثيقي يرصد الاعتداءات على المسجد الاقصى والتفاعل معه 2017/8/1-2018/8/1م، ص25

[41] الهيكل الثاني: أقيم على أنقاض هيكل سليمان المزعوم بعد السبي البابلي سنة 516 ق. م. تم تدمير الهيكل على يد الرومان سنة 70 م، زكريا السنوار: نقد أفكار هيكل سليمان الورادة في النص التوراتي؛ سلسلة نقد الخطاب الإسرائيلي، مؤسسة القدس الدولية، بيروت، عام 2018، ص9 وما بعدها

[42] عبد القادر ياسين: القدس معرفة في سبيل التحرير، ط1، مكتبة الشروق، القاهرة، 2010م، ص680

[43] أحمد ياسين: مرجع سابق، ص71

[44] عبد الله ابحيص: مرجع سابق، ص30

[45] دائرة شؤون المفاوضات: تقرير بين الصمود، ص4

[46] أحمد ياسين: الحفريات والبناء أسفل الأقصى ومحيطه، عين على الأقصى، مؤسسة القدس الدولية،2012م، ص69

[47] زكريا السنوار: مرجع سابق ، ص202

[48] محمد الكحلوت: مرجع سابق، ص17 دائرة شؤون المفاوضات: مرجع سابق، ص4

[49] تقرير دائرة شؤون المفاوضات: مرجع سابق، ص4، مشروع القطار الهوائي(https://www.hal.birzeit.edu/single-post)

[50] مؤسسة القدس: مرجع سابق، ص 19

[51] محمد الكحلوت: مرجع سابق، ص51

[52] أحلام أبو جلالة: الاعتداءات "الإسرائيلية" على مدينة القدس 1994-2010م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية، غزة ، 2010م، ص30

[53] زينة عمرو: مرجع سابق، ص30

[54] أريج: دراسة التجمعات السكانية، ص41

[55] خليل التفكجي: السكن والإسكان، مؤسسة القدس الدولية، غزة ، ص 59

[56] أحلام أبو جلالة: مرجع سابق، ص82

[57] للمزيد انظر ملحق رقم(3).

[58] معهد أريج: سلوان والثوري، ص21، الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية: مرجع سابق، ص8

[59] أقرت حكومة الاحتلال وضع قانون خاص اسمه قانون الغائبين 14مارس1950 م في الكنيست الإسرائيلي؛ بهدف السيطرة على أملاك الفلسطينيين الذين هاجروا من فلسطين بفعل حرب عام 1948م، فاستولت بموجبه على منازل الغائبين وممتلكاتهم وأموالهم المنقولة وغير المنقولة، إبراهيم العلي: الإرهاب الصهيوني تجاه الأرض الفلسطينية؛ قانون أملاك الغائبين نموذجاً، مركز تجمع العودة الفلسطيني، دمشق، ص11.

[60] معاذ الزعتري : مرجع سابق، ص56

[61] الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية: مرجع سابق، ص 8

[62] معاذ الزعتري: مرجع سابق، ص56

[63] معهد أريج: سلوان والثوري، ص21

[64] مصطلح المنطقة الخضراء هي عبارة مناطق تقوم بتحديدها بلدية الاحتلال "الإسرائيلية" للمساحات المفتوحة ولا يسمح بالبناء فيها؛ بحجة الحفاظ على الحد الأدنى من المناطق الخضراء في مدينة القدس بالرغم من عدم زراعة أي من المناطق المفتوحة ويستخدم مصطلح المنطقة الخضراء بشكل استراتيجي غالبا من اجل منع وإعاقة التطور الفلسطيني قرب المستوطنات كما حدث في جبل أبو غنيم وغيره من المناطق.الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية: مرجع سابق، ص6)

[65] جاد إسحاق: مرجع سابق، ص36

[66] معهد أريج: سلوان والثوري، ص17، دائرة شؤون القدس: مرجع سابق، ص33.

[67] أحلام أبو جلالة: مرجع سابق، ص80

[68] معهد الأبحاث التطبيقية القدس-أريج: دراسة التجمعات السكانية، ص74، منظمة أوتشا: القدس الشرقية مخاوف رئيسية إزاء الأوضاع الإنسانية تقرير خاص مارس2011م،

[69] غسان عبده: مرجع سابق، ص84، إباء فتيحة: مرجع سابق، ص36

[70] معهد أريج: سلوان والثوري، ص16، إبراهيم عباس: ذاكرة القدس ، ط1، 2009، ص86.

[71] مؤسسة القدس: مرجع سابق، ص19

[72] معهد أريج: سلوان والثوري، ص17، الامم المتحدة مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية: تقرير خاص عام 2011م ، القدس الشرقية مخاوف رئيسة إزاء الأوضاع الإنسانية، 34الأمم المتحدة مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية: تقرير خاص عام 2011م ص34

[73] الامم المتحدة: مرجع سابق، ص 34.

[74] التهويد القادم في القدس الشرقية سيطال حيّ بطن الهوى في سلوانww.btselem.org/arabic/jerusalem

[75] معهد الأبحاث التطبيقية القدس-أريج: دراسة التجمعات السكانية ، ص40

[76] يوسف جبارين: مرجع سابق، ص114.

[77]) التّهويد في سلوان: موقع سابق

[78] معهد أريج: سلوان والثوري، ، ص12

[79] التهويد القادم في القدس الشرقية سيطال حيّ بطن الهوى في سلوان https://www.btselem.org/arabic/jerusalem

[80] معهد الأبحاث التطبيقية القدس-أريج: دراسة التجمعات السكانية ، ص40

[81] الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية، ص8

[82]معاذ الزعتري: مرجع سابق، ص60، دائرة شؤون القدس: ممارسات واجراءات، ص33

[83] معهد أريج: سلوان والثوري، ص12

[84] http://bit.ly/2OXCuDY

[85]مؤسسة القدس: مرجع سابق، ص21

[86] الجمعية الفلسطينية الاكاديمية للشؤون الدولية: مرجع سابق، ص 8، أحمد دحلان: مرجع سابق، ص320،

[87] للمزيد انظر ملحق رقم(4).

[88] http://poica.org/2013/03/%d8%a8%d9%84%d8%af%d8%a9-%d8%b3%d9%84%d9%88%d8%a7%d9%86-%d8%a7%d9%84%d9%81%d9%84%d8%b3%d8%b7%d9%8a%d9%86%d9%8a%d8%a9-%d9%81%d9%8a-%d9%85%d9%88%d8%a7%d8%ac%d9%87%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%a7%d8%ad%d8%aa/

[89] http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=530

تنمية تقدير الذات وتحسين صورة الجسم لدى مُصابي عدوان 2014 من مبتوري الأطراف

د.غادة حجازي

المقدمة:

تهدف الدراسة إلى تحديد فعالية برنامج إرشادي معرفي سلوكي لتنمية تقدير الذات، والذي من شأنه أن يُحسن صورة الجسم لدى عينة من مبتوري الأطراف. أشارت **نتائج الدراسة** إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الأفراد على مقياسي تقدير الذات، وصورة الجسم تُعزى للمتغيرات الديموغرافية (النوع، العمر، نوع البتر، الحالة الاجتماعية، المستوى التعليمي، المستوى الاقتصادي الاجتماعي) فضلاً عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية، والمجموعة الضابطة في القياس البعدي لصالح المجوعة التجريبية على مقياسي (تقدير الذات وصورة الجسم). كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي، والبعدي لصالح القياس البعدي على مقياسي تقدير الذات، وصورة الجسم. وأنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطات درجات مبتوري الأطراف في القياسين البعدي، والتتبعي على مقياس تقدير الذات، وصورة الجسم بعد

مرور فترة المتابعة (شهر ونصف)، وهذا يؤكد على فعالية البرنامج في تنمية تقدير الذات، وتحسين صورة الجسم لدى عينة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: تقدير الذات – صورة الجسم – مبتوري الأطراف – عدوان2014.

يُحظى ذوي الإعاقة اليوم بإهتمام بالغٍ على كافةِ المستويات الدولية، والإقليمية، والمحلية بهدف رعايتهم، وتحسين ظروفهم المعيشية، والعمل على دمجهم مع الآخرين في المجتمع المحيط بهم.

وتُعتبر الإعاقة الجسمية خاصة إعاقة بتر الأطراف من الإعاقات التي تؤثر سلباً على الأفراد من حيث الحركة، والتنقل وتُسبب العديد من المشكلات الصحية، والنفسية والاجتماعية التي تختلف باختلاف حدة البتر كما تؤثر على نظرة الفرد لصورة جسمه من وجهة نظره، ووجهة نظر الآخرين له.

ويَتضح أن الإعاقة من الظواهر المعايشة للإنسان منذ بدء الخليقة حيث تُشير الدراسات إلى أن الإعاقة كانت تمثل نسبة لا تتجاوز (2%) من سكان العالم قبل عصر التكنولوجيا، والصناعة عام(1609م). في حين تُشير تقارير منظمة الصحة العالمية، والتي تؤكد على ارتفاع نسبة الإعاقة الآن لتصل إلى (15%) من سكان العالم (وفقاً للتقديرات العالمية للسكان للعام 2010م). هذا يعني وجود أكثر من مليار شخص من ذوي الإعاقة في العالم يُعانون من إعاقات مختلفة سواء كانت جسمية، عقلية، حسية. كما ترتفع النسبة في إقليم الشرق الأوسط لتصل إلى (12%). (محمد الهنداوي،2011، 53)

أما في فلسطين فقد بلغ عدد الجرحى (24.516) جريح ، وعدد ذوي الإعاقة (255.224) معاقاً حيث بلغت نسبة الإعاقة(5.8%) من السكان. شكلت الإصابات في الأطراف السفلية ما نسبته(49.6%)، وفي الرقبة،

والرأس نسبته(8.2%)، وتُشير الدراسات إلى نسبة الإعاقة في فلسطين تعتبر من أعلى النسب في العالم بسبب الأوضاع السياسية التي عاشها الشعب الفلسطيني في الماضي، ولا زال يعيشها حتى الآن بسبب العدوان المستمر، كما تَعْمَد الاحتلال الصهيوني لإيقاع أكبر عدد من الخسائر البشرية من أبناء الشعب الفلسطيني خاصة إعاقة بتر الأطراف هذه الإعاقة التي ترافق الفرد طوال حياته، وتتسم هذه الإعاقة بأنها مُعقدة صادمة تحتاج لتأهيل جسمي، ونفسي لفترات طويلة لما تسببه من اضطرابات نفسية. (دائرة الاحصاء المركزية، ووزارة التنمية الاجتماعية،2018)

يهدف الصهاينة من خلال قصفهم للمدنيين الآمنين في عدوان 2014م بالأسلحة المتفجرة المحرمة دولياً، والتي تسبب تهتك للأنسجة، والعظام، فتؤدي لبتر الأطراف لدى الضحايا المدنيين مسبباً لهم إعاقات دائمة تُرافقهم طوال حياتهم، وتحتاج لتأهيل لفترات طويلة، ويعتقد الصهاينة أن بترهم لأطراف الضحايا من خلال بتر الأيدي، والأرجل سيمنعهم من مقاومة المحتل الصهيوني المغتصب لأرضهم. بل العنف السياسي لا يُوَلِد إلا عنفاً، وسيمنحهم هذا العنف الصلابة النفسية.

بناءً على ما تقدم فقد أُجريت هذه الدراسة للتحقق من فاعلية برنامج لتنمية تقدير الذات لعينة من مبتوري الأطراف لتحسين صورة الجسم السلبية لدى مبتوري الأطراف المصابين بعدوان2014م. وللتحقق من ذلك تم تصميم بعض الأدوات في ضوء ماضي، وحاضر الظاهرة وذلك بتحليل الأدبيات، والمقاييس، والدراسات السابقة، وتحليل الاستبيانات المفتوحة التي طبقت على أساتذة في علم النفس بكلية البنات للآداب والعلوم والتربية، ومعهد الدراسات العليا للطفولة بجامعة عين شمس، وعينة من مبتوري الأطراف بقطاع غزة. ومن خلال المراحل الموضوعية تم التحقق من الكفاءة السيكومترية للأدوات بما يُؤهلها لرصد النتائج.

مشكلة الدراسة:

في ضوء ما تقدم تُحدد مشكلة هذه الدراسة في الأسئلة التالية:

1- ما مدى اختلاف كل من تقدير الذات وصورة الجسم بتباين كل من المتغيرات الديموغرافية (العمر، النوع، الحالة الإجتماعية، نوع البتر، التعليم، المستوى الاقتصادي الاجتماعي).

2- ما مدى اختلاف كل من تقدير الذات وصورة الجسم باختلاف القياسين القبلي، والبعدي للبرنامج؟

3- ما مدى اختلاف كل من تقدير الذات وصورة الجسم باختلاف القياسين البعدي، والتتبعي للبرنامج؟

أهداف الدراسة: أن القيمة العلمية للدراسة تتمثل في تحقيق أهدافها بصورة إجرائية، ومن تم فإن أهداف الدراسة تتمثل في:

1- بيان تباين كل من تقدير الذات، وصورة الجسم باختلاف المتغيرات الديموغرافية (العمر- النوع – السكن – التعليم- المستوى الاقتصادي).

2- دراسة اختلاف تقدير الذات، وصورة الجسم باختلاف القياسين القبلي، والبعدي للبرنامج.

3- الكشف عن اختلاف تقدير الذات وصورة الجسم باختلاف القياسين البعدي، والتتبعي للبرنامج.

أهمية الدراسة ومبرراتها: تظهر أهمية الدراسة من خلال عدة اعتبارات تتمثل فيما يلي:

1- **الأهمية المنهجية:** تَعتمد هذه الدراسة على المنهجين الوصفي ، وكذلك المنهج التجريبي، والذي يتمثل في إعداد برنامج ارشادي من أجل

تنمية تقدير الذات لدى مبتوري الأطراف، وما يترتب على ذلك من تحسين لصورة الجسم لدى هذه العينة.

2- **أهمية العينة:** تُقاس أهمية أي دراسة من خلال العينات التي تعتمد عليها من حيث نُدرتها، أو شيوعها وباعتبار إعاقة البتر من الإعاقات الحركية الأكثر ارتفاعا، وأن نسبة مصابي البتر آخذة في الازدياد. وفي ضوء التقدم العلمي، وتطور المقاييس النفسية لدراسة البتر، وعلاقته بالمتغيرات المختلفة وجد أن عدد مصابي البتر في عدوان 2014 م بقطاع غزة بلغت (92) شملت أطفال، ومراهقين، وشباب، وكبار سن من الجنسين. ومن هنا أصبح رعاية، وتأهيل مبتوري الأطراف أمراً ضرورياً، لتوفير المناخ الصحي لهم، كما أن تدني تقدير الذات يُصاحبه سلوكيات انفعالية، ونفسية تُؤدي إلى تحقير الذات، والسلبية في التفكير، والعزلة، وضعف الثقة بالنفس.

3- أهمية المتغيرات: تُعزى أهمية الدراسة لتناولها متغيرات محورية، وفقاً لما توفر من بيانات ودراسات سابقة لم يسبق لدراسة عربية أن تناولت متغير تقدير الذات في علاقتها بصورة الجسم، وبالتالي لم يوجه الاهتمام لتطبيق برنامج إرشادي يعتمد على تنمية تقدير الذات في علاقتها لتحسين صورة الجسم لدى مصابي بتر الأطراف، وفيما يتعلق بالدراسات الأجنبية فمعظمها دراسات وصفية، وذلك على حد علم الباحثة.

4- **الأهمية السيكومترية:** تعتمد هذه الدراسة في جانبها السيكومتري على إعداد المقاييس التالية:

أ) بناء مقياس تقدير الذات، وبما يتناسب مع طبيعة عينة الدراسة، وخصوصيتها.

ب) بناء مقياس صورة الجسم، وبما يتناسب مع خصائص عينة الدراسة، وعلاقة هذا المتغير بتقدير الذات.

جـ) قائمة المستوى الاجتماعي والاقتصادي ، وبما يتناسب مع عينة الدراسة، وخصوصيتها.

5- **الأهمية الارشادية والعلاجية والوقائية:** تزداد قيمة الدراسة إذا ما تجاوزت الإطار التشخيصي، وهذا ما هدفت له الدراسة في شقها الأول لتصل لإطار الإرشاد، والعلاج، والتعديل من خلال بناء برنامج قائم على تنمية تقدير الذات لدى مبتوري الأطراف. وذلك سيساعد على تحسين صورة الجسم، وبالتالي تحسين نفسياتهم ليتمكنوا من التغلب على المشكلات النفسية، والاجتماعية التي تُواجههم في حياتهم، وهذا ما تصبوا إليه الدراسة.

6- **أهمية المجال البحثي:** تُعزى أهمية الدراسة لانتمائها لأكثر من مجال بحثي، فهي من حيث العينة (ذوي بتر) تنتمي لمجال ذوي الاحتياجات الخاصة، ومن حيث المنهج تنتمي للمنهج الوصفي، والمنهج التجريبي. أما من حيث المتغيرات (تقدير الذات، صورة الجسم) فهي تمثل علم النفس الايجابي. أما من حيث الفنيات فهي تمثل الإرشاد النفسي حيث السعي لبناء برنامج إرشادي لتنمية تقدير الذات كما أن مقاييسها تضعها في إطار القياس النفسي حيث بناء مقاييس (تقدير الذات- صورة الجسم)، ولاشك أن تعدد المجال البحثي يعكس أهمية هذه الدراسة.

محددات الدراسة: تتحدد نتائج الدراسة في ضوء عدة محددات تتمثل في التالي:

1- **أسئلة الدراسة:** وقد سبق الإشارة إليها.

2- **عينة الدراسة:** تعتبر العينة من المحددات الأساسية لنتائج أي دراسة، وتعتمد هذه الدراسة على عينة من مبتوري الأطراف السفلية، وسنوضح لاحقاً وصف العينة، وإبراز خصائصها، ومبررات اختيارها.

3- أدوات الدراسة: تتحدد نتائج هذه الدراسة في ضوء الأدوات المستخدمة، وسوف تعتمد هذه الدراسة على أدوات سيكومترية لقياس تأثير المتغيرات (تقدير الذات، صورة الجسم) فضلاً عن أداة حساب التكافؤ، وتتمثل في (قائمة المستوى الاقتصادي الاجتماعي) كما اعتمدت الدراسة على أدوات تدخليه إرشادية تمثلت في برنامج إرشادي تدريبي قائم على الإرشاد الانفعالي السلوكي لتنمية تقدير الذات، والذي سيساعد على تحسين صورة الجسم .

4- **الإطار المكاني:** ويقصد به الاطار الجغرافي الذي أخذت منه العينة، وقد أجريت الدراسة السيكومترية على عينة من مبتوري الأطراف من جمعية السلامة الخيرية للجرحى بمحافظة الشمال بقطاع غزة.

5- الإطار الزماني: ترتبط نتائج كل دراسة بالفترة الزمنية التي أجريت خلالها، وقد طبقت أدوات هذه الدراسة (البرنامج الارشادي والمقاييس على مدار خمسة شهور ابتداء من(يناير، وحتى مايو/2019) .

6- الحد البشري: تم إجراء الدراسة على مصابي بتر الأطراف السفلى المسجلين بجمعية السلامة الخيرية لذوي الاعاقة من المصابين ببتر الأطراف السفلى في عدوان 2014 والذين تتراوح أعمارهم بين (25-57) سنة والبالغ عددهم(30).

7- **المعالجة الإحصائية:** تُعد من المحددات الهامة لنتائج الدراسة، وقد حددت هذه الأساليب وفقاً للرزمة الإحصائية (SPSS) في ضوء حجم العينة، ونوعية الفروض، وطبيعة الأدوات.

مصطلحات الدراسة: نستعرض في هذا المقام التعريفين النظري والاجرائي لمصطلحات الدراسة:

أ- تقدير الذات Self-Esteem :

التعريف النظري لتقدير الذات :هو تقييم الفرد لنفسه من خلال معرفة مواطن قوته، وضعفه فيُعزز القوي ويطوره، ويُعدل الضعيف ويُغيره لتحقيق السعادة، والرضا.

ومن تم يمكن صياغة **التعريف الإجرائي التالي:** هو استجابة المرء إزاء مثيرات تتمثل في حب الذات وتقديره لها إيجابيا وسلبيا لما يدور حوله من آراء مجتمعية وكيفية تعامله مع الانفعالات وقدرته على التعبير عن مشاعره ، وهو ينعكس في الدرجة التي يحصل عليها المفحوص في المقياس المعد لذلك.

ب – صورة الجسم: Body Image

التعريف النظري:" هو صورة عقلية يكونها المرء لجسمه من حيث الشكل، والطول، والوزن سواء من وجهة نظره لذاته الجسمية، أو من وجهة نظر الآخرين لجسمه".

ومن تم يمكن صياغة **التعريف الاجرائي** بأنه" إستجابة الفرد لمثيرات مختلفة تتمثل في المكون الإدراكي، والانفعالي، والجسمي، والاجتماعي، وينعكس ذلك في الدرجة التي يحصل عليها المفحوص في المقياس المعد لذلك".

جـ– البتر: Amputation

يمكن صياغة **التعريف النظري** بأنه: " فقدان أحد الأطراف العلوية، أو السفلية، أو كلاهما معاً، أو جزء منها نتيجة للحوادث، والحروب والأمراض مما تؤثر سلباً على حياة المبتور من جميع النواحي الجسمية، والنفسية، والصحية، والاجتماعية، والمهنية".

يمكن صياغة التعريف الإجرائى بأنه: فقدان أحد الأطراف السفلية بسبب حرب 2014 والتى انعكست سلبياً على جميع مناحي حياة المبتور.

د- عدوان 2014: Aggression of 2014

أطلق عليه الاحتلال الصهيوني اسما معنويا هو الرصاص المصبوب كناية عن القوة والجبروت وسخونة وجدية العدوان لأن الرصاص الساخن حين يصب على الشيء يكون له مفعول الحرق المؤلم كما اطلقت المقاومة اسم العصف المأكول، أو البنيان المرصوص. بدأ العدوان على قطاع غزة في 2014/7/8 وانتهى في 2014/8/26م بلغ عدد الشهداء في قطاع غزة (2174) شهيداً، وإجمالي عدد الجرحى في العدوان(10870) جريحاً، منهم (92) حالة إعاقة بتر أطراف سفلية، وعلوية من فئات مختلفة شملت أطفالاً، وشباباً، وكبار سن. (معين الطناني،2014، 70-176)

التطور التاريخي لمفهوم تقدير الذات:

يُعتبر مفهوم تقدير الذات من المفاهيم التي لاقت اهتماماً بارزاً في السنوات الأخيرة من قبل الباحثين النفسانيين، والاجتماعيين، ويرجع الفضل لكل من:(مارجريت ميد ، وكولي) في إدخال هذا المفهوم لمجال علم النفس، فقد افترضت(مارجريت ميد) أن الفرد يأتي لمرحلة تكوين مفهومه عن ذاته من خلال تعريفه للسلوك الذي يجب أن يقوم به، وكذلك من خلال ردة فعله تجاه الآخرين. بينما اعتبر(كولي) أن صورة الفرد عن ذاته بمثابة المُحصلة لانعكاسات تقييم الآخرين. (عبدلي عامر،2015، 8)

وتقدير الذات كمفهوم قديم العهد له جذور راسخة ترجع إلى القرن التاسع عشر عندما تناوله العلماء في دراساتهم مثل (Maslow), (Ericsson), (Rogers), (Comics)، (James) حيث يُعتبر (William James) نقطة الانتقال بين الطرق القديمة، والحديثة في دراسة الذات. وقد حدد ذلك بأسلوبين للذات: الذات العارفة واعتبرها لا قيمة لها في

فهم السلوك لأنها تتضمن مجموعة من العمليات كالتفكير، والإدراك، واحتل مكانةً في الكتابات السيكولوجية إلى جانب المصطلحات الأخرى في نظرية الذات مثل مفهوم تقبل الذات الذي يشير إلى الفروق بين الذات الواقعية، والذات المثالية.

(فيوليت فؤاد، عبدالرحمن سليمان، 2002، 191)

إنّ جهل الإنسان لنفسه، وعدم مقدرته لمعرفة قدراته وإمكانياته، يكون ذلك سبباً لتقييم نفسه تقييماً خاطئاً، فإما أن يمنح الفرد نفسه أكثر مما يستحق فيثقل بذلك كاهله، وإما أن يُحقر ذاته، ويقلل من قيمتها فيسقط في متاهات الحياة، ويُشكل تقدير الذات دافعاً لتوليد مشاعر الفخر والاعتزاز، والانتماء، والإنجاز، واحترام الذات وتجنب الخبرات التي تسبب الشعور بالنقص.. ويجب أن يُعزَز هذا التقدير من قبل الذات، والبيت (الأسرة) والمدرسة، والأقران إضافة إلى المجتمع. (Smith, 2002, 90)

فتقدير الذات الحقيقي يكون نابعاً من داخلنا عندها يمكننا أن نمتلك تقدير ذات إيجابي يمنحنا الثقة، والاستقلالية، والرغبة في محاولة معرفة الأشياء الجديدة، نُكافح للتفوق والامتياز، نُحاول فعل ما بمقدورنا، ونقبل أنفسنا كما نحن، نعرف مواطن قوتنا وضعفنا، نعمل لتحسين أنفسنا، تكون لدينا توقعات إيجابية عن أنفسنا حينها يكون لدينا تقدير ذات حقيقي صحيح. (Powel, 2001, 5)

أهمية تقدير الذات Significance of self – esteem

أشار (Pawel) إلى أن تقدير الذات الحقيقي أهميته ينبع من داخلنا، عندما نمتلك تقدير ذات صحيحاً نكون واثقين، ومستقلين، وراغبين في محاولة معرفة الأشياء الجديدة نُكافح للتفوق والامتياز، ونحاول فعل ما بمقدورنا،

ونقبل أنفسنا كما نحن، نعرف قوتنا وضعفنا، نعمل لتحسين أنفسنا، وتَكون لدينا توقعات إيجابية عن أنفسنا. (Pawel , 2001, 5)

إن تقدير الذات لا يولد مع الإنسان بل هو مكتسب من تجاربه في الحياة، وطريقة رد فعله تجاه التحديات والمشكلات التي تواجهه في حياته، وضعف تقدير الذات ينمو بسبب كثرة الهروب من مواجهة المشكلات، وعدم الرغبة في الحديث عنها وهذا يتطلب شجاعة في أن يعترف الإنسان بأخطائه، وعيوبه لذلك كانت الخطوة الأولى هي تحسين مستوى الشجاعة لدى الفرد ليواجه عيوبه، ويعمل على حل مشكلاته بنفسه. (سحر شعبان، 2010، 37-38)

إنّ تقديرنا لأنفسنا يُقدم لنا الأساس لكي نكون كرماء منتجين مع الآخرين، وتقييمك لنفسك يختلف عن حُبك لنفسك.
(Alexander, 2001, 333)

هناك عدة طرق لتنمية تقدير الذات نوضحها فيما يلي:

وضع (Stricland, 2001) عدة طرق لتنمية تقدير الذات تمثلت فيما يلي:

1- أسلوب التنشئة الاجتماعية المتمثل في سلوك الوالدين المشجع، والدعم بالإتجاهات الإيجابية يؤدي لتطور وتنمية تقدير الذات في مرحلة الطفولة المبكرة.

2- أن المدرسة تنمي تقدير الذات لدى التلاميذ عن طريق إجراء المسابقات، وتشجيع المواهب.

3- أن جماعة الأقران الإيجابيين له دور هام في نمو تقدير الذات.

4- في مرحلة المراهقة يكون للتغيرات الفسيولوجية، والعاطفية، والعلاقة مع الجنس الآخر أثر في تكون تقدير الذات حيث الإحساس بالأمان، والثقة بالنفس.

5- أن نمو تقدير الذات لا ينمو في ظل عوامل بيئية فقط بل ينمو في ظل عوامل شخصية كالذكاء، والعلاقات مع الآخرين، وسمات الشخصية. (Stricland, 2001, 571)

تأسيساً على ما سبق يمكن استخلاص القراءات التالية:

1- تقدير الذات استجابة الفرد لمثيرات كحبه لذاته، وتقييمه لها إيجاباً، وسلباً، وكذلك إستجابته لما يدور حوله من آراء مجتمعية، وكيفية تعامله مع هذه الانفعالات، وقدرته على التعبير عن مشاعره.

2- يعكس تقدير الذات احساس الفرد بقيمته، وهو متغير تقييمي لمفهوم الذات.

3- كلما إزداد عدد الخبرات السلبية للفرد إزداد التأثير السلبي على تقدير الذات، وكلما إزداد عدد الخبرات الجيدة كان التأثير الإيجابي أقوى على تقدير الذات.

4- يرتبط تقدير الذات بالعلاقات الشخصية، ومدى توافق الفرد مع ذاته، ومع الآخرين.

5- تعددت اتجاهات تقدير الذات فمنها ما هو إتجاها، أو حاجة، أو حالاً، أو تقييماً.

6- تقدير الذات أحد المتغيرات النفسية التي تؤثر في الصحة النفسية سلباً، أو إيجاباً.

7- تقدير الذات هو حالة تفاعلية قابلة للتغيير.

8- العلاقة بين تقدير الذات، وصورة الجسم علاقة ارتباطية.

9- يُعتبر تقدير الذات حجر الزاوية للنمو الاجتماعي، والانفعالي.

دراسات ميدانية عن تقدير الذات: ونستعرض بعض الدراسات التي اهتمت بتقدير الذات في ضوء متغيرات الدراسة وذلك على النحو التالي:

دراسة (حنان معيري، وآخرون،2016) هدفت الكشف عن كيفية مساعدة ذوي الأطراف الاصطناعية في تحسين الذات لدى الراشد مبتور الأطراف، بلغت العينة (ن=4) (2 ذكور،2 إناث) تتراوح أعمارهم بين (25-27) عاما بالمرحلة الثانوية ما عدا واحدة جامعية. تم اختيار العينة بطريقة قصدية. تمثلت أدوات الدراسة في الملاحظة والمقابلة (نصف الموجهة)، وأشارت النتائج إلى أن تدني صورة الذات لدى الفرد يُبقيه عاجزاً عن مزاولة حياته الطبيعية في خضم المشاكل النفسية، والاضطرابات الخاصة بالإعاقة. وباستعمال البديل والتأهيل النفسي فالصورة السلبية للذات تتحول لصورة إيجابية، وذلك من خلال اظهار القدرات المتوفرة لديه.

وفي نفس السياق (Liu et al., 2010) والتي هدفت الكشف عن التجربة المعيشية للأفراد من ذوي حالات البتر للأطراف السفلية وما يسببه البتر من اضطرابات جسمية ونفسية واجتماعية. لدى عينة (ن=22) من مبتوري الاطراف في تايوان. أشارت النتائج إلى تقسيم حالات البتر السفلي الى أربع حالات: العيش بلا مأوى، الانهيار العاطفي، صعوبة معايشة الشدائد، الحفاظ دائما على بصيص لأمل. كما أظهرت النتائج معاناة العينة من اضطرابات جسمية نفسية اجتماعية ثقافية.

تناولت دراسة (Desmond & Maclachlan, 2006) المتغيرات الديموغرافية المتمثلة في (العمر، مستوى البتر، مدة البتر، مسببات البتر، استراتيجيات التأقلم متمثلة في حل المشكلات والمساندة الاجتماعية)، لدى عينة (ن=796) من المحاربين القدامى في المملكة المتحدة ممن بترت أطرافهم . أشارت النتائج إلى أن استراتيجيات التأقلم ارتبطت بالمعاناة النفسية، وتدني الذات، وعدم التوافق، وارتبط أسلوب حل المشكلات سلبياً بالقلق، والاكتئاب وارتبطت المساندة الاجتماعية سلبياً مع الاكتئاب، وايجابيا مع التوافق الاجتماعي. وأنه لا توجد فروق تعزى لمتغير العمر.

ودراسة (Kessler, et al., 2000) التي هدفت الكشف عن أثر العمر، والعجز الجسمي لدى مبتوري الأطراف على تقدير الذات، والقلق لدى عينة (ن=100) من مبتوري الأطراف، تتراوح أعمارهم من (1-60) عاماً. تمثلت أدوات الدراسة في مقياسي تقدير الذات، والقلق. أشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية بين تقدير الذات المنخفض، والإعاقة الجسمية، كما أشارت النتائج إلى أنه كلما ازداد العمر ازدادت الاتجاهات السلبية نحو الذات، وبالتالي ينخفض تقدير الذات لدى مبتوري الأطراف.

صورة الجسم Body image

بدأ الإهتمام بدراسة صورة الجسم في مجال المترولوجيا (القياس)، والطب النفسي حيث يعتبر بونيه (Bonner) من أوائل من تناول إتجاهات المرء نحو جسمه في التسعينات، وكذلك بيك(Pick) الذي اهتم بدراسة اضطرابات الاتجاه والسطح للجسم، وشبح الأطراف وهو من الذين مهدوا لدراسات متعددة عن صورة الجسم.

يعتبر طبيب الأعصاب (هنري هيد) أول مؤسس لنظرية الجسم ليبين كيف أن لكل فرد صيغة اجمالية لتكامل أجزاء جسمه يحكم بها على أوضاع،

وتحركات جسمه، فهو الباحث الأول الذي استعمل تعبير صورة الجسم، وأول من وصف مفهوم صورة الجسم. كما اهتم المحلل النفسي (Schilder) بدراسة صورة الجسم منذ حقبة مبكرة فقام بإجراء دراسات بين الفصامين والمصابين بإصابات بالدماغ. (فرج عبدالقادر وآخرون،1997، 52)

كما يعتبر طبيب الأعصاب، والمحلل النفسي النمساوي (schilder) أول من أطلق مصطلح صورة الجسم (BI) في كتابه "الصورة والمظهر للجسم الانساني الذي صدر أول مرة عام 1935م". (أسيل ابراهيم، 2015، 2)

أهمية صورة الجسم: Significance of Body Image

تُعتبر الناحية الجسمية مصدراً من المصادر الحيوية في تشكيل الذات، والتي تتضمن بنية الجسم ومظهره وحجمه، فطول الجسم، وتناسقه، ومظهره، وملامحه الجميلة لها تأثير إيجابي في رؤية الفرد لنفسه لأن ذلك غالباً يدعو لاستجابات القبول، والرضا، والتقدير، والحب، والاستحسان. ويُعد ذلك تعزيزاً ذاتياً، وقوياً وكذلك تعتبر قوة ذاتية تدفع الفرد إلى التجاوب مع قدراته الذاتية، والمناخ الاجتماعي بشكل مستمر لذا، فإن صورة الجسم لها أثراً إيجابياً في تفاعل الفرد الاجتماعي. (الظاهر، 2004، 147)

ويؤكد (Kirshenbaum) على أهمية صورة الجسم في عملية تقييم الفرد لذاته، وأن الأفراد الذين لديهم مفهوم غير إيجابي عن أجسامهم ناتج ذلك عن الاصابة بإعاقة جسمية، فإنهم غالبا ما يهتمون بمظهرهم الخارجي ورؤيتهم لذواتهم غير ايجابية سواء في الحاضر، أو المستقبل. (سحر شعبان،2005، 5)

إن عدم الرضا عن صورة الجسم لدى الإنسان يترتب عليه الكثير من المشكلات النفسية، وكذلك بعض الأمراض النفسجسمية التي تؤدي إلى تشويش صورة الجسم، وتنشأ هذه المشكلة عندما لا يتوافق شكل الجسم مع ما يعد مثالياً حسب تقدير أفراد المجتمع المحيطين به.
(منى الأنصاري، 2002، 181)

ويؤثر عدم رضا المرء عن صورة جسمه في حياته، فالفرد ذوو الصورة السلبية لجسمه لديه تقدير منخفض لذواتهم، ويُحاول إخفاء ملامح جسمه بالملابس الفضفاضة والقاتمة ، فصورة الجسم السلبية تُؤدي للاكتئاب، ولتقدير الذات المنخفض. (Stacy, 2000, 2-8)

يؤكد (Jourad, SM, 1958) على أن صورة الجسم تلعب دورا هاما في نمو الشخصية السوية. فشكل الجسم، وصورته السليمة تعتبر من العوامل الهامة في تحديد احساس الفرد بالأمان، وتقدير الذات فالعلاقة بين صورة الجسم، وتقدير الذات علاقة ارتباطية تأثير متبادل بين الجسم والنفس فكلاهما يؤثر في الاخر ويتأثر به. (نعيمة الحسناوي، 2017)

دراسات ميدانية عن صورة الجسم لمبتوري الأطراف، ونشير في هذا المقام لعينة من هذه الدراسات:

دراسة (جميل الطهراوي،2013) التي أوضحت صورة الجسم ، والحساسية الانفعالية لدى مصابي الحرب الفلسطينية بلغت العينة (ن=95) مصاباً ممن التحقوا ببرنامج (إرادة) وهو برنامج تدريبي أكاديمي مهني، وأوضحت النتائج أن متوسط صورة الجسم لدى المصابين بلغ (53%) وأن حساسيتهم الانفعالية بلغت (63.9%)، كما يوجد ارتباطاً إيجابياً دالاً بين الصورة السالبة للجسم والحساسية الانفعالية، وأنه لا توجد فروق دالة احصائيا في صورة الجسم، والحساسية الانفعالية تُعزى للحالة الاجتماعية، ولا لشكل الإصابة، ولا فروق بين المقاومين، وغير المقاومين ممن أصيبوا في الحروب.

وفيما يتصل بدراسة (Joan E. Edelstein et al., 2006) فكانت عن الوصمة الذاتية، والوصمة المجتمعية التي تعني نظرة المبتور لنفسه، ونظرة المجتمع له ينتج عن تلك الوصمة الارتباك، ومشاعر الخجل والحساسية المفرطة، أو الاشمئزاز. بلغت العينة (ن=30) من ذوي البتر. وأظهرت النتائج وجود اكتئاب لدى الشخص المبتور، ووجود مستوى منخفض في عدم توافقه، وانخفاض قيمة الحياة لديه كما أن الوصمة الذاتية قد تستمر لفترات طويلة بعد صدمة البتر لارتباطها بصورة الجسد.

تقدير الذات، وصورة الجسم:

تعتبر صورة الجسم مصدراً حيوياً فهي تُشكل تقدير الذات، والتي تتضمن بُنية الجسم، ومظهره، وحجمه فملامح الجسم الإيجابية من طول، وتناسق، ومظهر، وملامح تؤثر تأثيراً إيجابياً في رُؤية الفرد لنفسه، فيؤدي لاستجابات الرضا، والقبول، والحب، والتقدير للذات. كما تُسبب الإعاقة تَغير ظاهر في شكل الجسم، وهذا ما أكدته العديد من الدراسات كدراسة (أماني

حسين، 2008)، دراسة (بشير النجار وسامي اسحق، 2014) ، دراسة (وفاء القاضي، 2009). تتفق جميعها على أن الشعور السلبي تجاه الجسم للشخص المعاق يعني الشعور بقصور قدراته البدنية فيكون لديه مفهوم سلبي عن ذاته، فتقدير الشخص الإيجابي تجاه جسمه يؤدي لتقدير إيجابي لمفهوم الذات، والتقدير السلبي لجسمه يتولد عنه مفهوم سلبي لذاته. وأكدت على العلاقة بين تقدير الذات، وصورة الجسم كل من دراسة (Singh, et al., 2007)، ودراسة (Kim & Kim, 2006)، ودراسة (Oates, 2004).

وأكد (Dixon, 1974) أن المعاقين جسمياً يُظهرون تقييم ذات أقل من مستوى العاديين، وبالتالي تقدير ذاتهم منخفض بسبب رفض المعاق لإعاقته.

(السيد فرحات، 2004، 46)

إعاقة البتر Amputation

يُسبب البتر العديد من الاضطرابات النفسية، والمشاكل الجسمية، والاجتماعية للمبتورين والتي تكون بحاجة لمتخصصين من أطباء عاميين، ونفسيين، وأخصائي علاج طبيعي لتأهيلهم، وإعادة دمجهم، وتكيفهم في المجتمع لمواصلة الحياة وتقبلهم للوضع الجديد، وإخراجهم من الانغلاق على الذات، ومساعدتهم على تقدير ذواتهم، وبناء ثقتهم بأنفسهم .فالحرب انتهت لكنها بالنسبة لضحايا العدوان لم تنتهِ، وتظهر على شكل ندب نفسية خاصة لمن فقدوا أعضائهم فهم بحاجة دائماً لتقديم الدعم النفسي، والاجتماعي من خلال البرامج الإرشادية، والتدريبية لتمكينهم من إجبار المجتمع على تقبلهم، واحترامهم من خلال ما يقدموه لمجتمعهم.

أسباب إعاقة البتر: تتعدد أسباب البتر بتعدد أنواعه ونوضح ذلك فيما يلي:

أولاً : بتر الأطراف السفلية: **وتتمثل أسبابها فيما يلي:**

1- **الأمـراض:** Diseases مـن الأمـراض التـي تـؤدي لبتـر أحـد الأطـراف السـفلية أو جـزء منهـا. مـرض السـكر حيـث يـؤثر سـكر الـدم فيقلـل مـن قـدرة الجسم على معالجة أي قصور يحدث.

2- **أمـراض الأوعيـة الدمويـة:** يعـوق تـدفق الـدم وسـريان الـدورة الدمويـة وصولها للأطراف.

3- **التهابات العظام:** يؤدي التهابها لبتر الأطراف

4- الجلطات الدموية.

5- **الحـروق والحـوادث** Injuries & wars : تـزداد بسـببها نسـبة إعاقـات البتـر بسـبب اسـتخدام الأسـلحة المختلفـة التـي تـؤثر علـى جسـم الإنسـان وينتج عنها العديد من الجرحى والمصابين.

6- **الجراحة** Surgery .

(Tierney, 2006, 47)

ثانياً: بتر الأطراف العلوية: **ونجملها فيما يلي:**

1- التعرض للإصابة: مثل الحوادث، أو الحروق، أو الحروب.

2- التشـوهات الخلقيـة: يكـون معظمهـا لأسـباب وراثيـة، أو أسـباب غيـر معروفة.

3- أسباب بيئية تتمثل في:

أ) تعرض الأم لأشعة (X).

ب) إصابة الأم بمرض الحصبة الألمانية أثناء فترة الحمل.

جـ) تناول بعض الأدوية أو المهدئات. (Elesevier, 1991, 43)

أنواع البتر:

أولاً: بتر في الأطراف السفلية: **يكون البتر لأحدهما، أو للطرفين معاً ويشتمل على ما يلي:**

1- **بتر القدم** Foot Amputation يتمثل في : بتر أصبع القدم، أو أكثر من أصبع، أو بتر منتصف القدم، أو بتر القدم بأكمله، أو أي جزء منه.

2- **بتر الساق** Leg Amputation

- ويكون أما تحت الركبة، ويشتمل على أي بتر من الركبة حتى الكاحل.

- فصل الركبة Knee Disarticulation يحدث هذا البتر عند مستوى الركبة.

- **بتر الفخذ** Transfemoral يشتمل على بتر أي جزء من الفخد من عند الحوض وحتى مفصل الركبة.

- فصل الحوض Hip Disarticulation يكون من عند مفصل الحوض مع الفخد بأكمله.

ثانياً: البتر في الأطراف العلوية: ويكون إما بتر طرف واحد أو الاثنين معاً، ويشتمل على ما يلي:

1- بتر اليد أو جزء منها Hand Amputation

2- بتر الأصابع بما فيها، أو الإبهام، أو جزء من اليد تحت الرسغ.

3- فصل الرسغ Wrist Disarticulation يتم بتر العضو عند مستوى الرسغ.

4- بتر عظمة الساعد Transradial ،وذلك الذي يحدث تحت الكوع قد الرسغ، أو الساعد بأكمله.

5- بتر عضلة العضد Transshumeral فوق الكوع حتى الكتف أو في الجزء العلوي من الذراع.

6- فصل الكتف Shoulder Disarticulation يتم البتر عند مستوى الكتفين مع بقاء نصل الكتف، وقد يتم استئصال عظمة الترقوة، أو عدم استئصالها.

مراحل ردود الفعل للأشخاص المبتورين: ونُجملها فيما يلي:

1- **مرحلة الإنكار: Phase of Denial:** يكون ردة الفعل لدى الأشخاص المبتورين هو الإنكار، والرفض لما حدث، وغالباً ما يكون ردة الفعل هو نتيجة إخباره من طرف ليس له علاقة بالشخص المبتور كالطبيب المعالج بأنه قد تعرض لبتر أحد أطرافه، ويكون المبتور رافضاً لواقع جسمه الحالي لإدراكه أن وضع البتر نهائي لا عودة فيه، وينتج شعور الإنكار نتيجة لفهم الإنسان المبتور الواقع، والحقيقة المؤلمة التي لا رجعة عنها.

إن الذين يَقبلون وضعهم الجديد من مبتوري الأطراف تستمر معهم حالة الانكار بين فترة وأخرى، ويتكلم الفرد بواقعية شديدة عن وضع جسده الجديد حتى يهرب من الواقع، أو حتى يُنكر شدة إعاقته، ومدى تأثيرها عليه.

(Kohut, 1985, 24)

2- **مرحلة الغضب: Phase of Anger** : ينتاب المريض حالة الغضب بسبب اضطراب خططه في الحياة، والحسد للآخرين لدرجة توجيه الكراهية نحو الأفراد الذين يتمتعون بحياتهم في ظل جسد سوي، وفي هذه

المرحلة يكون الفرد عدواني السلوك، ويسبب المشاكل للعائلة، والأطقم الطبية التي تتعامل معه، لأنه بذلك يُعبر عن مشاعره السلبية، ويغضب أحياناً إذا اعتقد أن أحد من أفراد الطاقم الطبي اتخذ قراراً دون الرجوع إليه، وتكون مقاومته تجاه البيئة التي تحيط به متمثلة في صعوبة تقبل الأطراف الصناعية.

وهناك مَن أن بعض المبتورين إذا شعروا أنهم مرفوضين من الآخرين عبروا عن ذلك برفضهم للطرف الصناعي، ولسوء الحظ أن الأفراد المحيطين بالمبتورين يتولد لديهم أحياناً مشاعر سيئة إذا اعتقدوا أن الغضب الذي يظهره المبتور بمثابة هجوم شخص عليهم، وهذا يزيد من إحساس المبتور بالغضب.

3- **مرحلة المساومة: Phase of bagain** : يتولد لدى المبتور رغبة في تأجيل العودة إلى روتين الحياة العادي، ورغبة في أن يمكث فترة طويلة بالمستشفى، ويُظهر الفرد المبتور رغبة ملحة في الشفاء، أو بالأخص يتمنى لو يعود الجزء المفقود من جسمه مهما عظم، أو ارتفع قيمة ما يدفعه من ثمن مقابل رجوع جسده إلى السواء كما كان قبل البتر.

4- **مرحلة الاكتئاب Phase of Depression** :اعتراف المبتور بواقعه الجديد يدفعه إلى عدم إنكار إعاقته، والواقع الذي لا يمكن أن يتغير، وتَحل حالة الاكتئاب محل مشاعر الغضب، والإحباط.

5- **مرحلة التقبل Phase of acceptance**: تتحقق هذه المرحلة عندما يصبح لدى المبتور قدرة على استخدام آليات التكيف، وقبول الواقع الجديد دون غضب، أو رفض.(Arcel & et al., 1988, 176.)

مما سبق يتضح أن الأشخاص المبتورين يمرون بمراحل متعددة تتمثل في الانكار، والرفض لما يحدث، والغضب المستمر تجاه أنفسهم والآخرين، والمساومة، والتأجيل للعودة لروتين حياتهم، والاكتئاب،

والإحباط إلى أن يصلوا للتقبل هذه المراحل تحدث عقب صدمة البتر إلى أن يتمكن المبتور من التكيف مع نفسه، ومع مجتمعه، والتأقلم مع حياته الجديدة.

التأقلم مع البتر **Coping after Amputation** : يُعرف بأنه التغير الحادث في معرفة الشخص بعد تعرضه للصدمة بحيث يتمكن الأفراد من التعامل مع المتطلبات الداخلية، والخارجية الناتجة عن ذلك، ويكون هدف التأقلم السيطرة مع التغير الذي حدث جراء الصدمة، ومن وظائفه ما يلي:

1- تنظيم الانفعالات ، وتتم غالباً عن طريق تجنب الحدث كاستعمال الاسترخاء، كما تتم أيضاً عن طريق البحث عن المساندة الاجتماعية، والتطمين المستمر، ومن خلال المقارنات الإيجابية لتجارب الآخرين.

2- التعامل مع المشاكل التي تسبب تأزم الشخص من خلال البحث عن معلومات، ونصائح، وحل المشكلات .

3- مساعدة الأشخاص على فهم المشكلات التي تنتج عن الصدمة، وأن هذه المشكلات متغيرة ويمكن التحكم فيها.

العوامل المرتبطة بتأقلم الشخص، **وتتمثل في الآتي:**

أولاً: الشخصية: يتسم الفرد بسمات خاصة في التعبير عن مشاعره، وأفكاره، وسلوكه من خلال علاقاته وجديته، وإبداعاته، ويُشار إلى ذلك بالشخصية، والنسق المعرفي الذي يشمل المعتقدات، والتوجهات، والدوافع، والقدرات المتوفرة لدى الشخص، وأن للنسق المعرفي للشخصية دوراً مؤثراً في التأقلم مع الصدمة، وخبراتها.

ثانياً: الصدمة وطبيعتها: تؤثر الصدمة في إحداث الآثار الضارة فيما بعد، ويعتمد ذلك على: مدى شدتها؟، وهل توجد معها عوامل مصاحبة مثل

انفجار شديد، أو عتمة؟، وهل الصدمة فجائية، وغير متوقعة ولا يمكن التحكم بها؟، وهل حدثت الصدمة مع الجماعة؟، وهل هناك احتمال لتكرار الصدمة؟

أي أن الظروف التي تحدث بها الصدمة مهمة هل تبع الصدمة فقدان للبتر، أو فقدان لأفراد الأسرة، أو فقدان لصديق عزيز. فالعديد ممن بترت أطرافهم عقب عدوان (2014) ممن قصفت منازلهم على رؤوسهم، وهنا تكون الصدمة أقسى، وأعمق، وأقوى من صدمة فقدان الطرف فقط أي أن صدمتهم تكون مزدوجة.

ثالثاً: شبكة الدعم الاجتماعي: تعتمد سرعة التأقلم لدى الأشخاص المبتورين على مدى تقبل الأسرة، والدعم النفسي الذي يلاقيه الفرد من أسرته المحيطة. وأن هناك العديد من العوامل التي تؤثر في سرعة تأقلم الشخص المبتور مع الصدمة التي لحقت به، وهو في حاجة إلى المساندة الاجتماعية لكي يتكيف مع تنظيم الواقع الجديد الذي فرضته الحرب عليه، ومدى تقبل المجتمع له.

رابعاً: مستوى البتر وحدته: يؤثر مكان البتر، ومداه في سرعة التأقلم لدى الأشخاص المبتورين، ومن المتعارف عليه أن البتر ينتج عنه إعاقة حركية تؤثر على أداء الفرد لأدواره الوظيفية والاجتماعية وأن مكان البتر سواء كان علوياً يختلف في سرعة التأقلم عنه في الأطراف السفلية لما له من تأثير على حرية الحركة، والتنقل ويزيد من اعتماد المبتور على الآخرين. (محفوظ عثمان، 2000، 11-13)

وفي ضوء ما تقدم فإن الأسرة لها دورا أساسيا في عملية تأقلم الفرد المبتور خاصة إذا كانت أسرة مثقفة فاهمة داعمة له دعماً نفسياً، واجتماعياً بخلاف الأسرة التي تُهمش أبنائها مبتوري الأطراف، وتُهملهم ،ولا تَدْعَمهم

نفسياً، هؤلاء يختلفون في تحمل الصدمة عمن بترت أطرافهم، وتركوا بعد الحرب فاقدي أسرهم، ومنازلهم.

الطرف الصناعي، وتأثيره على حالات البتر:

يُعطل البتر حواس الفرد، وأعضاء الحركة عن قيامها بوظائفها ، وتتسم هذه الفئة بزيادة الحساسية تنمية لشعورهم بالنقص عند مقارنة حالتهم الجسمية بحالة الآخرين، مما قد ينشأ عنه عادة فقدان الثقة بالنفس، والعجز عن التكيف في المجتمع. لكن مع ظهور التأهيل، ووجود الأطراف الصناعية كان لها الأثر الكبير في الحد من هذه المشكلات. فللطرف الصناعي أهمية كبيرة في مساعدة الفرد المبتور على تحسين صورة الجسم لديه مما ينعكس إيجابياً على نظرته لذاته، وتقديره لها، ويمنحه ثقة بنفسه.
(الهواري، 1998، 32)

تأثيرات البتر على الأفراد الناجين من الحروب:

ثمة عوامل تؤثر في مبتوري الأطراف مثل التهجير، وفقدان ذويهم، وتدمير المنزل على ساكنيها، فالعبء يزيد على المبتور، ويحتاج إلى مساندة، ودعم نفسي من المحيطين به. كما تترك إعاقة البتر آثاراً جسمية، ونفسية، واقتصادية، واجتماعية على المبتور خاصةً، والمجتمع عامةً فتؤثر سلباً على جميع الجوانب الحياتية للفرد تتمثل فيما يلي:

1- **الناحية الجسمية:** الالتهابات الجلدية، ضعف المناعة – الأمراض السيكوسوماتية، الاعتماد الكلي على الاجهزة التعويضية العكاكيز، أو الكرسي المتحرك.

2- **الناحية الوجدانية:** عدم الأمان – الشعور بالوحدة والعزلة – الشعور بالظلم – ظهور اضطرابات كرب ما بعد الصدمة، وفقدان للثقة بالنفس، تدني تقدير الذات، القلق والتوتر.

3- **الناحية الروحانية:** فقدان الأمل – إزدياد الإيمان بالله.

4- **الناحيـة المعرفيـة:** السـلبية – فقـدان الإحسـاس بالغضـب – الاعتمـاد على الآخرين.

5- **الناحيـة السـلوكية:** الميـل إلـى الجماعـات الفرديـة – العزلـة والانسـحاب – الحساسـية المفرطـة – الإسـقاط علـى المجموعـات الفرعيـة – ضعف العلاقات الاجتماعية .

)6(Arcel & et al., 1988, 17

6- **الناحيـة الاقتصـادية:** نتيجـة لبتـر الأطـراف ينقطـع الفـرد عـن عملـه، ويصـاب بـالعجز عـن القيـام بـأي نشـاط اقتصـادي، وبالتـالي يـنخفض دخلـه، لهـذا فـالفقر يعتبـر حالـة مصـاحبة للإعاقـة، ويؤكـد علـى ذلـك دراسـة (Simkins, Tickner, 1978) هـدفت الكشـف عـن تـأثير الخـدمات المتاحـة للمعـاقين، ومـدى انعكـاس المسـتوى الاقتصـادي علـى تنميـة المجتمـع. أشـارت نتـائج الدراسة على أنه يوجد علاقة ارتباطية بين الاعاقة والفقر.

(عبدالمحي صالح، 1999، 210)

تقدير الذات، وصورة الجسم لمبتوري الأطراف دراسات ميدانية، ونشير لبعض هذه الدراسات فيما يلي:

1- دراسـات تناولـت العلاقـة بـين تقـدير الـذات وصـورة الجسـم، ومـن هذه الدراسات ما يلي:

دراسـة (وفـاء القاضـي،2009) والتـي هـدفت الكشـف عـن قلـق المسـتقبل، وعلاقتـه بصـورة الجسـم ، ومفهـوم الـذات لـدى حـالات البتـر بعـد الحـرب علـى غـزة. بلغـت العينـة (ن=250) فـرداً تـم اختيـارهم بطريقـة عشـوائية تتـراوح أعمـارهم بـين (18- فمـا فـوق) أشـارت نتـائج الدراسـة إلـى وجـود علاقـة موجبـة بـين قلـق المسـتقبل، وصـورة الجسـم لـدى حـالات البتـر، ووجـود علاقـة موجبـة بـين القلـق،

ومفهوم الذات لدى حالات البتر بعد الحرب على غزة، وعدم وجود علاقة في قلق المستقبل تعزى للجنس عند حالات البتر.

وفي دراسة (محمد الأسمر،2009) تناولت العلاقة ما بين صورة الجسد، وتقدير الذات لدى طالبات المرحلة الثانوية ، وأثر المستوى الاقتصادي، والاجتماعي في عدم الرضا عن صورة الجسد، بلغت العينة (ن=110) من الطالبات، أوضحت نتائج الدراسة وجود علاقة موجبة بين انخفاض تقدير صورة الجسد، وأعراض الاكتئاب، ووجود علاقة بينهما تُعزى للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في أثرها في عدم الرضا عن صورة الجسد.

وعن دراسة (Kim & kim, 2006) التي هدفت إلى بيان ما إذا كانت كتلة الجسم(BM)، وإدراك مشكلة صورة الجسم ذات علاقة بمستوى تقدير الذات، والاكتئاب لدى (ن=203) من المراهقات الكوريات، تراوحت أعمارهم (10–16) سنة، أظهرت النتائج أن مشكلة إدراك الوزن ارتبط بشكل دال مع انخفاض تقدير الذات ، وارتفاع مستوى الاكتئاب. كما تبين وجود علاقة طردية بين كتلة الجسم، وإدراك مشكلة الوزن.

وللتعرف على طبيعة العلاقة بين صورة الجسم، وتقدير الذات لدى مبتوري الأطراف جاءت كانت دراسة (إيمان حسن،2006) لدى عينة من (ن=30) شخص، (ن=15) مبتوري الأطراف عينة تجريبية، (ن=15) من الأصحاء عينة ضابطة. أظهرت النتائج وجود فروق في السيكوديناميات بين مبتوري الأطراف، والأصحاء.

2- دراسات ميدانية تناولت البرامج الارشادية لمتغيرات الدراسة وعينتها- نشير فيما يلي لبعض هذه الدراسات على النحو التالي:

وعن فاعلية برنامج إرشادي على مستوى الضغوط النفسية لدى عينة من الجرحى مبتوري الأطراف بمحافظات غزة كانت دراسة (Ismael 2011, لدى عينة بلغت (ن=100) مبتور الاطراف. تم أخذ عينة تجريبية قوامها(ن=24) من الجرحى مبتوري الأطراف. (8 إناث،16 ذكور) وهم الذين حصلوا على أعلى الدرجات على مقياس الضغوط النفسية. أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق إحصائية جوهرية في مستوى الضغوط لدى مبتوري الأطراف تعزى لمتغير الجنس، والعمر، ونوع البتر، الحالة الاجتماعية، ومكان السكن، والمستوى التعليمي، والعمل. ووجود فروق جوهرية في متوسطات درجات المجموعة التجريبية قبل القياس القبلي، والبعدي على مقياس الضغوط النفسية لصالح القياس البعدي، وكذلك عدم وجود فروق بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية في القياس البعدي، والتتبعي على مقياس الضغوط النفسية.

وفي نفس المجال كانت دراسة (عبدالكريم المدهون ،2004) وقد هدفت الكشف عن فاعلية برنامج ارشاد جمعي لتنمية تقدير الذات لدى الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة المعاقين حركيا. بلغت العينة (ن=60) من ذوي الاحتياجات الخاصة حركياً في جمعية النهضة للمعاقين حركياً، ومركز التحديات الحركية في محافظة اربد، تم اختيار (ن=40) معاقاً حركياً ممن حصلوا على أعلى الدرجات في مقياس تقدير الذات. اعتمدت الدراسة المنهج التجريبي تمثلت أدوات الدراسة في مقياس تقدير الذات (النجار)، وتم تصميم برنامج إرشاد جمعي استناداً إلى نظرية العلاج الانفعالي العقلاني السلوكي لألبرت اليس، أظهرت النتائج أن البرنامج الارشادي الجمعي كان فعالاً في زيادة تقدير الذات لدى المعاقين حركياً لصالح المجموعة التجريبية.

فروض الدراسة: في ضوء أسئلة الدراسة، وأهدافها، يمكن صياغة فروض الدراسة على النحو التالي:

1- يختلف كل من تقدير الذات، وصورة الجسم باختلاف المتغيرات الديموغرافية (النوع، العمر، الحالة الاجتماعية، نوع البتر، التعليم، المستوى الاقتصادي).

2- يختلف كل من تقدير الذات، وصورة الجسم باختلاف كلاً من القياسين(القبلي، والبعدي) للبرنامج.

3- يختلف تقدير الذات ، وصورة الجسم باختلاف كلاً من القياسين (البعدي، والتتبعي) للبرنامج.

أولاً: منهج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة على منهجين لتحقيق أهدافها وهما:

أ - **المنهج الوصفي:** يعتمد على جمع المعلومات عن موضوع معين خلال فترة زمنية محددة للوصول للنتائج وتفسيرها. ووفق هذا المنهج تم تشخيص متغيري تقدير الذات، وصورة الجسم والوقوف على مدى اختلاف كلاً من تقدير الذات، وصورة الجسم باختلاف المتغيرات الديموغرافية (النوع- العمر، نوع البتر، الحالة الاجتماعية، التعليم، المستوى الاقتصادي الاجتماعي)، وهذا ما يعكسه الفرض الأول بالدراسة.

ب- المنهج التجريبي: تعتبر البحوث التجريبية أدق أنواع البحوث العلمية التي يمكن أن تؤثر على العلاقة بين المتغير المستقل، والتابع في التجربة (جابر جابر، أحمد كاظم،1978).

أما عن التصميم التجريبي: اعتمدت هذه الدراسة على التصميم التجريبي ذي المجموعتين المتكافئتين، للتحقق من فاعلية البرنامج الإرشادي

في تنمية تقدير الذات لتحسين صورة الجسم من خلال تحديد الفروق بين القياسين القبلي والبعدي، والبعدي، والتتبعي. وقد اختيرا هذين المنهجين باعتبارهما أكثر المناهج ملائمة للفروض، والعينة، والأدوات على النحو التالي:

1- المقارنة بين المجموعة التجريبية التي خضعت للبرنامج، والمجموعة الضابطة التي لم تخضع للبرنامج، وذلك في القياس البعدي بعد أن تم التأكد من التجانس بين المجموعتين.

2- القياسين القبلي، والبعدي لنفس مجموعة الدراسة المتمثل في المقارنة بين المجموعة التجريبية قبل البرنامج، وذات المجموعة بعد البرنامج، وفي فترة المتابعة، وذلك من أجل التأكد من استمرار تأثير فاعلية البرنامج الإرشادي المستخدم مع المجموعة التجريبية.

ثانيا: مجتمع الدراسة، وعيناتها: تكون مجتمع الدراسة الأصلي من المصابين ببتر الأطراف في عدوان 2014، والبالغ عددهم (92). (مركز الأطراف الصناعية، جمعية السلامة الخيرية)، وتم اختيار عينة الدراسة، بالطريقة القصدية بهدف التحقق من الكفاءة السيكومترية للأدوات، وأيضا تم اختيار هذه العينة في ضوء أهداف البحث، وفروضه، وإطاره النظري، وفيما يلي شرح تفصيلي لعينات الدراسة.

ثالثا:عينة الدراسة: تم اختيار العينة من مصابي بتر الأطراف في عدوان 2014، وذلك لعدة أسباب من أهمها:

1- مدى الألم الذي يشعر به المصاب جراء بتر، أو استئصال جزءاً من جسده خاصة في فترة سن الرشد حيث سن الزواج، وتكوين الأسرة، والعمل.

2- أن معظم من أُصيبوا بالقصف الصهيوني جراء استخدام الأسلحة المتفجرة، والمحرمة دولياً، والتي تُسبب تهتك في الأنسجة، والعظام كانوا من المدنيين الآمنين في مرحلة الرشد.

3- العمل على تنمية تقدير الذات لدى مبتوري الأطراف، ومن تَم تحسين صورة الجسم السلبية لديهم سيُحسن من حالتهم النفسية والمزاجية.

العينة الاستطلاعية (السيكومترية): تمثلت في مجموعة من المصابين ببتر الأطراف السفلية بلغ قوامها (ن=30)، تم تطبيق مقاييس (تقدير الذات, صورة الجسم), بهدف التحقق من صلاحية استخدام المقاييس قيد الدراسة، ومعرفة مدى تجانس الفقرات، وقدرتها على قياس الظاهرة المراد قياسها، وذلك للتحقق من الكفاءة السيكومترية للأدوات، وتراوحت أعمارهم ما بين (25-57) سنة، يمثلون متغيرات ديموغرافية مختلفة، رُوعي عند اختيارها تمثيلها لخصائص العينة البحثية من حيث (النوع- العمر- نوع البتر- الحالة الاجتماعية- التعليم- المستوى الاقتصادي الاجتماعي)، وتم الاعتماد على هذه العينة في تحقق الأهداف التالية:

1- تم جمع المادة العلمية من خلال استبانة مفتوحة، طبقت على المتخصصين لجمع استجاباتهم على الأسئلة المفتوحة ملحق(6) الخاص بتقدير الذات، وصورة الجسم للوقوف على بعض الاستجابات التي تشكل رافداً أساسياً يعكس حاضر الظاهرة لزيادة الرصيد المعلوماتي الذي يضاف لروافد أخرى تتمثل في الأطر النظرية، والدراسات السابقة.

2- التحقق من الكفاءة السيكومترية للأدوات التي تم استخدامها في الدراسة.

عينة الدراسة الأساسية: تكونت عينة الدراسة من مصابي بتر الأطراف السفلية في عدوان 2014 م ، والبالغ عددهم(20) مصاباً, طبق

علـيهم مقياسـي (تقـدير الـذات, صـورة الجسـم). والهـدف مـن اختيـار هـذه العينـة هـو قيـاس تقـدير الـذات لـدى مصـابي بتـر الأطـراف السـفلية، وكـذلك المتغيـرات الدينامية المرتبطة به.

عينــة تجريبيــة: بلـغ عـددها(8) مـن مبتـوري الأطـراف السـفلية تـم اختيـارهم مــن المجموعــة الاســتطلاعية ممــن حصــلوا علــى درجــات منخفضــة فــي مقيــاس تقـدير الـذات، ومرتفعـة فـي مقيـاس صـورة الجسـم، وقـد خضـعت هـذه العينـة لإجـراء القيـاس القبلـي لأدوات الدراسـة، وتـم تطبيـق البرنـامج، وكـذلك تطبيـق القيـاس البعـدي، والتتبعـي لأدوات الدراسـة بهـدف التحقـق مـن فعاليـة البرنـامج الإرشــادي، وقــد تــم ضــبط المتغيــرات بغــرض عــزل تأثيرهــا عــن متغيــرات البرنامج، وأنشطته ومن هذه المتغيرات:

1- النــوع: تــم تثبيــت هــذا المتغيــر لأن أفــراد المجموعــة التجريبيــة مــن الذكور.

2- العمر: تراوحت أعمار عينة الدراسة بين(25-57) سنة.

3- المســـتوى الاقتصـــادي الاجتمـــاعي : طبقـــت قائمـــة المســـتوى الاقتصــادي الاجتمــاعي (إعــداد الباحثــة). تــم مقارنــة متوســطات درجــات أفــراد المجمـوعتين التجريبيـة ، والضـابطة مـن المصـابين ببتـر الأطـراف السـفلى علـى مقيـاس (تقـدير الـذات, صـورة الجسـم) قبـل تطبيـق البرنـامج, وذلـك للتحقـق مـن تكــافؤ أفــراد المجمــوعتين،, واســتخدمت الباحثــة التبــاين الأحــادي لأن المجموعتين تخضعا للتوزيع الطبيعي ويوضح الجدول التالي ذلك .

رابعاً: أدوات الدراسة: يمكن إيضاحها على النحو التالي:

1- **الأدوات الســـيكومترية:** تتمثــل فــي إعــداد مقيــاس تقــدير الــذات، ومقياس صورة الجسم.

2- **الأدوات الإرشـــادية:** تتمثـل فـي البرنـامج الإرشـادي الـذي هـدف إلـى تنمية تقدير الذات، ومن تم تحسين صورة الجسم لدى مصابي بتر الأطراف.

حساب الكفاءة السيكومترية لمقياس تقدير الذات: وتتضمن ما يلي:

أ - **ثبـات المقيـاس:** تـم التحقـق مـن ثبـات المقيـاس بـأكثر مـن طريقـة، وذلك للوفاء بالمعنى الأشمل للثبات، ونوضح ذلك فيما يلي:

طريقة ألفا لكرونباخ Alph- Cronbachs

جدول (1)

معامل الثبات لمقياس تقدير الذات وفقا لطريقة ألفا لكرونباخ

م	القيم الإحصائية / مكونات المقياس	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
1	الذات الاجتماعية	11	.810
2	الذات الجسمية	12	.860
3	الذات الانفعالية	9	.870
الدرجة الكلية لتقدير الذات		32	.880

يتبـين مـن الجـدول السـابق أن معامـل الثبـات للدرجـة الكليـة لمقيـاس تقـدير الـذات وفقـاً لطريقـة ألفـا لكرونبـاخ كانـت (0.88) ويُعـد معامـل ثبـات مرتفـع، مما يدل على أن المقياس يتمتع بثبات مرتفع.

ب – صـــدق المقيـــاس : تـم التحقـق مـن صـدق المقيـاس بـأكثر مـن طريقـة، وذلـك لأن للصـدق معـاني مختلفـة، رغـم أنهـا جميعـاً تلتـف حـول المعنـى الأشمل للصدق، ونذكرها كما يلي:

1- **صـــدق المحكمـــين:** تـم عـرض المقيـاس فـي صـورته الأوليـة علـى مجموعـة مـن الأسـاتذة، والخبـراء مـن أصـحاب الخبـرة، والاختصـاص فـي مجـال علـم الـنفس، (ن=3) للتحقـق مـن صـدق المضـمون للمقيـاس, ولتحديـد مـدى وضـوح العبـارات، ومناسـبة الفقـرات للمكـون الـذي تنتمـي إليـه فـي ضـوء تعريـف المكـون, حيـث كانـت نسـبة الاتفـاق بـين البـاحثين أكثـر مـن (90%)، وبـذلك يعـد المقياس صادق من وجهة نظر المحكمين.

2- **صـــدق البنـــاء والتكـــوين:** تـم بنـاء المقيـاس بتحليـل روافـد المعرفـة النظريـة (مقـاييس–نظريـات– دراسـات– تعريفـات) فضـلاً عـن تحليـل اسـتجابات الخبـراء علـى الاسـتبانة المفتوحـة، وقـد أسـفرت هـذه الخطـوة عـن عـدة مفـردات، تـم الابقـاء علـى أكثرهـا شـيوعاً لتمثـل مكونـات المقيـاس كمـا سـاعدت هـذه الخطـوة علـى صـياغة التعريـف الإجرائـي لمقيـاس تقـدير الـذات، وفـي ضـوء مـا تقـدم فـإن المقيـاس كمكونـات، ومفـردات تـم اشـتقاقها مـن أُطـر نظريـة، وميدانيـة، ومن تم فهو صادق من حيث البناء، والتكوين.

ب– حســاب الكفــاءة الســيكومترية لمقيــاس صــورة الجســم: جـاء إعـداد المقيـاس بـنفس خطـوات إعـداد المقيـاس السـابق، ويهـدف لتـوفير أداة سـيكومترية مسـتمدة مـن البيئـة العربيـة بمـا يتناسـب مـع ثقافتهـا. **وتتضـمن:** بعـد الاطـلاع علـى المقـاييس السـابقة اسـتفادت الباحثـة فـي تحديـد المؤشـرات الرئيسـية فـي بنـاء المقياس، وتحديد مكوناته.

أولاً: ثبات مقياس صورة الجسم: تم حساب ثبات مقياس صورة الجسم على أفراد العينة الاستطلاعية، من خلال عدة طرق منها طريقة ألفا لكرونباخ، وطريقة التجزئة النصفية، بعد حذف الفقرات التي لم تحقق ارتباط جوهري مع المكون الذي تنتمي له، وجاءت النتائج على النحو التالي:

طريقة ألفا لكرونباخ:

جدول (2)

معامل الثبات لمقياس صورة الجسم وفقاً لطريقة ألفا لكرونباخ

م	القيم الإحصائية / مكونات المقياس	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
1	الإدراكي	13	0.86
2	الانفعالي	9	0.89
3	الجسمي	10	0.82
4	الاجتماعي	12	0.86
الدرجة الكلية لصورة الجسم		44	380.

يتبين من الجدول السابق أن معامل الثبات للدرجة الكلية لمقياس صورة الجسم وفقا لطريقة ألفا لكرونباخ كانت (0.83)، ويعد معامل ثبات مرتفع، مما يدل على أن المقياس يتمتع بثبات عالٍ.

ثانياً: صدق المقياس:

1- **صدق المحكمين:** تم توزيع المقياس في صورته الأولية على عدد من الباحثين، والأساتذة من أصحاب الخبرة، والاختصاص من جامعات فلسطينية وعربية (ن=3)، ملحق (1) للتحقق من صدق المضمون للمقياس, ولتحديد مدى وضوح العبارات، ومناسبة الفقرات للمكون الذي ينتمي إليه في ضوء تعريف المكون, حيث كانت نسبة الاتفاق بين الباحثين أكثر من (90%). وبذلك يعد المقياس صادق من وجهة نظر المحكمين.

1- صدق البناء والتكوين: تم بناء المقياس عبر تحليل روافد المعرفة النظرية (مقاييس –نظريات– دراسات– تعريفات) فضلاً عن تحليل استجابات الخبراء على الاستبانة المفتوحة، وقد أسفرت هذه الخطوة عن عدة مفردات، تم الإبقاء على أكثرها شيوعا لتمثل مكونات المقياس كما ساعدت هذه الخطوة على صياغة التعريف الاجرائي لمقياس تقدير الذات، وفي ضوء ما تقدم فإن المقياس كمكونات، ومفردات تم اشتقاقها من أطر نظرية، وميدانية، ومن تَم فهو صادق من حيث البناء، والتكوين.

جـ- قائمة المستوى الاقتصادي الاجتماعي (إعداد /الباحثة) .

للتحقق من تكافؤ العينة من حيث المستوى الاقتصادي، والاجتماعي تَم إعداد القائمة وفقاً لمراحل وتم عمل تحليل كمي للقائمة.

هـ- الأدوات الانمائية: وتتضمن البرنامج الإرشادي الذي يستهدف تنمية تقدير الذات ومن تم تحسين صورة الجسم لدى مصابي بتر الأطراف السفلية، ويشتمل البرنامج على (21) جلسة، تم تطبيقها بصورة جماعية، وتستغرق مدة كل جلسة(60–90) دقيقة، بواقع ثلاث جلسات أسبوعياً.

يُعرف البرنامج الارشادي إجرائيا بأنه: هو مجموعة من الإجراءات المنظمة في ضوء أسس منهجية إرشادية تبعاً لنظرية العلاج المعرفي

السلوكي لتنمية تقدير الذات لدى عينة من مصابي بتر الأطراف السفلية بهدف إحداث تغيرات ايجابية في الأبنية المعرفية، والسلوكية تتمثل في خفض أعراض الشعور بالنقص بسبب صورة الجسم الناتجة عن كونهم مبتوري أطراف.

الفئة المستهدفة من البرنامج: يستهدف البرنامج عينة من مصابي بتر الأطراف السفلية البالغ عددهم(8) من الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين (25-57) سنة ممن حصلوا على درجات منخفضة على مقياس تقدير الذات، ودرجات مرتفعة على مقياس صورة الجسم السلبية.

أهداف البرنامج:

أ) الأهداف العامة:

خدمات تدريبية : تتمثل في تدريب، وإرشاد مبتوري الأطراف على تنمية تقدير الذات، وبالتالي تحسين صورة الجسم لديهم من خلال تدريبهم على بعض الفنيات، واكتسابهم مهارات الثقة بالنفس، ومهارة إدارة الوقت، ومهارة اتخاد القرا، وحل المشكلات.

خدمات تنموية: تتمثل في محاولة البرنامج تنمية تقدير الذات، وتحسين صورة الجسم لدى أفراد العينة.

خدمات وقائية: تتمثل في اكتساب مبتوري الأطراف للفنيات المعرفية، والانفعالية، والسلوكية التي تُنمي تقدير الذات، وتُكسبهم مهاراتها التي تتمثل في النظرة الإيجابية للذات، وإقامة علاقات إيجابية مع الآخرين، والمرونة ، والتفكير الوجداني.

ب) **الأهداف الإجرائية للبرنامج:** في ضوء الهدف الرئيس يمكن صياغة الأهداف الاجرائية كالتالي:

1- **المستوى الوجداني:** يتمثل في تعديل التفكير لديهم، والتدريب على الذكاء العاطفي أو الوجداني ، وهو الذي يُمكنهم من فهم أنفسهم، وفهم الآخرين.

2- **المستوى النفسي:** يتمثل في التحرر من الأنماط السلوكية غير الملائمة عن التعامل مع المشكلة، وإيجاد الاستراتيجية المناسبة للتدخل، وضبط الانفعالات، وذلك من خلال التدريب، والتنفيس عن الخبرات السلبية المكبوتة، وتنمية قدراتهم على اتخاذ القرارات التي تمكنهم من التوافق.

3- **المستوى الاجتماعي:** يتضمن تدريب مبتوري الأطراف بعض مهارات التفكير الايجابي، والذكاء الوجداني التي تمكنهم من التواصل الإيجابي مع الآخرين، وعدم الاستجابة للأفكار السلبية.

4- **المستوى الأخلاقي:** تحلي مبتوري الأطراف بسلوكيات إيجابية تتمثل في العمل التعاوني، والتطوعي الذي يقوي الشخصية، والتعاون مع الآخرين، وحب الجماعة، وما ينجم عن هذا من ثقة بالنفس وبالتالي تقبل الحياة، والعودة لمسار الحياة الطبيعي.

أهمية البرنامج: تبرز أهمية البرنامج من خلال عدة نقاط تتمثل فيما يلي:

1- حيث ظهرت من نتائج بعض الدراسات السابقة الأجنبية منها، والعربية التي أكدت على ضرورة تنمية تقدير الذات وتحسين صورة الجسم لدى مبتوري الأطراف، وهو ما يؤكد جدوى البرامج الإرشادية التدريبية لتلك العينة، واتضح أيضاً من خلال عرض الدراسات، والفنيات، والنظريات، والأسئلة المفتوحة التي وردت بالجدول الذي يوضح مصادر المعرفة لبناء البرنامج لتنمية تقدير الذات لدى المبتورين. كما هو موضح في جدول (49).

2- إثراء المكتبات العربية بالبرامج الإرشادية التي تهتم بفئة المبتورين، وما يواجههم من مشكلات في حياتهم خاصةً نظرتهم لأنفسهم نظرة سلبية.

3- يُقدم البرنامج مجموعة من المعلومات، والمهارات التي تساعد تنميتها لدى أفراد العينة لتحسين نظرتهم لأنفسهم، وكذلك للآخرين، وينمي لديهم تقديرهم لذواتهم فيكونوا قادرين على حل مشكلاتهم، وعلى اتخاذ قراراتهم مما يُعزز الثقة بالنفس لدى المبتورين.

4- يُعتبر البرنامج وسيلة مساعدة للمبتورين حيث يوفر لديهم خطوات بسيطة، وإرشادات تساعدهم على تطوير أنفسهم للأفضل.

الأساليب الإحصائية:

تم الاستعانة بالأساليب الاحصائية المناسبة في ضوء حجم العينة طبيعة المتغيرات، وطبيعة الأدوات المستخدمة في القياس، وكذلك الفروض المطروحة، وذلك باستخدام برنامج SPSS للتحقق من صحة الفروض. وقد اعتمدت الدراسة على نوعين من الاحصائيات نوضحها كما يلي:

1- **الأساليب الاحصائية البارامترية:** وقد استخدم في معالجة البيانات الخاصة بالجانب الوصفي من الدراسة لحساب الخصائص السيكومترية للأدوات وهى اختبار T لحساب دلالة الفروق، ثبات المقاييس بطريقة التجزئة النصفية وطريقة ألفا لكرونباخ والاتساق الداخلي، صدق التحليل العاملي، مقاييس النزعة المركزية (المتوسط، الوسيط، الانحراف المعياري).

2- **الأساليب الاحصائية اللابارمترية:** استخدم لمعالجة الفروض الخاصة بالجانب التجريبي في الدراسة، وذلك لصغر حجم العينة المستخدمة لهذا الغرض(ن=8)، فضلاً عن أن المنهج التجريبي المستخدم ذو المجموعتين مما استلزم المعالجات الاحصائية اللابارمترية.

3- **اختبار التوزيع الطبيعي** شبيرويلك Shapiro-Wilk

4- **معامل مربع إيتا.**

تفسيرنتائج الدراســـة:

الفرض الأول ونصه: **يختلف كلاً من (تقدير الذات – صورة الجسم)، ومكوناتهما لدى أفراد عينة الدراسة باختلاف المتغيرات الديموغرافية (النوع – العمر – نوع البتر- الحالة الاجتماعية- التعليم- المستوى الاقتصادي الاجتماعي).**

مناقشة نتائج الفرض الأول: بقراءة القيم الاحصائية نستخلص القراءات التالية:

لا توجد فروق دالة احصائيا تبعا للمتغيرات الديموغرافية في تقدير الذات ، وصورة الجسم، واتفقت نتائج هذا الفرض مع دراسة (هدية خطاب، 2014)، (De Goody et al., 2008)، (جميل الطهراوي، 2015)، حيث أنهم أشاروا إلى أنه لا توجد فروقاً دالة إحصائياً تُعزى لمتغير العمر، والنوع، ونوع البتر، الحالة الاجتماعية، المستوى الاقتصادي) لدى مبتوري الأطراف، ودراسة (Singh et al., 2007) التي أشارت إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة تُعزى للنوع والعمر.

كما اختلفت هذه النتائج مع نتائج دراسة كلاً من Wagar et al.,2015)، (Hqwwad et al.,2008)، Desmond& (Macclach,2006) ، دراسة (Adreess & Ilyas,2012) التي أشارت إلى أنّ التعليم يُخفف من وصمة الإعاقة في حياة المعاقين، وكذلك دراسة (Morrel Janess. A. , 1990). واختلفت مع دراسة Crosby, I., (Miller, C.,2005) التي أكدت أن الأقل عُمراً أقل قلقاً بشأن صورة الجسم،

واحترام الذات، والأكثر إرتفاعاً لتقدير ذواتهم لدى مبتوري الأطراف، ودراسة (Bhutani et al.,2006) ، ودراسة (محمد الأسمر،2009) التى أشارت إلى أن أصحاب المستوى الاقتصادي الأعلى من مبتوري الأطراف الأقل في مُستوى قلقهم النفسي.

ووفقاً لنظريات تقدير الذات، فإن فئة مبتوري الأطراف لديهم تقدير ذات منخفض نظراً لانتمائهم لفئة ذوي الاحتياجات الخاصة الأقل قيمة، لأنهم يستاؤوا من نظرة الشفقة لهم في عيون الآخرين. حيث أكد (ويندي داريدان،2016) على أن بعض الأفراد يُحقرون من ذواتهم بسبب وجود إعاقة لهم، لأنهم يُقيمون ذواتهم بطريقة سلبية.

الفرض الثاني ونصه: **توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية، والمجموعة الضابطة في القياس البعدي لصالح المجموعة التجريبية على (تقدير الذات, صورة الجسم).**

ولاختبار تلك الفرضية تم استخدام اختبار t-test للعينات المستقلة (نظراً لأن البيانات تتبع للتوزيع الطبيعي ، وذلك للتعرف على الفروق بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية على القياس البعدي لمقياس (تقدير الذات, صورة الجسم) كلا على حده،

مناقشة نتائج الفرض الثاني:

أشارت نتائج التحليل الاحصائي إلى أن الفرض الثاني قد تحقق من حيث فعالية أنشطة البرنامج في تنمية تقدير الذات وتحسين صورة الجسم، ويمكن القول أن التغيير الذي طرأ على سلوك مبتوري الأطراف يعزى لعدة اعتبارات يمكن توضيحها فيما يلي:

1- حسن استخدام الفنيات المناسبة التي تم اختيارها بموضوعية والتي تتمثل في (إعادة البناء المعرفي- لسيكودراما- لعصف الذهني- عب الدور-

لتغذيــة الراجعــة–الاســترخاء– لواجبــات المنزليــة– الأنشــطة القصصــية والفنيــة) والتـي تعتمـد علـى تزويـد أفـراد المجموعـة التجريبيـة بمعلومـات صـحيحة وتـدريبهم على مهارات تقدير الذات لتحسين صورة الجسم لديهم.

2- اختيــار أنشــطة البرنــامج الارشــادي، وعرضــها علــى نخبــة مــن المتخصصـين فـي علـم الـنفس للحكـم علـى مـدى مناسـبتها للظـاهرة المـراد تنميتهـا وذلك بعد أن تم تعديل وحذف بعض الأنشطة.

3- دمـج نظريـات علـم الـنفس الإرشـادية والعلاجيـة (المعرفيـة، والسـلوكية والانفعالية) على النحو التالي:

العـلاج المعرفـي: يزيـد فـي تحكـم المـرء فـي انفعالاتـه مـن خـلال مـا قدمـه البرنـامج مـن فنيـات سـاعدت أفـراد العينـة فـي الكشـف عـن التفكيـر السـلبي الـذي يؤدي لانفعالات غير سوية بحاجة لتحليها ومواجهتها والتحكم فيها.

العـلاج السـلوكي: يركـز علـى أن سـلوك الانسـان يـرتبط بـالخبرات السـابقة وبنـاء علـى ذلـك أُسـتخدم أسـلوب العـلاج السـلوكي كعامـل مسـاعد فـي تخلـص مبتـوري الأطـراف مـن السـلوكيات غيـر المرغوبـة والابقـاء علـى السـلوكيات المرغوبــة، تــم ذلــك خــلال الجلســات حيــث دعــم الســلوك الســوي الايجــابي ومنحهم فرصة تعلم سلوكيات جديدة.

العــلاج الانفعــالي: يعتمـد هـذا النـوع مـن العـلاج علـى الحالـة المزاجيـة لمبتـور الأطـراف تتـأثر باتجاهاتـه ومعتقداتـه والعـلاج النفسـي الفعـال يسـاعد علـى التفـاؤل وعـدم التشـاؤم ومـن هنـا سـعت جلسـات البرنـامج لإكسـاب مبتـوري الاطـراف مهـارات تمكـنهم مـن الـتخلص مـن الاحـداث السـلبية وتحويلهـا لإيجابيـة .

4- تم تحديد جلسات البرنامج بواقع ثلاث جلسات أسبوعيا مدة كل جلسة (90-60) دقيقة، وهذا اختيار مناسب لتوقيت الجلسات يعتبر من الخطوات الهامة لإنجاح البرامج الإرشادية. (محمد الشناوي،1996)

5- اختيار المكان، والزمان المناسبين لتنفيذ البرنامج. يزين بمرجع

6- أكدت البحوث أن أي سلوك انساني يوجد بمقدار وكل مقدار يمكن قياسه، وكل ما يمكن قياسه يمكن تعديله، وفي ضوء ما تقدم كان مستوى تقدير الذات يرتفع وفقاً لعوامل، ومسببات، وينخفض وفقاً لمسببات أخرى. (مصطفى عبدالفتاح،1993)

7- رغبة مبتوري الاطراف في التغيير، واتضح ذلك من استجابتهم للجلسات الارشادية، وحرصهم على حل الواجبات المنزلية، والالتزام بالحضور في الوقت المحدد، وعدم الغياب والمتابعة المستمرة من خلال الاتصال فجميع ما سبق كان له الأثر الإيجابي في تحسن الحالة النفسية لهم. (ماهر عمر،2004)

8- مراعاة الفروق الفردية من خلال جلسات البرنامج حيث تحقق الفائدة على الرغم من اختلافاتهم في الامكانيات، والاتجاهات، والسمات الشخصية.

ومن تم اتفقت نتائج الفرض مع دراسة كل من Hall & Torres,2002) أشارت نتائجها إلى فعالية برنامج إرشادي جمعي لعلاج الضغوط الجسمية والنفسية للمعاقين جسميا لتنمية تقدير الذات. أكدت النتائج على ان البرنامج كان فعالاً. ودراسة (الحمري،2001)، Ismael, A. (2011) أشارت لعدم وجود فروق في القياس البعدي والتتبعي. ودراسة Oates, 2004) أكدت على فالية البرنامج باستخدام الملاحظات والمقابلات والمقاييس، ودراسة (Thpmpson,1994 & Fisher استخدمت فنيات

العلاج السلوكي العلاجي تمثلت في استخدام النمذجة والتعزيز التمارين الرياضية، والواجبات المنزلية لعلاج اضطراب الجسم. ودراسة نادية عبد العزيز ،2016) اعتمدت استراتيجيات لتنمية التفكير الايجابي لمبتوري الاطراف تمثلت في الحوار، وحل المشكلات، الواجبات المنزلية، والمناقشة والحوار. ودراسة (عبدالكريم المدهون،2014) استخدم أسلوب الارشاد الجمعي واعتمد عدة فنيات تمثلت في لعب الدور والمناقشة والتغذية الراجعة مع الحالات.

الفرض الثالث ونصه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية في القياسين البعدي، والتتبعي على مقياس (تقدير الذات, صورة الجسم)، ومكوناتهما.

مناقشة نتائج الفرض الثالث:

أشارت نتائج التحليل الاحصائي إلى عدم وجود فروق دالة احصائياً بين متوسطات درجات مبتوري الأطراف على مقياس (تقدير الذات)، ومكوناته الفرعية باختلاف القياسين (البعدي –التتبعي) تجاه القياس التتبعي، والذي يعني أن درجات مبتوري الأطراف ما زالت مرتفعة مما يُؤكد بدوره على أن للبرنامج أثراً فعالاً في تنمية التنظيم الانفعالي لدى مبتوري الأطراف، وأن فعالية البرنامج استمرت إلى ما بعد الانتهاء من تطبيق البرنامج الإرشادي.

أي أن البرنامج الذي تم إعداده له أثر باقٍ، وفعّال، ومستمر في تنمية تقدير الذات، ومكوناتها الفرعية لدى مبتوري الأطراف، وهذا ما أكدت عليه نتائج بعض الدراسات التي أشارت إلى استمرارية تأثير البرنامج بعد الانتهاء من تطبيقه.

ويرجع ذلك إلى نجاح الاستراتيجيات والفنيات المستخدمة في البرنامج، والتي تمثلت في إعادة البناء المعرفي، الاسترخاء، السيكودراما، ،التخيل الانفعالي، الحوار الذاتي. كما يعزى نجاح البرنامج للإجراءات الخاصة لكل جلسة من الجلسات حيث تبدأ الجلسة بالترحيب والابتسامة، وتدعيم روح العمل الجماعي، والتعاون بين مبتوري الأطراف في جو يسوده الحب والود والاسترخاء النفسي مع عرض موضوع الجلسة الذي يشتمل على المهارة التي سيتم تعلمها بطريقة مبسطة، وسلسة، وبيان أوجه الاستفادة منها، وذكر نماذج من الواقع.

فضلاً عن أن أنشطة البرنامج تم تنفيذها بشكل جماعي مما يعزز التواصل بين مبتوري الأطراف، وتنتهي كل جلسة بتكليف أفراد المجموعة التجريبية بحل الواجبات المنزلية، وتذكيرهم بضرورة حل الواجبات المنزلية في بداية الجلسة التالية بشكل جماعي من خلال فنية التغذية الراجعة للأنشطة التي تم تكليفهم بالإجابة عليها في المنزل.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن البرامج الفعّالة ذات الطابع التنموي هي التي يستمر أثرها مدة طويلة بعد انتهاء البرنامج، ويرجع ذلك إلى إعداد أنشطة ومواقف البرنامج من واقع الحياة بما يتناسب مع طبيعة العينة وخصائصها، ونجاح الاستراتيجيات والفنيات التي تم استخدامها، وأن مبتوري الأطراف اكتسبوا عدة مهارات تم تدريبهم عليها من خلال الجلسات، حيث أن هذه المهارات جزءاً هاماً من أنشطتهم السلوكية في حياتهم، وممارستها بشكل يومي واستمرارية خاصة فنية الاسترخاء العضلي، والتنفسي صباحاً مساء.

تتفق النتائج مع دراسة (عبدالكريم جريد،2014)، Hall & (Torres,2002)، حيث أن نتائج الدراسات إلى ايجابية برنامج ارشاد جمعي لخفض المشاعر السلبية لدى مبتوري الاطراف، القائم على استخدام الجلسات الارشادية الجماعية التي تمثلت في اسلوب حل المشكلات، لعب

الـدور والمناقشـة والتغذيـة الراجعـة. حيـث تـم الحصـول علـى نتـائج ايجابيـة لتأكيـد البرنـامج. واتفقـت الدراسـة مـع نتـائج دراسـة كـل من.(الحمـري،2001) التـي أشـارت لفعاليـة العـلاج المعرفـي لعـلاج الاكتئـاب المصـاحب للإعاقـات الحركيـة أكـدت النتـائج لوجـود فـروق فـي القيـاس القبلـي والبعـدي لعينـة الدراسـة، حيـث اسـتمرت فعاليـة البرنـامج الإرشـادي المسـتخدم حتـى بعـد انقضـاء جلسـات البرنامج الإرشادية.

إلـى جانـب اعتمـاد البرنـامج علـى نظريـات الإرشـاد النفسـي، والتحليـل الجيـد للبرنـامج الإرشـادية بهـدف اسـتخلاص الأنشـطة، والفنيـات التـي يعتمـد عليهـا البرنـامج، كـذلك يعتبـر اختيـار أنشـطة البرنـامج الإرشـادي، وعرضـها علـى نُخبـة مـن المحكمـين(ن=3) المتخصصـين فـي علـم الـنفس للحُكـم علـى مـدى مُناسـبتها، حيـث تـم إضـافة، وتعـديل، وحـذف بعـض الأنشـطة، واختيـار المكـان، والزمـان المناسـبين لتنفيـذ أنشـطة البرنـامج فضـلاً عـن تـوفير المنـاخ النفسـي، والمكـان الملائـم لتطبيـق المقـاييس النفسـية، وجلسـات البرنـامج الإرشـادي، ممـا له بالغ الأثر في فعالية البرنامج.

ولقـد وفـر البرنـامج الإرشـادي عـدد مـن الأنشـطة التـي اسـتطاعت أن تلفـت انتبـاه مبتـوري الأطـراف لتجـاوز خفـض تقـدير الـذات لـديهم ، وتعمـيم الأفكـار الايجابيـة بـدلاً مـن الأفكـار السـلبية، وبهـذا يصـبح البرنـامج أكثـر تـأثرا فـي مسـار حيـاة مبتـوري الأطـراف ممـا سـيعيد للمشـاركين تقيـيم وتفسـير الأحـداث فـي ضـوء منظومة فكرية جيدة.

وفـي ضـوء ذلـك يمكـن القـول أن البـرامج الفعالـة هـي التـي يسـتمر أثرهـا لمـدة طويلـة بعـد انتهـاء البرنـامج والـذي يرجـع فـي الغالـب إلـى انتقـال أثـر التـدريب، واسـتخدام أنشـطة أعـدت بطريقـة تتناسـب مـع العينـة وخصائصـها، ونجـاح الاسـتراتيجيات التـي تـم اسـتخدامها فـي جلسـات البرنـامج الارشـادي، وهـو مـا تـم تحقيقـه فـي هـذه الدراسـة، ولعـل ذلـك يفسـر أن أفـراد المجموعـة التجريبيـة

– مبتوري الأطراف– تمكنوا من اكتسابهم للمهارات التي تم تدريبهم عليها خلال جلسات البرنامج الارشادي.

نتائج الدراسة: خلاصة القول لقد أسفرت الدراسة عن عدة حقائق يمكن إجمالها فيما يلي:

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الأفراد على مقياس تقدير الذات، وصورة الجسم تعزى للمتغيرات الديموغرافية (النوع – العمر– الحالة الاجتماعية – نوع البتر– المستوى التعليمي– المستوى الاقتصادي).

2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية، والمجموعة الضابطة في القياس البعدي لصالح المجموعة التجريبية على مقياس تقدير الذات، وصورة الجسم.

3- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في القياس البعدي لصالح المجموعة التجريبية على مقياس تقدير الذات، وصورة الجسم.

4- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات مبتوري الأطراف في القياسين البعدي، والتتبعي على مقياسي تقدير الذات وصورة الجسم بعد مرور فترة المتابعة(شهر ونصف) وهذا يؤكد على فعالية البرنامج الارشادي في تنمية تقدير الذات وتحسين صورة الجسم لدى مبتوري الأطراف.

التوصيات:

1- بناء وحدات إرشادية نفسية بمؤسسات رعاية ذوي الإعاقة مهمتها توفير البرامج الارشادية بشكل مستمر لمواجهة الاخطار النفسية التي ترافق اعاقة البتر.

1- أسيل ابراهيم (2015): أثر برنامج ارشاد جمعي في تحسين الرضا عن صورة الجسم وتقدير الذات لدى عينة من النساء اللواتي يُعانين من زيادة الوزن، **رسالة ماجستير**، ارشاد اسري-الجامعة الهاشمية، الزرقاء -الاردن.

2- أماني عبدالعظيم (2005): البناء النفسي لمريضات السرطان سرطان الثدي وسرطان الرحم (دراسة مقارنة)، **رسالة دكتوراه**، كلية الآداب، جامعة المنيا.

3- بشير النجار، سامي اسحق(2014): فاعلية برنامج ارشادي لإدارة الضغوط لدى الطلبة المعوقين حركيا وبصريا، **مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات التربوية والنفسية**، المجلد الثاني والعشرون، العدد الرابع،ص1-37.

4- جميل الطهراوي (2013): صورة الجسم والحساسية الانفعالية لدى مصابي الحرب الفلسطينية. **مجلة جامعة الأمة**، غزة، فلسطين.

5- حنان معيري، هدى معوزي، وفاء مزلوق (2008): دور الأطراف الصناعية في تحسين صورة الذات لدى الراشد مبتور الأطراف، **رسالة ماجستير** غير منشورة، الجزائر.

6- دائرة الإحصاء المركزية، ووزارة التنمية الاجتماعية(2018): **تقرير صادر عن ذوي الإعاقة بمناسبة اليوم العالمي للإعاقة**، رام الله، فلسطين.

7- السيد فرحات (2004): **سيكولوجية مبتوري الأطراف فقدان أحد أعضاء الجسم، وعلاقته ببعض سمات الشخصية**. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر.

8- الظاهر القحطان(2004): **مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق**، دار وائل للنشر، الأردن.

9- محمد الهنداوي (2011) : الدعم الاجتماعي وعلاقته بمستوى الرضا عن جودة الحياة لدى المعاقين حركيا بمحافظات غزة. **رسالة ماجستير**، جامعة الأزهر، غزة.

10- معين الطناني (2014): الحرب على غزة -بيت حانون نموذجا، **مجلة مركز التخطيط الفلسطيني**، العدد42،43، ص70-176.

11- منى الأنصاري (2002): بروفيل إدراك الذات البدنية لطالبات المرحلة

الثانوية بدولة البحرين، **مجلة العلوم التربوية والنفسية**، كلية التربية، جامعة البحرين، مجلد (3)، عدد (3) ص 177–200.

12- نعيمة المبروك الحسناوي (2017): تنمية تقبل الذات كمدخل لخفض الاعراض العصابية لدى المعاقين حركيا من طلبة الجامعة، **رسالة دكتوراه**، علم نفس تعليمي، كلية البنات للعلوم والآداب والتربية–قسم علم النفس.

13- وفاء القاضي (2009): قلق المستقبل وعلاقته بصورة الجسم ومفهوم الذات لدى حالات البتر بعد الحرب على غزة، **رسالة ماجستير**، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

14- عبدلي عامر(2005): الضغوط النفسية وعلاقتها بتقدير الذات لدى مرضى السكري– دراسة ميدانية، **رسالة دكتوراه**، جامعة قاصدي مرباح، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم علم النفس، تونس

15- فرج عبد القادر، وآخرون (1997): **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، ط1، دار النهضة العربية، لبنان.

16- محفوظ عثمان (2000): **يوم دراسي بعنوان الصدمة النفسية وآثارها**، كلية التربية، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين.

17- محمد الأسمر(2009): العلاقة بين صورة الجسد وتقدير الذات لدى طالبات المرحلة الثانوية والكشف عن العلاقة بين صورة الجسم والاكتئاب لدى طالبات نفس المرحلة، **رسالة دكتوراه** غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا.

18- سحر شعبان (2005): فاعلية برنامج إرشادي لتحسين مفهوم الذات لدى عينة من المراهقين مبتوري الأطراف، **رسالة دكتوراه**، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.

19- فيوليت إبراهيم، عبد الرحمن سليمان (2002): **دراسات في سيكولوجية**

النمو: الطفولة والمراهقة، الجزء الأول، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

2- عقد ورش العمل، والندوات في الجامعات، والمدارس للتوعية بكيفية التعامل مع ذوي اعاقة البتر.

3- دمج ذوي إعاقة البتر في مختلف المؤسسات التعليمية، والعملية .

4- إقامة المؤتمرات العلمية في الجامعات، والمؤسسات صانعة القرار لتشجيع الباحثين على إعداد الأبحاث الميدانية التي تخص شريحة ذوي إعاقة البتر .

5- إعداد البرامج الإرشادية بشكل مستمر لذوي إعاقة البتر بسبب الحروب، وتنفيذها في كافة المؤسسات التي تُعني بذوي الاحتياجات الخاصة.

6- تعميم استخدام البرنامج الإرشادي المقترح في هذا البحث ، والذي أتبث فاعليته، وكفاءته في تنمية تقدير الذات، ومن تم تحسين صورة الجسم، على جميع المؤسسات التي تُعنى بذوي إعاقة بتر الأطراف بسبب الحروب.

7- إعداد حلقات إرشادية مستمرة لتنمية تقدير الذات لذوي الإعاقة الحركية، وتقديمها بشكل مستمر عبر وسائل الإعلام المختلفة من خلال لقاء متخصصين في الإرشاد النفسي، أو عمل مقابلات مع ذوي الاعاقة للحديث عن المشكلات التي تواجههم، وكيفية التعامل معها.

أولاً : المراجع العربيه :-

ثانياً : المراجع الأجنبية : -

Alexander, T. (2001): Defining self-esteem what -1 is self-esteem and why does it matter? Self-esteem as an aid to understanding and recovery. Mental Health care, 4, (10). 332-335.

Arcel, tibby tata, Simunkove, Gorna Tocilg -2 (1988): War Violons, Trauma and The Coping Process, Rehabilitation center, Copenhagen Denemark.

John j. Nichdas, Susan M. cash, and James -3 Kaiser& James Kaiser Rush.(1995): Body Image, Perceived Social Stigma, and the prediction of psychosocial Adjustment to leg Amputation Bruce Rybarczyk.

Kessler, R., Price, R., & wortman, c. (1985). -4 Social Factors in Psychological Stress, Social Support and Coping Processes. Annual Review Psychology, 36 (1) 531-572.

Kim o. Kim k.(2006),weight, self esteem and -5 Depression among Korean adolescents Health. Oct, 39(4)

Department of nursing Kwandong Korea.

6- Kohut, H, and Strozier, c.p (1985): Self psychology and hunanties reflections on new psychology approach, New York.

7- Oates, Christina Mellissa. (2004). Does a recreational Swimming improve the self-esteem of Children with Physical Disabilities Possible underlying mechanism.p:155.

8- Tierney, Lawerence, Stephen. Jr. (2006): Current Medical -36 Diagnosis and Treatment, Librain du Liban.

9- Desmond, D & Maclachlan, M, 2006, Coping Strategies as Predictors of Psychosocial Adaptation in a Sample of Elderly Veterans with Acquired Lower limb Amputation. **Social Science and Medicine, Vol. 62,** pp. 208-216

10- Elsevier, BV (1999): Coping with amputation and phantom Limb pain, **Journal of psychosomatic research, 46(4).**

11- Singh, R., Hunter., & Philips, A.(2007): The rapid resolution of depression and anxiety symptoms after Lower Limb amputation.

12- Pawel, Jody (2001). Help your child develop self-

esteem. Brown University.

Smith, Richard (2002). Self-esteem The kindly, -13 apocalypsces **Journal of philosophy of education, 36 (1)**, P 87 .

Stacy, A. Kelly (2000): Amount of influence -14 selected groups have on the perceived body image of fifth graders. Master's thesis, the Graduate College, University of Wisconsin-Stout, Menomonie.

Stricland, Bonnie(2001): International -15 Evaluations of The Thetas lo self-Role of self-Esteem, **Journal of personality And Social psychology, 87(4)** 725-736.

التحديات الدبلوماسية الفلسطينية في أروقة الجامعة العربية لإنهاء الانقسام الداخلي الفلسطيني

بحث: صالح المصري*

واجهت الدبلوماسية الفلسطينية –وعلى مدار تاريخها في الجامعة العربية– تحديات وعقبات كانت خاضعة لطبيعة العلاقة بين حكام وملوك الدول العربية من جهة، وبين منظمة التحرير الفلسطينية، ومن جهة أخرى عدم وجود الهياكل الفلسطينية المؤهلة للعمل الدبلوماسي وتبع ذلك كله الانقسام الفلسطيني، وثورات الربيع العربي، الأمر الذي أصاب الدبلوماسية الفلسطينية بقدر من التعثر والتراجع.

في هذا السياق، اعتبر الدكتور إبراهيم أبراش، أن التحديات كانت كبيرة ومتعددة أمام الدبلوماسية الفلسطينية، فمن جهة لم تعد القضية الفلسطينية محور الاهتمام العربي خاصة بعد ثورات ما يسمى الربيع العربي، وتفكك العديد من الأنظمة وانهيارها، وظهور العديد من الجماعات الإرهابية التي ساهمت في زعزعة الأمن ، وانهيار السلم المجتمعي بصراعات مذهبية، وطائفية، واقتتال داخلي، بالإضافة إلى

---

* ماجستير دبلوماسية وعلاقات دولية

غرق المجتمعات العربية في مشاكلها الداخلية كالفقر، والبطالة، وتحديات الإرهاب وتدخلات الدول المجاورة في سيادة الدول، ونهب ثرواتها وإبعادها عن عمق قضاياها الوطنية والقومية، بإقحامه في دوامة المشاكل اليومية، والحياتية وتضييق الخناق على الحريات (مقابلة بتاريخ 22 ديسمبر 2019).

يمكن القول: إن القضية الفلسطينية فقدت مكانة الصدارة بعدما كانت في بؤرة الاهتمامات الأساسية لمعظم الدول العربية، ولم تعد مدرجة في صلب استراتيجياتها، مما ساعد في تراجع مواقف هذه الدول، ومن ثم انحسار دعمها المادي والمعنوي للقضية الفلسطينية، أو بالأحرى تراجع مساندتها للشعب الفلسطيني مساندة حقيقية وجادة، باعتبارها قضية الأمة وليست قضية الشعب الفلسطيني وحده، حيث تركه وحيداً في خندق المواجهة الأول مع المشروع الصهيوني، الذي يستهدف أصلاً إلى جانب فلسطين، سائر أقطار، وشعوب الأمة العربية من مشرقها إلى مغربها (صقر، 2011: ص 34).

كما تراجع الاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية كقضية سياسية، إلى مجرد اهتمامات إنسانية من إغاثة، ومساعدات غذائية، ورفع للحصار، كما تراجع التأييد الدولي للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وزادت من احتمالات التراجع عن القرارات الدولية، التي تؤكد على حقوقه التاريخية المشروعة، التي أقرتها الأمم المتحدة، خاصة القرارين 181- 194 (أبراش، 2009، ص 15)، (الصوراني، 2010: ص 41).

وأكد أبراش أن مشاركة بعض الدول العربية في تأجيج حالة الانقسام الفلسطيني بدعم طرف على آخر، وتبني وجهة نظره ودعمه معنوياً ومادياً وعدم

استقلالية القرار السياسي والاقتصادي للدول العربية التي تتبع معظمها الولايات المتحدة الأمريكية، ولم تستطع فعلياً القيام بخطوات تجاه القضية الفلسطينية سواء سياسية ،أو اقتصادية، وأن التطبيع مع اسرائيل سراً وعلناً خاصة من دول الخليج، وتعاظم المصالح المشتركة بين إسرائيل ، وعدد من الدول العربية وخصوصاً في مجالي الأمن والاقتصاد، إضافة إلى حالة الانقسام، وتعدد الخلافات داخل البيت الفلسطيني جعلت من مهمة الدبلوماسية الفلسطينية صعبة، وتزداد وعورة مع تفاقم الخلافات ، والتخوين، والتشهير على الفضائيات العربية، والدولية تجعل من الدبلوماسي يفقد بوصلته وتجعل منه بوقاً للدفاع عن وجهة نظر من يتبع له، هذه الحالة تفقده حضوره واحترام الجمهور له وتجعله عاجزاً عن القيام بدوره. (مقابلة مع د. أبرش بتاريخ، 22 ديسمبر 2019).

في حين رأى الدكتور نبيل عمرو [1]: أنه لا يوجد تأثير للدبلوماسية في أروقة جامعة الدول العربية، وإن وجد فهو سلبي لأن الدبلوماسية الفلسطينية منقسمة، ومتنابذة، والسلطة والمنظمة المعترف بها عربياً ودولياً متورطة في حالة الانقسام، أما الجامعة العربية فهي إطار معنوي تم استبعاده كلياً في جميع التحركات التي هدفت الى إنهاء الانقسام (مقابلة بتاريخ، 11 ديسمبر 2019).

وقد تركز الجهد كله في يد مصر وعبر جهاز المخابرات العامة، وحدثت فعاليات في العديد من الدول تحت عنوان إنهاء الانقسام، ولم تحرز أي تقدم، ومنذ بداية الانقسام وحتى أيامنا هذه لم تتدخل الجامعة العربية لا من قريب، ولا من بعيد في هذا الأمر، مع أنها ربما تكون مؤهلة للمساعدة إلا أن أحداً لم يطرق بابها، وكون

(1) السفير الفلسطيني السابق في القاهرة.

جامعة الدول العربية ضعيفة التأثير في الوضع العربي فهي بالضرورة ضعيفة التأثير في الشأن الفلسطيني، ولأن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تعتبر الانقسام شأنا داخلياً، وبالتالي أصبح التدخل العربي محصوراً بالدولة المصرية، فلا صلة للجامعة بهذا الموضوع، كما أن الدبلوماسية الفلسطينية لم تقم بأي جهد في الجامعة طلباً للمساعدة. (مقابلة بتاريخ، 11 ديسمبر 2019).

ومن الجدير ذكره أن القضية الفلسطينية قد تراجعت إلى أدنى اهتمامات العرب على المستوى الرسمي، بل والشعبي أيضاً، وذلك بفعل الانقسام وشكله، كما أن الانقسام دعم باتجاه التعامل مع القضية الفلسطينية كقضية إنسانية ونزع صفة القضية السياسية عنها؛ وذلك لعدم أهلية أهلها، كما أن النظام العربي الرسمي دعم أطرافاً منه – إحدى طرفي النزاع– مما عزز الانقسام الفلسطيني، وبعد الدم الذي سال تم القفز عن كل الأدبيات، والأخلاقيات، والاعتبارات الوطنية، والدينية في الخصومة السياسية، فظهر ذلك جلياً عبر الفضائيات العربية، كما أن الدبلوماسية الفلسطينية كانت طرفاً في النزاع الفلسطيني الفلسطيني، مما زاد في هوة الانقسام، يضاف إلى ذلك كله ضعف الجامعة العربية أصلاً، والذي انعكس عليها بعدم مقدرتها على فض الاشتباك الفلسطيني الفلسطيني، وإعادة الأمور إلى ما كانت إليه حسب القرارات التي اتخذتها الجامعة العربية في دوراتها المتعاقبة.

العقبات والتحديات التي واجهت الدبلوماسية الفلسطينية

من العقبات التي واجهت الدبلوماسية الفلسطينية تجاه جامعة الدول العربية فقد أكد الدكتور عبد الأشعل [1] ذلك بقوله: " إن الجامعة العربية حدث فيها تحول لمركز

([1]) مساعد وزير الخارجية المصري السابق.

الثقل فانتقلت من القاهرة الى السعودية، فأصبحت السعودية لا تعترف إلا بحركة فتح ولا تعترف بحركة حماس وتعتبرها إرهابية وبالتالي تأثرت الجامعة العربية بالموقف السعودي لتخرج عن حيادها، وتجعل عقبة جديدة أمام الدبلوماسية الفلسطينية في الجامعة العربية من خلال رفض حماس لما سيخرج عنها كونها منحازة (مقابلة بتاريخ، 20 ديسمبر 2019).

وأن الموقف بعد تولي السعودية زمام الأمور في الجامعة العربية بدأ يتجه نحو الهيمنة على الجامعة العربية، وبالتالي فقدت السعودية والجامعة صفة الطرف الوسيط، والنزيه بانحيازها لحركة فتح (حزب السلطة) (مقابلة بتاريخ، 20 ديسمبر 2019).

وحول تحديات الدبلوماسية الفلسطينية، اعتبر منير شفيق [1]: أن الدبلوماسية الفلسطينية طرف في الانقسام الفلسطيني وأنها تلتزم بالدور المصري، ولا تستطيع الدبلوماسية الفلسطينية إعطاء دور للجامعة العربية بديلاً لدور مصر، لاسيما وأن أمين عام الجامعة العربية يجب أن يكون مصرياً، وترشحه مصر الرسمية، ولم يختل هذا التقليد إلا بعد المعاهدة المصرية – الإسرائيلية وانتقال المقر إلى تونس ثم عاد الوضع بعد عودة مصر إلى الجامعة العربية، وانتقال المقر مرة أخرى الى القاهرة. كما أن وضع الدول العربية الأعضاء في الجامعة يقرر دور الجامعة وليس العكس، وعليه فالجامعة تعكس سياسة مصر ثم ما يتبع تلك السياسية أو تعطيلاً لموقف كل دولة (مقابلة بتاريخ، بتاريخ 6 يناير 2020م).

(1) كاتب ومفكر سياسي وعضو المجلس الوطني الفلسطيني.

وأكد منير شفيق: أن الانقسام له دور مهم على الدبلوماسية الفلسطينية في أروقة الجامعة العربية لأنها معترفة رسمياً بأحد أطراف الانقسام، وزاد الأمر سوءاً على الدبلوماسية الفلسطينية أن الموقف الرسمي المعلن من كل الدول العربية برفض الانقسام، وفي نفس الوقت محاولة إذلال الفلسطينيين بسبب الانقسام، وسحب مسؤوليتهم عن القضية الفلسطينية، واعتبار الانقسام شأناً داخلياً فلسطينياً، الأمر الذي انعكس على الأداء الدبلوماسي بشكل سلبي (مقابلة بتاريخ، بتاريخ 6 يناير 2020م).

وحول ضعف تأثير الدبلوماسية الفلسطينية في الجامعة العربية فقد أكد الدكتور محمود الزهار [1] بالقول: " أن الدبلوماسية الفلسطينية لم تضغط أو تطلب من الجامعة العربية أن تتحرك لإنهاء الانقسام باعتبار أن الدول العربية لها مواقف مختلفة ولا تستطيع أن ترغم الجامعة العربية أن تتخذ قراراً جماعياً من الانقسام، فتقدمت الدول بمبادرات فردية، لكن لو طلب الطرفان (فتح – حماس). من الجامعة أن تتدخل لتدخلت باعتبار أن الجامعة لا تتدخل في الشأن الداخلي للشعوب، والجانب الفلسطيني غير متفق على تدخل الجامعة العربية (مقابلة بتاريخ، 21 ديسمبر 2019).

فيما أكد الأشعل: أن دول جامعة الدول العربية تدرك تماماً أن الانقسام لا بد أن ينتهي داخل الصف الفلسطيني أولاً، باعتباره قضية فلسطينية خاصة بأبناء البيت الواحد، فإذا كانوا غير متفقين على حل إشكاليتهم فكيف يمكن فرض حل من الخارج، وأن القصور من الصف الفلسطيني ممثلاً بحركتي فتح وحماس. وأن المخططات ضد القضية الفلسطينية يجب أن تدفعهم للوحدة وإنهاء الانقسام، وإذا أدركوا حجم المخاطر

(1) وزير الخارجية الفلسطيني في حكومة الوحدة 2006 والقيادي في حركة حماس.

سوف يغلّبون المصلحة العامة على حساب مصالحهم الخاصة (مقابلة بتاريخ، 20 ديسمبر 2019).

يضاف إلى ذلك كله أن العقبات التي واجهت الدبلوماسية الفلسطينية في أروقة جامعة الدول العربية ما أوضحه جميل عَزّم بقوله: " إن القيادة الفلسطينية لا تريد الحل التدريجي في ملف المصالحة، وإنما تريد وجود حكومة فلسطينية تقوم بتولي جميع المهام. أما حركة حماس فإنها تخلت عن الحكومة، ولكن لم تتخل عن السلطة. وخروجاً من الأزمة يجب أن تطرح القيادة الفلسطينية تصوراً للشراكة السياسية، ودخول حركة حماس إلى منظمة التحرير الفلسطينية، ووضع تصور جديد للبرنامج الفلسطيني، سواء بحل السلطة أو نقل السلطة إلى دولة، أو إعادة الاعتبار لمنظمة التحرير بدخول حماس إليها بطريقة معينة" (موقع عرب 21، 2018: ويب).

وتزداد العقبات أمام الدبلوماسية الفلسطينية وضوحاً من خلال ما ذكره الدكتور صائب عريقات [1] : أن الانقسام السياسي الفلسطيني أدى إلى ازدياد الانتقادات لسياسة م. ت. ف محلياً ودولياً، وعدم القدرة على التوجه للرأي العام العالمي بصيغة مشتركة، واستغلال إسرائيل لهذا الانقسام، واعتباره إشارة على عدم جدية أو قدرة الفلسطينيين على القيام بدولة ذات سيادة، ووضع المفاوض الفلسطيني دائماً في موقف دفاعي، كل ذلك أوجد عقبات، وتحديات جسام أمام الدبلوماسية الفلسطينية لإقناع المعنيين في الجامعة العربية من حمل القضية الفلسطينية، ومحاولة إيجاد حلول لها (مقابلة بتاريخ 22 ديسمبر 2019).

(1) كبير المفاوضين وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح.

ورأى صائب عريقات: أن أهم المخاطر التي يسببها الانقسام على الدبلوماسية الفلسطينية والقضية الفلسطينية برمتها تتمثل بعدم وجود خطاب موحد، وعدم التعامل مع الواقع الفلسطيني بجدية من قبل المؤسسات، والهيئات الدولية، حيث أصبحت القيادة الفلسطينية بين مطرقة التنازل عن منهجيتها، واستراتيجيتها في العمل الدبلوماسي وسندان حماس الذي يطالب بأمور تجعل من العمل الدبلوماسي الفلسطيني أكثر صعوبةً وتعقيداً (مقابلة بتاريخ 22 ديسمبر 2019).

ومن العقبات الحاضرة أمام الدبلوماسية الفلسطينية ما أوضحه المحلل السياسي مصطفى الصواف بقوله: " أن الجامعة العربية لا تستطيع استقبال ملف المصالحة الفلسطينية، وقد حولت ملف المصالحة إلى الجانب المصري لأنها تدرك أن الجانب المصري أكثر قدرة على إدارته".

وأكد: أن ملف المصالحة الفلسطينية سيبقى في يد جهاز المخابرات المصرية، ولن يدخل أي طرف آخر في هذا الملف، معتبراً أن جامعة الدول العربية لا تتعامل مع القضايا الجزئية، وإنما تحولها الى بعض الدول، وأن الجامعة العربية لا تستطيع أن تحمل ملف المصالحة، وإذا ما حصل ذلك، فهذا يعني فشل الجانب المصري الذي لا يمكن أن يقبل بأن يطلق عليه بأنه فشل في ملف المصالحة، لذلك فان الحديث عن إمكانية تحويل ملف المصالحة إلى جامعة الدول العربية هي مجرد مهاترات" (موقع عرب 21، 2018: ويب).

إسرائيل تعرقل الدبلوماسية الفلسطينية:

لم تقتصر العقبات التي تواجه الدبلوماسية الفلسطينية على الفلسطينيين أنفسهم بل كان هناك استغلال خطير للانقسام من قبل إسرائيل مثّل عقبة أمام الدبلوماسية

الفلسطينية في إقناع الجامعة العربية، أو غيرها للتضامن معه وحل قضاياه، وظهر ذلك جلياً في قول الدكتور إبراهيم أبراش: " ليس من شك، في أن الانقسام، والاقتتال الداخلي الدموي قد وفّر فرصة مواتية أمام الاحتلال الإسرائيلي، لكي يشوه سمعة الشعب الفلسطيني ومظهره الحضاري، حيث فقد المقاتل الفلسطيني، والسلاح الفلسطيني لطرفي النزاع احترامهما، وهيبتهما أمام العالم وأمام الشعب، عندما انحرفت البوصلة عن مسارها الوطني، وأصبح السلاح الفلسطيني يوجه نحو الفلسطيني، وعندما بات المقاتل الفلسطيني مجنداً ضمن جماعات مهمتها قمع الفلسطيني، ومطاردته، وإهانته، وعندما تحولت القضية من قضية شعب يناضل من أجل الحرية، والاستقلال، إلى صراع على سلطة وهمية، بين من يفترض أنهم فصائل حركة تحرر وطني، حيث أضر الوضع الفلسطيني المنقسم بصورة المشروع الوطني، وبصورة المقاومة عند العرب والمسلمين والأمم الأخرى" (أبراش، 2009، ص 14-15).

دول عربية تعرقل الدبلوماسية الفلسطينية:

لم يقتصر الأمر على استغلال إسرائيل للانقسام ووضعها عراقيل جديدة أمام الدبلوماسية الفلسطينية، بل تعدى ذلك إلى بعض الدول العربية التي وفرت الانقسام الفلسطيني بين حركتي فتح وحماس الفرص المواتية أمام بعض الدول العربية، لكي تجد المبرر لنفض يدها تدريجياً من القضية الفلسطينية، كما شجع البعض الآخر منها على الهرولة نحو التطبيع مع دولة الاحتلال الإسرائيلي (صقر، 2011، ص 33).

كما انعكس الفصل الجغرافي بين قطاع غزة، والضفة الغربية سلباً على العمل الاستراتيجي للعمل المقاوم، "حتى الانتفاضة بشكلها السلمي، وذلك بسبب انقطاع التواصل ما بين الضفة وغزة، وما سببه من غياب مرجعية واحدة يمكن أن توجه

الحالة النضالية" (ابراش، 2009: ص 14).

كما أبطل الانقسام – على أرض الواقع – إمكان تطبيق قرارات الشرعية الدولية في شأن فلسطين، لأن الشرعية الدولية تتحدث عن الضفة وغزة كوحدة واحدة، كما أضعف حق عودة اللاجئين، ذلك بأن هذا الحق يعتمد على قرارات دولية، وحركة حماس لا تقر بالشرعية الدولية، ولا بقراراتها، خاصة أن الشرعية الدولية تعترف بإسرائيل، وتبني قراراتها على هذا الاعتراف (ابراش، 2009: ص 14).

في حين يرى الدكتور عبد الستار قاسم [1]: الانقسام السياسي الفلسطيني الداخلي ساهم في تمرير الدعاية الاسرائيلي القائلة، بأن الفلسطينيين إذا ما تم إعطاؤهم دولة سيقتتلوا، بالإضافة إلى أن الانقسام أدى إلى استثمار الأمر من بعض دول الإقليم، والتي استغلت حالة الانقسام مما ساهم بتعميقه، فالانقسام أوجد واقعاً مأزوماً فيما يتعلق بإدارة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي من جهة، ومن جهة أخرى أدخلت المشروع الوطني الفلسطيني في عدة متاهات (مقابلة 20 ديسمبر 2019)

في حين رأى الدكتور نبيل عمرو [2]: أنه لا يوجد تأثير للدبلوماسية في أروقة جامعة الدول العربية، وإن وجد فهو سلبي لأن الدبلوماسية الفلسطينية منقسمة ومتنابذة والسلطة والمنظمة المعترف بها عربياً ودولياً كانت متورطة في حالة الانقسام، أما الجامعة العربية فهي مجرد إطار معنوي تم استبعاده كلياً في جميع التحركات التي هدفت إلى إنهاء الانقسام (مقابلة بتاريخ 11 ديسمبر 2019).

(1) أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية بنابلس.

(2) السفير الفلسطيني السابق في القاهرة.

وأضاف: لقد تركز الجهد كله في يد مصر وعبر جهاز المخابرات العامة، وحدثت فعاليات في العديد من الدول تحت عنوان إنهاء الانقسام، ولم تحرز أي تقدم نحو هذا الهدف، ومنذ بداية الانقسام وحتى أيامنا هذه لم تتدخل الجامعة العربية لا من قريب ولا من بعيد في هذا الأمر مع أنها ربما تكون مؤهلة للمساعدة إلا أن أحداً لم يطرق بابها.

وبين عمرو عندما تكون جامعة الدول العربية ضعيفة التأثير في الوضع العربي، فهي بالضرورة ضعيفة التأثير في الشأن الفلسطيني ولأن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تعتبر الانقسام شأناً داخلياً فإن التدخل العربي محصور بالدولة المصرية، فلا صلة لها بهذا الموضوع ولم تقم الدبلوماسية الفلسطينية بأي جهد في الجامعة طلباً للمساعدة.

يلاحظ أن التحديات التي واجهت الدبلوماسية الفلسطينية كثيرة ومتنوعة، فجزء منها كان نابعاً من القصور الذاتي للدبلوماسية الفلسطينية بعدم وجود هيكليات، وكفاءات تمارس العمل الدبلوماسي وفق أصوله وأعرافه المتبعة، وكان هذا سمة مميزة للدبلوماسية في بداياتها. وكذلك وجدت العقبات من خلال بعض حكام، ورؤساء الدول العربية الذين كانت لهم توجهات سياسية مخالفة لحقوق الشعب الفلسطيني مثل اتفاقية كامب ديفيد ، ومبادرة السلام العربية، ثم كانت أشد العقبات التي واجهت الدبلوماسية الفلسطينية الانقسام الداخلي الذي مزق ما جُمع فلسطينياً، كما يُسمي "بثورات الربيع العربي"، وانشغال العرب بأنفسهم كان له الأثر الأكبر على القضية الفلسطينية بشكل عام ، وعلى الدبلوماسية الفلسطينية بشكل خاص، يضاف إلى ذلك كله الدور الإسرائيلي في التفنن في وضع العقبات أمام الدبلوماسية الفلسطينية.

مستقبل الدبلوماسية الفلسطينية في جامعة الدول العربية في ظل الانقسام

بذلت جامعة الدول العربية جهوداً لدعم الدبلوماسية الفلسطينية منذ قيام منظمة التحرير الفلسطينية في كافة المحافل العربية، والدولية وهذا ما أكده محمد صبيح بقوله : " إن جامعة الدول العربية والأمم المتحدة ومنظمة عدم الانحياز، ومجلس التعاون الإسلامي، ومنظمة الوحدة الإفريقية جميعها دون استثناء تعترف بالقيادة الفلسطينية ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني، وذلك طوال فترة عمل السيد عمرو موسى أميناً عاماً لجامعة الدول العربية، ولقد تلاه في هذا المنصب الرفيع الدكتور نبيل العربي، والذي استمر على نفس هذه السياسة التي أقرها مجلس وزراء الخارجية العرب في الدورة الطارئة التي انعقدت في القاهرة في 2007/6/21"والتأكيد على ضرورة الحفاظ على الشرعية الفلسطينية، وعدم المساس بها، حيث أن الشرعية الفلسطينية هي حجر الزاوية في الاعتراف بالهوية الفلسطينية والشخصية الفلسطينية وما يترتب على ذلك قانونياً، وسياسياً، ودولياً (مقابلة 20 ديسمبر 2019).

وأكد صبيح: أن جامعة الدول العربية بذلت جهداً كبيراً لتأمين اعتراف دولي بمنظمة التحرير من خلال اجتماعات القمم، وبعثات جامعة الدول العربية ودبلوماسيتها في الخارج، ومن أجل ذلك اتخذت مجالس جامعة الدول العربية في ذلك الوقت أن يكون ممثلاً لمنظمة التحرير مندوباً رفيع المستوى في كافة بعثات جامعة الدول في الخارج لتسهيل الاتصالات مع جميع هذه الدول التي لم تكن تعترف بمنظمة التحرير في ذلك الوقت؛ وتحملت جامعة الدول العربية كافة النفقات في ذلك المجال.

كما أشار صبيح أن جامعة الدول العربية، ودولها خاضت معركة دبلوماسية كبيرة لتمكين الرئيس ياسر عرفات من مخاطبة الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، وعندما امتنعت الولايات المتحدة الأمريكية من إعطاء تأشيرة دخول للوفد الفلسطيني، استطاعت جامعة الدول العربية، وأصدقاؤها، والدول المساندة للحق الفلسطيني من التصويت لنقل هذا الاجتماع للجمعية العامة من نيويورك الى جنيف.

وبين صبيح بالقول: لازالت القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة العربية، و هذا ما تم تأكيده في كل القمم العربية، وكان آخرها قمة الظهران في المملكة العربية السعودية، وفي دولة موريتانيا الشقيقة (مقابلة بتاريخ 2 يناير 2020).

عجز الجامعة العربية:

ورغم ما ذكره صبيح إلا أن الجامعة العربية عجزت عن حل المشكلة الفلسطينية، وتداعياتها قديماً وحديثاً، وقد أكد حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية في جامعة القاهرة، أن جامعة الدول العربية، هزيلة جداً، فلا حول لها ولا قوة، ولا تعبر عن إرادة مشتركة، فهي عبارة عن مؤسسة تضم إحدى وعشرين دولة لكل منها سياسة خاصة بها، حيث أن هناك انقسامات عميقة، وبالتالي محصلة الجامعة صفر" (دنيا الوطن، 2018: ويب).

وحول مستقبل الدبلوماسية الفلسطينية في جامعة الدول العربية في ظل الانقسام أكد أبراش بالقول: في ظل هكذا وضع فإن المستقبل ضبابي، ولن تكون الدبلوماسية الفلسطينية قادرة على تخطي حالة السكون والخذلان العربي للقضية، وكانت كلمة الأمين العام لجامعة الدول العربية أبو الغيط في مؤتمر الشباب الذي تم عقده في القاهرة في منتصف ديسمبر 2019م خير دليل عن التحولات في موقف

جامعة الدول العربية، حيث قال: " إن القضية الفلسطينية ضاعت". وبشكل عام فإن مستقبل الدبلوماسية الفلسطينية رهين بقدرة الفلسطينيين على تجاوز حالة الانقسام، كما أنها مرتبطة بتطور العملية السلمية، ومستقبل مقاومة الاحتلال" (مقابلة بتاريخ 22 ديسمبر 2019).

ورأى الدكتور ناصر القدوة [1]: أن الانقسام الفلسطيني أثّر على كل مناحي الحياة السياسية الفلسطينية بما في ذلك العمل الدبلوماسي الفلسطيني، الذي تأثر سلباً بالضرورة نتيجة هذا الانقسام، وإن الجامعة العربية كان يمكنها أن تساهم في حل الانقسام الفلسطيني، ولكن لا يمكن لها أن تتحمل مسؤولية إنهاء هذا الانقسام، وعلى الفلسطينيين أنفسهم أن يتحملوا مسؤولية حلها بأنفسهم، كما كان لدى الجامعة العربية رغبة بالمساعدة، وتجلى ذلك في دعمها لمبادرات المصالحة في القاهرة، وصنعاء، والدوحة، وكان يمكن لها المساعدة بدرجات مختلفة لكن يجب أن نعود للمربع الأساسي و هو: أن الانقسام كان، ولا يزال مشكلة الفلسطينيين أنفسهم وهم من يجب أن يتولوا حله (مقابلة بتاريخ 27 يناير 2020).

الجامعة العربية تكلف مصر بإنهاء الانقسام:

من ناحية أخرى، يعتقد القدوة: أن استلام مصر للوساطة بين الأطراف الفلسطينية في طريق حل الانقسام الفلسطيني، جاء مكملاً لدور الجامعة العربية، وغير منفصل عنه، ورأى: أن الجامعة العربية لم تحيّد نفسها عن المصالحة الفلسطينية رغم تولي مصر مهمة الوساطة.

([1]) الدبلوماسي الفلسطيني وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح.

وحول تراجع دور الجامعة العربية حيال إنهاء الانقسام الفلسطيني ضمن ما عُرف بتراجع القضية الفلسطينية كأولوية على أجندة الاهتمام العربي عامة، ذكر القدوة: أن ذلك يعود إلى عدة أسباب أهمها؛ تدهور الأوضاع العربية عامة، بما فيها حالة الدمار التي تعرضت لها عدد من الدول العربية (نتيجة أحداث الربيع العربي). والضعف العربي الذي نجم عن ذلك، عامة الأمر الذي انعكس على أداء الجامعة العربية التي عانت من نفس الضعف منذ عام 2011 بداية الأحداث في العالم العربي.

لكن القدوة رأى: أن ضعف الجامعة العربية لم يكن السبب الوحيد في تراجع الدبلوماسية الفلسطينية بل هناك سببٌ ذاتي يتعلق بأن أحد طرفي الصراع الفلسطيني شكّل ما يمكن تشبيهه بالامتداد لتنظيم إقليمي (في إشارة إلى حركة حماس واعتبارها امتداداً لتنظيم الإخوان المسلمين)، وعرّض نفسه لحسابات الدول العربية المختلفة في مواقفها من هذا التنظيم، وبالتالي أثر على تدخلها في قضية الانقسام لصالح حله (مقابلة بتاريخ 27 يناير 2020).

وأضاف القدوة: أن الانقسام السياسي الفلسطيني أثّر على أداء الدبلوماسية الفلسطينية خاصة في تعاملها مع المحيط العربي، وذلك لعدم وجود مبرر للانقسام الفلسطيني يقنع العرب ،والعالم أيضاً والذي أدى إلى شرخ واضح في البنية السياسية الفلسطينية،وأنتج وحدتين جغرافيتين متباينتين ومتضاربتين سياسياً. (مقابلة بتاريخ 27 يناير 2020).

وأكد أيمن يوسف [1] :"أن نتائج التأثير السلبي للانقسام الفلسطيني تبدو واضحة إقليمياً من خلال استغلال إسرائيل للانقسام في نسج علاقات سياسية واقتصادية غير معلنة مع الدول العربية وهو ما قاد إلى موجة التطبيع العربي التي لا نبالغ في القول: إنها كانت إحدى أهم نتائج الانقسام الفلسطيني، واعُتبر التطبيع مبرراً بالنسبة لهذه الدول بسبب الانقسام، وغياب القرار الفلسطيني المستقل والقيادة الفلسطينية الموحدة، وإن النتيجة المنطقية لذلك أن الجامعة العربية التي تسيطر عليها قوى اتجهت للتطبيع مع إسرائيل تأثرت بما ذكر آنفاً مما قلل من فعالية تدخل الجامعة العربية في موضوع الانقسام الفلسطيني، ورغم المبادرات والمواقف التي اتخذتها الجامعة العربية إلا أنها بقيت خجولة وغير فاعلة، نتيجة الانقسام، وعدم وجود قرار فلسطيني سياسي واضح، وهذا ما استغلته "إسرائيل" بشكل غير مباشر لاختراق بعض الدول العربية عبر دعايتها بأن الفلسطينيين غير قادرين على تقديم حلول عملية للصراع نتيجة تفككهم الداخلي، كما تصفه "إسرائيل" (مقابلة بتاريخ 27 يناير 2020).

أصبحت الدبلوماسية الفلسطينية أكثر صعوبة وتعقيداً في ظل وجود حالة انقسام وعدم توافق بين حركتي فتح وحماس والعديد من الفصائل والأطر السياسية، إضافة إلى مواضيع أساسية كالمرحلة النهائية للحل السياسي، وشكل النظام السياسي، والشرعية السياسية، وسؤال المقاومة والممانعة، والأدوات التي يجب استخدامها في المعركة الطويلة مع الاحتلال.

مستقبل الدبلوماسية الفلسطينية:

(1) أستاذ العلاقات الدولية في الجامعة العربية الأمريكية – جنين.

قال د. أيمن يوسف أيضاً: إن فعالية الدبلوماسية الفلسطينية ستظل مرهونة بحالة الضعف الفلسطيني الناجمة عن الانقسام، وعدم الذهاب إلى انتخابات رئاسية، وتشريعية كون الدبلوماسية الفلسطينية ومن يعمل بها جزءاً من كوادر منظمة التحرير الفلسطينية التي تعاني من وهن وضعف وتراجع. هذا في مقابل الدبلوماسية الإسرائيلية الفاعلة، والتي تتحرك بخطط، وخطاب مدروس خاصة في الدول المؤثرة عالمياً كالهند والصين ودول أمريكا اللاتينية، بينما ستظل الدبلوماسية الفلسطينية تعاني من ضعف الرواية والرؤية بسبب ثقل الانقسام وتأثيراته" (مقابلة بتاريخ 27 يناير 2020).

يضاف إلى ذلك: أن هناك عوامل أضعفت جهود الجامعة العربية في حل الانقسام الفلسطيني وزادت من تعثر الدور المناط بعمل الدبلوماسية الفلسطينية؛ تمثل بكون الجامعة العربية ممثلة لحكومات عربية لها اعتبارات في مصالحها المختلفة لم تستطع الخروج عن هذا الخط الرسمي العربي واعتباراته، الجامعة العربية لا تمثل الشعوب، ولكن الحكومات المرتبطة بمصالح جيوسياسية مختلفة وموجات التغيير التي اجتاحت العالم العربي، أو ما عُرفت بالربيع العربي، وما وجهته دول عربية مركزية كسوريا، ومصر خاصة، أثر على دورها في القيام بدور حيال القضية الفلسطينية، وانصرفت لترميم شؤونها الداخلية، ومواجهة الأحداث في بلدانها، وعدم وجود إجماع فلسطيني واضح في الملفات الرئيسة للقضية الفلسطينية، وعدم توفر إرادة المصالحة، أثر أيضا في فعالية الدبلوماسية الفلسطينية لإقناع الجامعة العربية بتدخل فاعل في هذا الملف (مقابلة بتاريخ 27 يناير 2020).

وحول ضعف الدبلوماسية الفلسطينية قال د. علاء أبو عامر [1]: " إن الانقسام الفلسطيني أثر على قوة التدخل العربي، والدولي، وفعاليته لصالح الفلسطينيين. رغم أن القضية الفلسطينية بقيت حاضرة في الاجتماعات الرسمية للجامعة العربية باعتبار أن الجامعة، والمؤتمرات الإقليمية، والعالمية لا زالت تتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للفلسطينيين، وبالتالي مع بعثتها الدبلوماسية" (مقابلة بتاريخ 28 يناير 2020).

ومما زاد من ضعف الدبلوماسية الفلسطينية، تراجع القضية الفلسطينية في نظر العرب والعالم بسبب وجود سلطتين في الضفة الغربية وقطاع غزة، لكل منهما برنامج سياسي مناقض للآخر، إلى جانب موجات الردح السياسي بين الطرفين الذي استمر اثني عشر عاما، وعدم القدرة على المصالحة رغم المبادرات العربية المتعددة، واستغلت هذه الحالة كمدخل لبعض الدول العربية في مخاطبة شعوبها بأن الفلسطينيين هم الذين تخلوا عن قضيتهم، وأضعفوا أنفسهم وباتوا لا يستحقون دولة.. وأصبح يلقى باللائمة على الفلسطينيين، والشعب الفلسطيني بسبب انقسامه. لذا لا يمكن تجاهل أن الانقسام كان طعنة في الخاصرة الفلسطينية وشكل الكارثة الأكبر للفلسطينيين بعد النكبة. (مقابلة بتاريخ 28 يناير 2020).

ومن التحديات التي واجهت الدبلوماسية الفلسطينية تمرير "صفقة القرن" كما يرى أبو عامر لعدم وجود إرادة فلسطينية جامعة لإنهاء الانقسام بعد سنوات من الحوارات المتكررة واتفاقات المصالحة في عدة دول عربية دون الوصول إلى مصالحة حقيقية، بالإضافة إلى وجود تدخل أطراف عربية في تعطيل المصالحة خدمة لمصالح

(1) أستاذ الدبلوماسية والعلاقات الدولية في جامعة بيرزيت.

أمريكية وإسرائيلية، وعدم الضغط على الأطراف الفلسطينية بقوة من الجامعة العربية أكد على أن التراخي مقصود كي تمر مشاريع كصفقة القرن وغيرها.

وحول مستقبل الدبلوماسية الفلسطينية، يقول أبو عامر: "إن الدبلوماسية الفلسطينية تمثل الكل الفلسطيني، ويتعامل العالم معها كذلك، وتحمل أهداف الفلسطينيين بإحقاق حقوقهم الشرعية، وفي مقدمتها إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبقاء الانقسام سيطرح علامات استفهام، وتحديات كبيرة أمام الدبلوماسية الفلسطينية، وحول سؤال إقامة دولة فلسطينية، فلِمن السلطة في غزة؟ وهل تفرض السلطة الفلسطينية القانون هناك وتتحكم بالسياسة والاقتصاد؟. فاستمرار الانقسام الفلسطيني سيشكك في قدرة الخطاب الدبلوماسي في إثبات أن الفلسطينيين قادرون على إقامة دولة فلسطينية، وفي حقهم في تقرير المصير تحت قيادة واحدة تمثل الشعب الفلسطيني، وخاصة أيضا مع بروز مصطلحات كـ " شعب غزة"، و" شعب الضفة" في الأوساط الداخلية، وكأن الفلسطينيين انقسموا إلى شعبين، وكيانين سياسيين" (مقابلة بتاريخ 28 يناير 2020).

فيما قال السفير دياب اللوح [1] :" التحدي الأبرز الذي يواجه الشعب الفلسطيني ،ودبلوماسيته في المحافل العربية، والدولية هو بقاء صوت الشعب الفلسطيني عالياً أمام الأشقاء العرب، و المجتمع الدولي، وذلك من خلال التعبير عن وحدة الموقف و الكلمة والهدف، وهنا يجب التأكيد أن كافة الفصائل الفلسطينية يجمعها قواسم مشتركة كبيرة، وبرنامج وطني فلسطيني، ومطلوب منها استعادة الوحدة لمواجهة الأخطار والتحديات السياسية، لاسيما بعد صفقة القرن الأمريكية التي تصادر

(1) سفير دولة فلسطين في القاهرة.

حقوق الشعب الفلسطيني التاريخية ودولة مستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وحق اللاجئين، ومحاولة الالتفاف على حل الدولتين".

واعترف السفير الفلسطيني قائلاً: "إن الانقسام الفلسطيني يؤثر على صورة الشعب الفلسطيني أمام العالم لذلك في هذه المرحلة التاريخية التي يواجه فيها الفلسطينيون موحدين المخاطر المحدقة والخطيرة يجب أن نكون، وحدويين ضمن صف واحد، ونلتقي حول القضايا الفلسطينية الشرعية لنواجه العالم بأن شعبنا موحد تجمعه أهداف وطنية وآمال مشتركة" (مقابلة بتاريخ 25 يناير 2020).

ونخلص إلى أن الجامعة العربية كان لها حضورٌ مبكرٌ منذ ما قبل الانقسام باحترامها لنتائج الانتخابات وتحذير العالم من التعاطي السلبي مع فوز حماس، واعتبار أن ذلك الأمر قراراً فلسطينياً خاصاً.

ومع بداية الانقسام تداعت الجامعة العربية لاتخاذ القرارات التي تحاول إنهاء الانقسام، وإعادة الأوضاع إلى حالتها الطبيعية، كما ودعمت الجامعة العربية كل المبادرات التي عُقدت في عواصم بعض الدول العربية، وبعيداً عن مظلة الجامعة العربية، وكان ذلك الدعم بمثابة دعم معنوي دون مقدرتها على تطبيق القرارات المنبثقة من تلك الاتفاقيات، وإلزام طرفي النزاع "فتح وحماس" بما ينتج عنها.

كما أن التحديات الدبلوماسية الفلسطينية من أكبر العقبات التي واجهت الشعب الفلسطيني عبر تاريخ الصراع حيث كانت تحديات محلية من وقوف الدبلوماسية مع أحد طرفي الانقسام، مما أفقدها دورها الدبلوماسي (محلياً وإقليمياً) تجاه قضية الانقسام على وجه التحديد، وكذلك ما واجهته من تحديات إقليمية بدعم بعض الدول العربية لأطراف الانقسام ولصالح أجندات خارجية.

وكذلك تراجعت القضية الفلسطينية عن رأس اهتمامات العرب (رسمياً وشعبياً) لأن الفلسطيني لم يستطع أن يحافظ على المكانة التاريخية له في وجدان العرب من خلال عدم مقدرته على طي صفحة الانقسام الذي أساء لنضال الشعب الفلسطيني، بل وتمادي طرفي النزاع في خلافاتهم، الأمر الذي انعكس سلبياً على استمرار تبني القضية الفلسطينية من قبل الجماهير العربية، ومن جانب آخر أزمة الربيع العربي وتداعياته على مكونات النظام العربي الرسمي والجماهير العربية عموماً، كل ذلك مثل تحديات حقيقية أمام الدبلوماسية ويسبق ذلك ويتبعه التدخلات الأمريكية الإسرائيلية لتعزيز الانقسام، وتمرير مشاريع التصفية، والتي كان آخرها صفقة القرن.

وأخيراً تأتي الجامعة العربية التي شكل ضعفها عقبة أمام الدبلوماسية الفلسطينية في تمرير أي اتفاق للمصالحة الفلسطينية.

إجمالاً، إن مستقبل الدبلوماسية الفلسطينية في ظل استمرار الانقسام سيكون ضبابياً، ولن تكون الدبلوماسية الفلسطينية قادرة على تخطي حالة السكون والخذلان العربي للقضية، وسيبقى مستقبل الدبلوماسية الفلسطينية رهين بقدرة الفلسطينيين أنفسهم على تجاوز حالة الانقسام.

تقارير

تحليل نتائج الانتخابات الإسرائيلية للكنيست 22

د. خالد شعبان

جـرت انتخابـات الكنيسـت الـ22 فـي 2019/9/17، وذلـك بعـد أن فشـل بنيـامين نتنيـاهو فـي تشـكيل حكومـة بعـد انتخابـات الكنيسـت الـ21 والتـي جـرت فـي 2019/4/9، والتـي أدت إلـى نتـائج متشـابهة، وتـأتي هـذه الورقة للبحث في الانتخابات الكنيست الـ22.

عبرت نتائج الانتخابات للكنيست ابريل/ سبتمبر 2019 عن ازمة حكم حقيقية في إسرائيل من المتوقع عدم حلها في الانتخابات القادمة المقررة في 2 مارس 2020 وهو ما سيضيف مزيدا من التشتت للمشهد الحزبي والسياسي الاسرائيلي الحالي، والواضح ان اسرائيل غير قادرة على ايجاد حلول لمسلسل أزماتها الداخلية التي تعيشها كدولة تجمع بين كونها دولة يهودية وديموقراطية في آن واحد وكدولة تسعى الى تحقيق السلام حسب ادعائها من ناحية اخرى.

أولا: الخارطة السياسية الإسرائيلية

يتضح من نتائج انتخابات الكنيست السابقة والاستعداد للانتخابات القادمة استمرار حالة التشرذم واعادة تموضع الاحزاب اليهودية ضمن قوائم انتخابية هدفها الأساسي لبعضها هو عبور نسبة الحسم (3.25) وللبعض الاخر الفوز بالانتخابات والحصول على اكبر عدد من مقاعد الكنيست مع القدرة على تشكيل حكومة مستقرة، ويتضح من استعراض الخارطة الحزبية أن اسرائيل شهدت تنافسا بين (30–40) قائمة انتخابية في عام 2019 ، والمعلوم ان معظمها لم يجتز نسبة الحسم سوى (8–9) قوائم فقط وهي التي تتمثل في الكنيست ، ولدى تحليلها نجدها ايضا تتكون مما يزيد عن (20) قائمة ولكنها اتحدت خشية من عدم تجاوز نسية الحسم، وعلى سبيل المثال نجد ان حزب الليكود كان مؤتلفا مع حزب كولانو وحزب ازرق ابيض يضم 4 قوى حزبية بالإضافة الى الاتحادات المتعددة لأحزاب اليمين وكذلك القائمة العربية المشتركة التي تضم العديد من القوى العربية، فالأحزاب الاسرائيلية تخوض الانتخابات في تركيبة مختلفة في كل عملية انتخابية .

وقد اتسمت الحملة الانتخابية للكنيست 2019 بتفاقم العنصرية لدى الاحزاب اليهودية مع تركيز حملتها على نهب الاراضي الفلسطينية والتحريض ضد المواطنين الفلسطينيين سواء في الاراضي الفلسطينية المحتلة لعام 1948أو المحتلة لعام 1967 ومحاولة داعمة لفرض السيادة الاسرائيلية على الضفة الغربية.

يستدل من نتائج الانتخابات في 2019 ان القوى الفائزة تتمحور بين معسكر اليمين والذي يتشكل من احزاب الليكود واليمين القومي الديني والاحزاب الحريدية ، ومعسكر ما يطلق عليه اليسار والذي يتشكل من ازرق ابيض وحزب العمل وحزب ميرتس والقائمة العربية المشتركة ، بالإضافة الى قوة ثالثة هي حزب اسرائيل بيتنا بزعامة افيغدور ليبرمان ، وقد فشلت هذه القوى في تشكيل حكومة بعد انتخابات ابريل/ سبتمبر 2019 .

الواضح ان المشهد السياسي في اسرائيل يمر بأزمة خانقة حيث تعلم هذه الاحزاب ان سبب اشكاليتها هو عدم قدرة الاحزاب او النظام السياسي على تحقيق التكامل القومي الذي هو هدف أساسي ووظيفة موحدة لكليهما، ولكن الواضح ان كل حزب اصبح يعبر عن فئة معينة من الأفراد أو عن تحقيق هدف معين فقط، وأصبح المشهد لدى البعض من الاحزاب يعبر عن قضية سياسية واحدة فقط يسعى إليها اليمين واليمين والمتطرف، مع اختفاء واضح لليسار ولوسط اليسار، مع اختفاء عملية التسوية لدى القوى التي وقعت أو دعمت اتفاقية أوسلو، وبات المشهد السياسي يبحث عن اليسار اليهودي المفقود، ولم يتبق في القوائم المشاركة في الانتخابات سوى القائمة المشتركة التي تدعو علانية الى قيام دولة فلسطينية على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية .

وتدل الخارطة السياسية للقوى المشاركة في الانتخابات القادمة الى غياب البرامج السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية ومستقبل عملية التسوية السلمية ،

وقد جاء الاعلان عن صفقة القرن في يناير 2020 بمثابة حبل نجاة لمعظم القوى اليهودية وشكلت نقطة تحول في توجهات الاحزاب السياسية التي ايدت صفقة القرن بشكل كبير، واعتبرها نتنياهو انجازا كبيرا يفوق في قوته اعلان بلفور، بينما عارضها اليمين المتطرف بسبب دعوتها الى اقامة دولة فلسطينية وهي الفكرة التي تتعارض مع رؤيته بمصادرة الاراضي الفلسطينية وضمها وفرض السيادة الاسرائيلية عليها .

ثانيا : بيئة الانتخابات الإسرائيلية الـ22:

1- جرت انتخابات الكنيس الـ22 بعد أشهر قليلة فقط من انتخابات الكنيست الـ21 نتيجة لفشل نتنياهو في تشكيل حكومة وهي تحدث لأول في تاريخ إسرائيل، وقد جاء ذلك بعد التهديدات التي قطعها رؤساء الأحزاب على أنفسهم بعدم المشاركة في إئتلافات حكومة مع أحزاب أخرى، حيث رفض أزرق أبيض المشاركة في حكومة بقيادة نتنياهو أو أن يكون نتنياهو شريكاً فيها، كما رفض ليبرمان الحرديم، ورفض العمل المشاركة في حكومة نتنياهو.

2- تزايد حدة الاستقطاب في الساحة الحزبية الإسرائيلية وتعدد الإئتلافات المشاركة في انتخابات الكنيست وانقسام الساحة الحزبية بين يمين ويسار.

3- هيمنة الليكود على اليمين في إسرائيل، وسيطرة اليمين على الليكود من خلال فرض الطابع اليميني على إسرائيل من خلال تشريع عدد من القوانين ذات الطابع اليميني، ورغم حصول الليكود على أصوات من كل قطاعات المجتمع الإسرائيلي وصياغته لجدول

العمل السياسي اليميني إلا انه لم يصل إلى درجة الحزب المهيمن، ولكن اليمين شكل كتلة مانعة تحول دون تشكيل حكومة بدون بدونه.

4- هيمنة الليكود على المشهد السياسي والحزبي في إسرائيل من خلال السياسات الإثنية التي انتهجتها اسرائيل ضد فلسطينيي الـ48، وانتهاج سياسة التحريض ضد فلسطينيي 48 من خلال فرض الملاحقة الأمنية ضد أفراد وقيادات فلسطينيي الـ48، والعمل على تعميق الصراع العربي/الإسرائيلي، وتخويف الشارع الإسرائيلية من عملية السلام.

5- غياب اليسار عن الشارع السياسي الإسرائيلي، حيث أصبح اليسار تهمة وإهانة تقارب الخيانة، وظهر ذلك واضحاً من خلال أن الكل يحاول أن ينفي عن نفسه هذه التهمة ومحاولة التخلص منها من خلال إجراءات على الأرض أو من خلال تصريحات يمينية تنفي يساريتهم، أو من خلال عدم إدراج التسوية السلمية في برامجهم السياسية أو عدم إصدار برنامج سياسي للأحزاب.

6- ازدياد حدة الصراعات الشخصية بين نتنياهو وعدة شخصيات مركزية أخرى من اليمين مثل بينيت وشكيد من اليمين الجديد، وليبرمان، ويعلون وغانتس من حزب ابيض أزرق، فالإنتخابات جرت لأسباب شخصية وأيدلوجية، ولكن الواضح أنها تقاطعت في الهدف الأساسي لكل حزب وهو إسقاط نتنياهو.

ثالثا: تحليل النتائج

1-النتائج:

حصلت قوى اليمين الليكود 32، يمينا 7 والأحزاب الحريدية 16 مقعداً بواقع 55 مقعد، وحصلت قوى المركز واليسار ازرق ابيض 33،

القائمة المشتركة 13 وحصل تحالف العمل مع غيشر على 6 مقاعد وحصلت القائمة الديمقراطية على 5 مقاعد بواقع 57 مقعد، وحصل حزب إسرائيل بيتنا على 8 قاعد.

والواضح من النتائج أن أكبر الخاسرين هو الليكود إذ هبطت مقاعده من (40 تحالف كولانو) إلى 32 بواقع 8 مقاعد، ورغم انخفاض مقاعد اليمين المتطرف الممثل بحزب يمينا الذي حصل على (7) مقاعد إلا أن أكبر الفائزين في هي إيليت شكيد التي عادت بعد خسارتها وخروجها من الكنيست الـ21 إلى قيادة الحزب باعتبارها أول إمرأة يمينية تترأس اليمين المتطرف، كذلك الأمر بالنسبة لبينت، وبشكل عام ارتفعت مقاعد اليمين المتطرف من 5 إلى 7، وبالنسبة للقائمة المشتركة فقد ارتفعت عدد مقاعدها من 10 إلى 13 مقعد.

2- أسباب خسارة نتنياهو:

تعددت أسباب خسارة الليكود ونتنياهو للإنتخابات ومن الواضح أنها تتركز في عدم تصويت مؤيدي الليكود لصالحه وخاصة في مدن التطوير ومستوطنات الضفة الغربية وتراجع التصويت لنتنياهو في معظم المدن الرئيسية، كما تأثر التصويت بدعوات قادة من الليكود السابقين أنهم لن يصوتوا لصالح الليكود مثل بيني بيغن، وتشير النتائج أن شخصية نتنياهو كانت تحت المطرقة بسبب قضايا الفساد المتعددة ضده، وبسبب علاقات الخصومة مع عدد كبير من المتنافسين، وقد اتهمت المعارضة واليمين ذاته نتنياهو بالكذب في عدة مواضع منها:

- خطاب التخويف الذي شنه نتنياهو ضد فلسطينيي الـ48 والوسط بشكل عام حيث قام بالتحريض ضدهم خلال الحملة الإنتخابية وخاصة يوم الإنتخابات، كما اتهم نتنياهو غريمه غانتس بأنه يساري

حيث اتضح للجمهور أنه من ذات الأيديولوجية، واتضح للناخبين أن نتنياهو يسعى لتحصين نفسه ضد القضايا المرفوعة ضده من خلال تحصين نفسه بقانون الكنيست كما رفض الشارع الإسرائيلي ادعاءاته ضد فلسطينيي الـ48 بتزوير الإنتخابات، وما أثر أكثر هو محاولته الهجوم على قطاع غزة بعد قصف اسدود خلال حملته الإنتخابية، وتدخل المستشار القانوني والقيادات العسكرية التي حالت دون ذلك.

– صعود ليبرمان: ارتفعت قاعدة حزب إسرائيل بيتنا من 5 مقاعد في الكنيست الـ21 إلى 8 مقاعد في الكنيست 22 ويعزا ذلك إلى الخطوة الأساسية التي من خلالها رفض ليبرمان المشاركة في إئتلاف نتنياهو حيث دعا صراحة إلى تجنيد المتدينين وهو السبب الأساسي الذي إلى إجراء الانتخابات، كما اكد ليبرمان خلال الحملة الإنتخابية الـ22 أنه لن ينضم إلى حكومة وحدة وطنية بين الليكود وأزرق أبيض.

قضية الصراع على شكل الدولة:

– إحتدم الصراع داخل إسرائيل بعد فشل نتنياهو في تشكيل حكومة بعد إنتخابات الكنيست الـ21، ويدور الصراع حول نظام الحكم، وعلمانية إسرائيل، باعتبار أن إسرائيل هي دولة يهودية ديمقراطية، ويدور الصراع حول اتهام نتنياهو لمؤسسات الدولة مثل /القضاء/ المحاكم/ الإعلام/ الشرطة، بأنها مؤسسات يسارية وسيعمل هو واليمين على تحويلها إلى مؤسسات يمينية وفرض رؤيته الشخصية عليها، مع العلم أن هذه المؤسسات موجودة قبل تشكيل الليكود، وهي مؤسسات خارج الصراع بين الأحزاب.

أمـا القضـية الأخـرى فتتمثـل باتهـام صـادر عـن ليبرمـان والـذي يطالـب بخدمـة المتـدينين فـي الجـيش وبعـض القضـايا المتعلقـة بموضـوع الـدين والدولـة، حيـث يـرفض ليبرمـان ابتـزاز الحريـديم، مـع العمـل أن تجنيـد الحريـديم هـي قضـية صـراع ممتـدة منـذ نشـأة إسـرائيل، وينبغـي التنبيـه هنـا أن نسبة العلمانيين في إسرائيل تبلغ (40%) ولم يعودوا أغلبية.

التسوية السلمية في انتخابات الكنيست الـ22:

اختفـت البـرامج السياسـية للأحـزاب المشـاركة فـي انتخابـات الكنيسـت الـ22 وبالتـالي اختفـت معهـا برامجهـا للتسـوية مـع الفلسـطينيين، وبالإجمالي يمكن ملاحظة ما يلي:

- الليكـود: منـذ 2009 لـم يطـرح برنامجـاً انتخابيـاً، والأولويـات حسـب برنـامج 2009 كانـت العمـل ضـد إيـران، وتعزيـز إقامـة التحالفـات الإقليميـة مـن خـلال تعزيـز التطبيـع مـع الـدول العربيـة والهـدف مـن كـل ذلـك تحويـل الإهتمـام عـن القضـية الفلسـطينية، لكـن الواضـح أن الأمـور كانـت ضـبابية مـع حريـة العمـل سـواء علـى مسـتوى الإسـتيطان أو العمـل علـى ضـم بعـض الأراضـي والمسـتوطنات ممـا يحـول دون وجـود دولـة فلسـطينية قابلـة للحياة.
- أزرق أبـيض، دارت اهتمامـات ازرق ابـيض حـول الصـحة والتعلـيم والأمـن، ويركـز الامـن علـى (الـردع، ايـران، الكتـل الإسـتيطانية، والإنفصـال عـن الفلسـطينيين) ومـؤتمر إقليمـي مـع الـدول العربيـة الا انـه لا يوجـد شـيء اسـمه انهـاء الاحـتلال، وبذلك فإن الباب مفتوح امام كل الاحتمالات.

- العمل / غيشر ، لم يتطرق البرنامج للمسألة الفلسطينية تماما وكان التركيز على المواضيع الاقتصادية، الا ان تصريحات قادة العمل / غيشر ركزت على الحفاظ على الاغلبية اليهودية، تسوية اقليمية مع الفلسطينيين، اقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح.
- اسرائيل بيتنا، يركز على الأمن، الاقتصاد، التعليم، وتحويل اسرائيل من دولة عظمى اقليمية ، ويكون ذلك من خلال ابعاد التهديدات القائمة، ومنع تحويل الأموال لحركة حماس، خصم اموال السلطة، الاعدام للاسرى، ثم تسوية اقليمية، ويرى ليبرمان ان الصراع له ثلاثة مستويات على الدول العربية، والفلسطينيين ، وعرب 48 ، والتسوية مع الفلسطينيين جزء من التسوية الشاملة تبادل اراضي وسكان.
- يمينا، لم تنشر برنامج

وتشير التصريحات انها تركز على الاقتصاد والقضاء الحاكمية / السياسة، مع العمل على دعم فرض القانون الاسرائيلي على الضفة الغربية.

الاحزاب الحريدية ، لم تنشر برنامجا

ميرتس / الديمقراطي ، لم تنشر برنامج، وتشير التصريحات الى العمل على الغاء قانون القومية والمحافظة على ديمقراطية اسرائيل.

القائمة المشتركة

تعتبر القائمة مطلب جماهيري من فلسطيني 48 وخاصة بعد نجاحها في انتخابات الكنيست 20 ، في الوصول الى 13 مقعد ، ثم

فشل القوائم العربية في تشكيل القائمة المشتركة في الكنيست 21 وحصولهم على 10 مقاعد فقط، مع انخفاض نسبة التصويت الى 49% وهو الامر الذي ادى الى وجود ضغط جماهيري لاعادة تشكيل القائمة المشتركة مرة اخرى، ومن الاسباب التي أدت الى إعادة تشكيل القائمة المشتركة ما يلي:

- وجود تحريض مستمر ضد فلسطيني 48 افرادا وقادة .
- تحريض نتنياهو المستمر ضد فلسطيني 48

اسباب نجاح القائمة المشتركة يعود الى:

- ارتفاع نسبة التصويت لدى فلسطيني 48 والتي قاربت 60%.
- تحديد الهدف بإسقاط نتنياهو وان تكون القائمة المشتركة كتلة مانعة
- تركيز القائمة المشتركة على القضايا المدنية في مقابل القضايا الوطنية.
- اتهام نتنياهو للعرب بتزييف الانتخابات.
- الخوف من وصول اليمين واليمين المتطرف الى الحكم

خلاصة:

يتضح من نتائج الانتخابات الاسرائيلية ، ان الصراعات الشخصية تعتبر الاساس في عدم قدرة نتنياهو تشكيل حكومة بعد انتخابات 21، وكذلك انتخابات 22، وخاصة مع ليبرمان ، كما ان المجتمع الاسرائيلي منقسم ومشغول بإشكالياته الداخلية وبمعسكراته المتعددة والمتباينة سياسيا وايديولوجيا، مع عدم استقرار المؤسسة السياسية الحاكمة الاسرائيلية داخل اوضاع اقليمية ودولة متغيرة ومتقلبة وهو الامر الذي سينعكس سلبا على اسرائيل.

الملاحظ ان القضية الفلسطينية وعملية التسوية السلمية كانت غائبة عن الحملة الانتخابية، ولذلك كانت علاقة الدين بالدولة في صلب الحملة الانتخابية ،ويعتبر موضوع الضم وفرض السيادة هو العنوان الابرز لجميع القوى اليهودية المشاركة في الانتخابات الاسرائيلية القادمة اعلاميا، ولكنه غير موجود في برامجها الانتخابية والسياسية والغريب في انتخابات 2019 هو غياب البرامج السياسية للأحزاب المشاركة في الانتخابات.

اتضح من نتائج انتخابات 2019 ان حزب اسرائيل بيتنا بقيادة افيغدور ليبرمان اصبح المتحكم في الميزان حيث دلت النتائج على ان مشاركة حزب اسرائيل بيتنا سواء مع الليكود أو ازرق ابيض يعني تشكيل حكومة اسرائيلية ، حيث دعا كلا الحزبين ليبرمان للانضمام اليهما لتشكيل الحكومة ، وقد دلت المؤشرات الى رغبة ليبرمان بأن يكون الحريص على نقاوة المجتمع اليهودي حيث ابقى حزبه

على الحياد في انتخابات الكنيست 2019 مع التأكيد على دعوته الى تشكيل حكومة وحدة وطنية.

وبعد كل ما سبق يتضح من معظم تعليقات اصحاب الراي و الكتاب في اسرائيل ان نتائج الانتخابات للكنيست القادمة لن تكون بعيدة عن النتائج الحالية ، وهو ان دل على شيء فإنما يدل على مدى استفحال الازمة الحزبية والسياسية في اسرائيل ، ويظهر كثيرا من أصحاب الراي الاسرائيليين خشيتهم على مستقبل اسرائيل من خلال استمرار الصراع الاسرائيلي الفلسطيني، واستمرار الأزمات الداخلية الاسرائيلية، وان غياب الأزمات الداخلية في الحملة الانتخابية لا يعني غيابها عن تشكيل الحكومة وقد تكون سبباً اساسيا لعدم تشكيل الحكومة الاسرائيلية القادمة ، لتعود اسرائيل على بدء للاعلان عن اجراء انتخابات جديدة ، ولذلك فإن اسرائيل في رسم مستقبلها ستسعى جاهدة من خلال نتنياهو أو غانتس لتبني صفقة القرن والدعوة الى تشكيل حكومة وحدة وطنية من أجل تنفيذ الصفقة بشكل انفرادي وبدعم أمريكي ، وبالتالي فإن هذا يؤكد عدم وجود فوارق كبيرة بين التوجهات السياسية لحزب الليكود وحزب أزرق وأبيض، كما أن اختفاء نتنياهو عن الساحة الحزبية لا يعني أن هناك تحولاً عميقاً سوف يحدث على الخارطة السياسية في اسرائيل حيث ان معظم القيادات خلف نتنياهو هي اشد تطرفا منه .

اتجاهات تصويت فلسطينيي 48 في انتخابات الكنيست

(انتخابات 9 ابريل _ وانتخابات 17سبتمبر عام 2019)

أ.فيصل مغاري

مقدمة:

يعتبر الكنيست الإسرائيلي أعلى سلطة تشريعية وسياسية في إسرائيل، يتولى المهام التشريعية، ويصادق على الحكومات ويراقب عملها، ويتكون من 120 عضوا، ويلعب دورا كبيرا في الحياة السياسية في اسرائيل.

ويتشكل الكنيست من غالبية أطياف المجتمع في إسرائيل، وكل كتلة برلمانية لها مكانة مرتبطة بحجم الأصوات التي تحصل عليها نتيجة برامج انتخابية سواء كانت برامج حقيقية أو برامج وهمية غير قابلة للتطبيق هدفها فقط استقطاب أصوات الناخبين من اجل الحصول على أكثر الأصوات وبالحد الأدنى الحصول على عدد 61 مقعد للكتلة او للتحالف البرلماني، وكون الفلسطينيين يشكلون أكبر أقلية غير يهودية في إسرائيل، نجد أن اليمن واليمن الوسط يحاول استعراض برامج انتخابية تهدف النيل من حقوق الأقلية العربية.

لـذلك نجـد أن الأحـزاب العربيـة فـي إسـرائيل تعمـل جاهـدة مـن اجـل الحصـول علـى أكثـر عـدد مـن المقاعـد فـي الكنيسـت مـن اجـل القـدرة علـى التـأثير فـي القـرار السياسـي فـي إسـرائيل والتصـدي للعديـد مـن القـوانين التـي تستهدف الوجود العربي في إسرائيل.

ويعتمـد النظـام الانتخـابي الإسـرائيلي علـى التمثيـل النسـبي، حيـث إن عـدد المقاعـد الـذي تحصـل عليـه كـل قائمـة بالكنيسـت يتناسـب مـع عـدد النـاخبين الـذين صـوتوا لهـا. ويجـب علـى أي حـزب أو قائمـة تخطـي نسـبة 3.25% علـى الأقـل. والتـي تسـمى بنسـبة الحسـم ووفـق هـذا النظـام يصـوت الناخبون لقائمة الحزب وليس لشخص بذاته في القائمة.

علمـا بـان نسـبة الحسـم كانـت لا تتجـاوز 1% ولكـن فـي عـام 1992 تـم رفـع النسـبة بشـكل تـدريجي الـي 3.25% وذلـك مـن اجـل اقصـاء الأحـزاب الصغيرة وخاصة الأحزاب العربية.

لـذلك نلاحـظ بعـض الاحـزاب العربيـة فـي حـال دخلـت الانتخابـات منفردة لـم تصـل الـى نسـبة الحسـم وهـذا مـا يعمـل علـى هـدر الأصـوات العربيـة وعنـدما تتوحـد فـي قائمـة موحـدة كالقائمـة العربيـة المشـتركة تحصـل علـى عـدد اكبـر مـن الأصـوات ففـي انتخابـات ابريـل عـام 2019 حصـل العـرب علـى عـدد 10 مقاعـد ، بينمـا زاد عـدد المقاعـد فـي انتخابـات سـبتمبر الـى 13 مقعـد و التـي حـدثت مـن نفـس العـام 2019 ومـع الاخـذ بعـين الاعتبـار بعـض الأحـزاب العربيـة التـي تـرفض فكـرة المشـاركة فـي الكنيسـت كحركـة أبنـاء البلـد والحركـة الإسـلامية فـي الشـمال التـي يتزعمهـا الشـيخ رائـد صـلاح حيـث يعتبرون المشاركة في انتخابات الكنيست اعترافا بشرعية المحتل .

لـذلك نـود مـن هـذه الورقـة أن نركـز علـى توجهـات أصـحاب الحـق فـي التصـويت مـن فلسـطينيين عـام 48 ونعمـل علـى تحليـل نتـائج انتخابـات ابريـل

وانتخابات سبتمبر واجراء مقارنة بين اتجاهات التصويت لدى الفلسطينيين في الكنيست المنعقدة مرتين من عام 2019والتعرف على أسباب انخفاض عدد المقاعد التي حصل عليها العرب في انتخابات ابريل من عام 2019، وأسباب زيادة عدد المقاعد التي حصل عليها العرب في انتخابات سبتمبر من نفس العام.

حيث أجريت في إسرائيل عام 2019 انتخابات الكنيست مرتين حتى تاريخ هذه الورقة البحثية

المرة الأولى في ابريل من عام 2019 حيث لم يستطع نتنياهو تشكيل حكومة لذلك أجريت الانتخابات مرة ثانية في سبتمبر من نفس العام 2019.وشارك العرب في المرتين في المرة الاولي انقسموا الى كتلتين والمرة الثانية في كتلة موحدة تسمى القائمة العربية المشتركة.

أولا : الأ حزاب العرب ية الم شاركة في انتخا بات الكنيست لعام 2019.

فما يلي الأحزاب العربية المشاركة في انتخابات الكنيست لعام 2019 وما هي والمكونات التي تنضوي تحتها وتوجهاتها الأيديولوجية.

أ _ الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة:

تعرف نفسها بأنها "تحالف سياسي يساري عربي – يهودي في إسرائيل، يتكون من الحزب الشيوعي الإسرائيلي وجهات يسارية أخرى.

وتقول في موقعها إن "هدف مؤسسيها بسيط وواضح يتمثل في توحيد معظم المؤيدين للسلام والمساواة والديمقراطية وحقوق العمال من العرب واليهود.

ب _ التجمع الوطني الديمقراطي:

هو تجمع يضم ائتلافا لعدة قوى ذات توجه قومي عربي في إسرائيل. تأسس في عام 1995 من تجمع عدد من الحركات المحلية والناشطين والمنظمات الطلابية، ومن أبرزها حركة "أبناء البلد" و"القائمة التقدمية للسلام والمساواة" والتنظيم الطلابي في جامعة تل أبيب، وحركة "ميثاق المساواة."

يرأس النائب وأمين عام الحزب، أمطانس شحادة، رئاسة الكتلة البرلمانية للتجمع في الكنيست، ويتولى جمال زحالقه، الذي لم يعد نائبا في الكنيست، رئاسة الحزب.

ورفض ممثلو التجمع الديمقراطي في القائمة العربية المشتركة التوصية بأن يكون بيني غانتس رئيسا للوزراء.

ج_ القائمة العربية الموحدة:

تشكلت القائمة في عام 1996 من تجمع عدد من الشخصيات والأحزاب الممثلة لعرب 48 في إسرائيل، كالقائمة الإسلامية برئاسة الشيخ عبد اللطيف وعرف بالتيار الإسلامي في الجنوب والحزب الديمقراطي العربي

وقد ترأس هذه القائمة منذ تأسيسها عبد المالك الدهامشة أحد قادة الحركة الإسلامية، وظل ممثلها في الكنيست لعدة دورات، كما شغل أثناء نيابته منصب نائب رئيس الكنيست لدورتين، فضلا عن عضوية عدد من لجانه.

د _ الحركة العربية للتغيير:

حزب سياسي عربي في إسرائيل، تأسس عام 1996 برئاسة أحمد الطيبي، الذي سبق أن عمل مستشاراً للرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات لشؤون الأقلية العربية في إسرائيل. (الموسوعة الحرة، بلا تاريخ)

خاضت الحركة العربية للتغيير انتخابات الكنيست عام 1999 ضمن قائمة ائتلافية مع حزب التجمع الوطني الديمقراطي، وحصلت حينها على مقعدين شغل أحدهما أحمد الطيبي والثاني عزمي بشارة.

1_ الأحزاب السياسية المشاركة في انتخابات ابريل لعام 2019.

أ _ الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة والحركة العربية للتغيير (كتلة القائمة العربية للتغيير)

ب _ القائمة العربية الموحدة والتجمع الوطني الديمقراطي منطوين تحت كتلة (تحالف حزبي عربي واحد) او (كتلة تحالف الموحدة والتجمع)

2_ القائمة العربية المشتركة: توحد الأحزاب العربية في قائمة مشتركة تسمى بالقائمة العربية المشترك حيث شاركت في انتخابات سبتمبر لعام 2019وتمثل القائمة العربية المشتركة تحاف سياسي لأربع أحزاب عربية في إسرائيل وهي كالتالي:

أ _ الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة:

ب _ التجمع الوطني الديمقراطي:

ج_ القائمة العربية الموحدة:

د _ الحركة العربية للتغيير:

ثانيا: تحليل نتائج الانتخابات وتوجهات الاصوات العربية في الكنيست الإسرائيلي والتي تمت في 9ابريل عام 2019:

جدول يظهر نتائج الانتخابات لثلاث دورات انتخابية للكنيست في المجتمع العربي

	2015	2019 نيسان	2019 سبتمبر
نسبة تصويت فلسطينيو الداخل	%63.7	%49	%60
عدد المقاعد	13	10	13
نسيبة المصوتين للقائمة المشتركة	%84	%70	%80
نسبة المصوتين للأحزاب الصهيونية	%16	%30	%20
نسبة الامتناع عن التصويت	%35	%51	%40
ميرتس	نحو 24ألف صوت	نحو 40ألف صوت	نحو 14ألف صوت
كاحول لفان	_	نحو 33ألف صوت	نحو 36ألف صوت

نود في هذه الورقة اجراء تحليل ودراسة الخارطة الحزبية لدي الفلسطينيين التي شاركت في انتخابات الكنيست لعام 2019 ونبدأ في

انتخابات ابريل لعام 2019 أولا ونلاحظ في الجدول السابق والتي يظهر نتائج التصويت والانتخاب في المجتمع الفلسطيني في الكنيست الإسرائيلي، وفقًا لدائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية، قدّر عدد السكان العرب في عام 2019 بحوالي 1,890,000، يمثلون 21% من سكان البلاد. غالبية هؤلاء يعرّفون أنفسهم بأنهم عرب أو فلسطينيون حاملون الجنسية الإسرائيلية. يعيش معظم المواطنين العرب في إسرائيل في بلدات ومدن ذات غالبية عربيَّة.

ومن خلال متابعة نتائج الانتخابات الإسرائيلية التي نظمت في ابريل من عام 2019 نلاحظ بان الأصوات الفلسطينية في إسرائيل كان لها توجهات مختلفة عن الانتخابات الماضية والتي أجريت عام 2015.

نلاحظ بان هناك زيادة ملحوظة على اعداد غير المشاركين في انتخابات ابريل لعام 2019

وان هناك تراجعا واضحا للتمثيل الفلسطيني داخل الكنيست الإسرائيلي، حيث حصل العرب في انتخابات ابريل لعام 2019 على عدد 10 مقاعد وبالنظر الى انتخابات عام 2015 يتبين لنا ان هناك انخفاضا في عدد المقاعد من 13 مقعدا عام 2015 الى 10 مقاعد مقسمة على كتلتي الفلسطينيين حيث حصلت كتلة القائمة العربية للتغيير على 6 مقاعد بينما كان من نصيب تحالف الموحدة والتجمع الحصول على 4 مقاعد.

وقد يعود هذا التراجع لعدد المقاعد الى أسباب عدة منها تفكيك القائمة العربية المشتركة والتي كانت متمثلة لغالبية الفلسطينيين في الداخل، والبعض يعتبر هذا التراجع ناتج عن التشريعات والسياسات الصادرة عن الحكومة السابقة والكنيست العشرين خطابًا وصبغة عدائيَّيْن ضدّ الفلسطينيّين في إسرائيل.

فتاريخيا هناك نسبة من المواطنين العرب تقاطع انتخابات الكنيست لإيمانها بأيديولوجيا معينة"، لافتا إلى أن أثر دعوات المقاطعة لن يكون كبيرا إذ إن "نسبة لا تتجاوز العشرة بالمائة فقط تدعم فكرة المقاطعة بينما يعزف آخرون عن المشاركة في الانتخابات نتيجة حالة من اللامبالاة بالسياسة الإسرائيلية بشكل عام." (تحليل اخباري، 2019)

يقول الناشط في حركة المقاطعة أليف صباغ في تصريح لوكالة أنباء ((شينخوا)) إن هناك عدة أسباب لمقاطعة الانتخابات وفي مقدمتها الرفض النابع من أيديولوجيا لا تقبل الاعتراف بدولة إسرائيل وديمقراطيتها وترفض التصويت في انتخابات لاختيار ممثلين يشاركون في برلمان دولة قائمة على احتلال فلسطين.

فقد أقرَّ الكنيست العشرون عشرات القوانين الإقصائيّة للفلسطينيّين، كان أخطرها قانون القوميّة. وعلى الرغم من أنّ عدد النوّاب العرب آن ذاك هو الأكبر في تاريخ التمثيل العربيّ في الكنيست، لم يستطيعوا التصدّي لهذا التشريع. هذان العاملان (التشريعات الإقصائيّة، وعدم القدرة على التصدّي لها) شكّلا نواة إحباط في صفوف المجتمع الفلسطينيّ في إسرائيل من العمل البرلمانيّ وجدواه، تُرجِم (هذا الإحباط) في الامتناع عن التصويت كدلالة على انعدام ثقة في المؤسّسة البرلمانيّة الإسرائيليّة (الكنيست).

ويظهر لدينا أيضا حسب الاحصائيات بأن نسبة التصويت في صفوف الفلسطينيين وصلت الى 49% في انتخابات ابريل 2019، في حين استفادت الكتل العربية من 337,108 الف صوت فقط وان 73 الف صوت ذهبت الى الأحزاب الصهيونية كان من نصيب ميرتس نحو40 الف صوت ومن نصيب كاحول لفان نحو 33الف صوت وتقدر هذه النسبة 30% من نسبة التصويت لانتخابات ابريل من عام 2019، وتعتبر هذه النسبة مرتفعة بالمقارنة مع انتخابات عام 2015 حيث لم تزد نسبة

تصـويت العـرب عـن 16% يعـود سـبب زيـادة نسـبة التصـويت للأحـزاب الصـهيونية فـي انتخابـات ابريـل عـام 2019 كـان نتيجـة رد فعـل ومعاقبـة للأحـزاب العربيـة والقـائمتين العـربيتين المشـاركتين بالانتخابـات او قـد يكـون رغبـة مـن المـواطنين مـن اجـل اسـقاط حكومـة نتنيـاهو لـذلك ذهـب الـبعض لانتخاب حزب كاحول لفان وحزب ميرتس

بالإضـافة الـى الوعـود التـي أطلقتهـا بعـض الأحـزاب الصـهيونيّة مثـل العمـل وميـرتس وحـزب كـاحول لفـان عشـيّة الانتخابـات، مثـل تخصـيص ميزانيّـات للبلـدات العربيّـة وإدخـال تعـديلات علـى قـانون القوميّـة. (الحلـو، 2019)

حيـث يعـيش الالاف مـن الفلسـطينيين فـي أمـاكن غيـر معتـرف بهـا كـبعض قـرى النقـب وقـد اسـتقبلت بعـض البلـدات العربيّـة منـدوبي هـذه الأحـزاب وخصّصت لهم منصّات لنشر برامجهم الانتخابيّة وإطلاق وعودهم.

كمـا ان ظهـور نـوع مـن الفردانيـة حيـث جـاء التصـويت كجـزء مـن غيـاب مشـروع سياسـيّ جمـاعيّ للفلسـطينيّين فـي إسـرائيل، وصـعود توجُّهـات نيـو ليبراليّـة فـي صـفوف الفلسـطينيّين، ومـا تحمـل مـن أفكـار فـي اتّجـاه حصـر التصـويت فـي المصـلحة الخاصّـة، وفـي تحقيـق قضـايا عينيّـة، وفـي التخلّـي عـن المشـروع السياسـيّ الجمـاعيّ، فقـد اولـت أهميـة كبـري للفـرد علـى حسـاب الجماعـة ممـا أدى الـى توجـه العديـد مـن الأصـوات نحـو الأحـزاب الصـهيونية. (الحلو، 2019)

وتبـين أيضـا بـأن نسـبة الممتنعـين عـن التصـويت تقـدر ب 51% مـن نسـبة الفلسـطينيين الـذين يحـق لهـم التصـويت وهـذه النسـبة كبيـرة جـدا مقارنـة مـع الانتخابـات السـابقة والتـي أجريـت عـام 2015 حيـث امتنـع عـن التصـويت قرابة 35% من اجمالي النسبة التي يحق لها التصويت.

الى استياء المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل من أداء القائمة العربية المشتركة والتي صعدت الى الكنيست الإسرائيلي في انتخابات عام 2015 ادي الي عزوف عدد كبير من المصوتين عن الادلاء بأصواتهم.

بالإضافة الى طبيعة المجتمع الابوي في بعض القرى في الجنوب والتي دائمة الانتقاد لأعضاء الكنيست بالقائمة المشتركة، حيث توجه لهم الاتهامات بعدم متابعة امورهم وقضاياهم الحياتية حيث يعانون من نقص الخدمات، ناهيك عن ملاحقتهم من قبل الشرطة الإسرائيلية وإصدار قرارات الهدام بحق العشرات من المنازل، حيث اعتبر سكان هذه المناطق ان أعضاء الكنيست لم يستطيعوا التصدي لمثل هذه الانتهاكات.

إضافة الى كل ذلك ظهرت قبيل انتخابات ابريل لعام 2019 جماعات وحملات مقاطعة ظهرت في انتخابات ابريل وذلك مم ساهم خفض نسبة التصويت العام في صفوف العرب.

وينظم ناشطون حملات في الشارع العربي تدعو المواطنين إلى مقاطعة الانتخابات ووضع لافتات في مختلف المدن والقرى العربية تنادي بالمقاطعة.

فكانوا يخطون كتابات على بعض الجدران من قبيل "ممنوع المشاركة" و "لن أصوت إلا إذا صوت الشهداء"، فيما يقوم النشطاء في بعض الحالات بتمزيق لافتات دعائية وضعتها الأحزاب المختلفة في الشوارع.

حيث قال اليف صباغ الناشط في حملة مقاطعة الانتخابات "عن خيبة أمل قطاع واسع من الجمهور العربي من الأحزاب العربية المتنافسة في الانتخابات والتي تبحث عن مصالح شخصية وفئوية وتخدم أجندات خارجية تتلقى الدعم المالي منها، مشيرا إلى ضعف أداء القائمة المشتركة

فـي الكنيسـت المنتهيـة ولايتهـا، وكـذلك محدوديـة تـأثير صـوت النـواب العـرب داخـل الكنيسـت "الـذي يكـاد يكـون معـدوما وفشـل علـى مـر التـاريخ فـي صـد أي قانون عنصري سنه الكنيست."." (تحليل اخباري، 2019)

ثالثا: تحليل نتائج الانتخابات والاصوات العربية في الكنيست الإسرائيلي والتي تمت في سبتمبر عام 2019:

اعيـد تشـكيل القائمـة العربيـة المشـتركة فـور الإعـلان عـن موعـد الانتخابات الثانية حيث

قـرر رؤسـاء الأحـزاب العربيـة الأربعـة فـي أراضـي عـام 48، خـوض الانتخابـات لـ (كنيسـت) المقبلـة فـي قائمـة مشـتركة برئاسـة النائـب أيمـن عـودة من (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة)

ويليـه فـي المكـان الثـاني، د. مطـانس شـحادة، رئـيس التجمـع الـوطني الـديمقراطي، ثـم أحمـد الطيبـي مـن (العربيـة للتغييـر) ثـم منصـور عبـاس مـن (القائمة العربية الموحدة) (مدى الكرمل، 2019)

اسـتطاعت القائمـة العربيـة المشـتركة خـوض انتخابـات الكنيسـت الثانيـة فـي سـبتمبر مـن عـام 2019 وصـلت نسـبة التصـويت فـي المجتمـع العربـي الـي قرابـة 60% حيـث وصـل عـدد المصـوتين للقائمـة العربيـة المشـتركة بقيـادة المحـامي ايمـن عـودة علـى عـدد 470.611 الـف صـوت واذا مـا قورنـت هـذه النسـبة بتلـك النسـبة التـي حصـلتا عليهـا القائمتـان العربيتـان فـي انتخابـات ابريـل مـن نفـس العـام تعتبـر هـذه النسـبة عاليـة جـدا حيـث حصـلت الأحـزاب العربية المنقسمة على كتلتين فقط 337.108 الف صوت .

فيشير الجدول السابق أيضا الى ارتفاع نسبة التصويت في المجتمع الفلسطيني في إسرائيل فكانت النسبة في انتخابات ابريل 49% وارتفعت الى 60% ويعود هذا الارتفاع لعدة أسباب أهمها إعادة تشكيل القائمة العربية المشتركة، بالإضافة الى إحساس الناخب العربي بان اليمن المتشدد وخاصة نتنياهو سيبقي متحكما في صنع القرار في إسرائيل، بالإضافة الى المضايقات التي تعرض لها الناخب ومراكز الاقتراع التي زرع في بعضها كاميرات تجسس سرية والتي استفزت الناخب وجعلته يصر على انتخاب القائمة العربية المشتركة.

سعى نتنياهو الذي يتزعم حزب الليكود إلى إقرار قانون يسمح بإدخال الكاميرات إلى صناديق الاقتراع بدعوى منع "التزوير" مستهدفا بذلك بحسب مراقبين تخويف الناخبين العرب في إسرائيل، لكن الكنيست، رفضت اعتماد مشروع القانون المذكور، فيما لوحظ تودد زعماء أحزاب إسرائيل المنافسة لليكود إلى العرب لحثهم على المشاركة في توجه غير مسبوق وعلى رأسهم غانتس. (وكالة الأنباء الوطنية الماليزية، 2019)

ولفت محلل الشؤون الحزبية في صحيفة "هآرتس"، يوسي فيرطر، اليوم الجمعة، إلى أن نتنياهو يقصد بـ"هم" الناخبين العرب والأحزاب العربية، و"إنهم يسرقون لنا الانتخابات" هي صيغة جديدة لـ"العرب يهرولون نحو صناديق الاقتراع"، في انتخابات العام 2015، و"العرب يتحركون بكميات هائلة"، في انتخابات نيسان/أبريل الماضي. وهذه عبارات عنصرية لا يتردد نتنياهو في إطلاقها، في محاولة لحث ناخبي اليمين على التوجه إلى صناديق الاقتراع. (النجاح الاخبارية، 2019)

يعتبر هذا القانون بمثابة تحريض واضح من قبل نتنياهو على العرب في إسرائيل، لذلك أدرك الناخب العربي ان هناك استهداف مباشرا

وعلنيا وتحريضيا على الأحزاب العربية لذلك اعتقد ان رد فعل المنتخب العربي جاء لصالح زيادة عدد المصوتين للقائمة العربية المشتركة.

وفي إطار تحريض الليكود العنصري ضد الأحزاب العربية، قال الليكود عبر "تويتر" إنه "لو لم يكن هناك تزوير، لبقي حزب التجمع الوطني الديمقراطي خارج الكنيست، وحصلت كتلة اليمين على 61 مقعدا في الكنيست. والآن يحاولون منع مراقبة الانتخابات، ما سيسمح مجددا بسرقة الانتخابات". كذلك قال يائير نتنياهو، نجل رئيس الحكومة، في "تويتر" إن "هذا جنون! اليسار والعرب سرقوا منا الانتخابات ." (النجاح الاخبارية، 2019)

وبالنظر الى الجدول يتبن انخفاض واضح لنسبة الممتنعين عن التصويت حيث انخفضت النسبة من 51% في انتخابات ابريل الى 40% في انتخابات سبتمبر، ويتبين بان فرق النسبة تقريبا 11% مع العلم بان ان نسبة التصويت العامة في سبتمبر كانت قد وصلت الى 60% وبالنظر الى نسبة التصويت العامة في انتخابات ابريل لعام 2019 ان نسبة التصويت لدى المجتمع الفلسطيني لم تزد عن 49% نجد ان نسبة الزيادة قد كانت 11% لصالح انتخابات سبتمبر من نفس العام تبين من خلال قراءة الجدول بان نسبة الممتنعين عن التصويت في ابريل قد انضموا للتصويت في سبتمبر هذا ما يعتبره الكثيرون ناتجا عن وعي المواطن العربي لمصلحته وادراكه خطر اليميني المتطرف وخاصة بعد قانون الكاميرات بالإضافة الى التصميم نحو اسقاط اليمين المتطرف.

عقب رئيس القائمة المشتركة أيمن عودة على نتائج الانتخابات قائلا "نجحنا بجدارة في منع نتنياهو من تشكيل الحكومة الجديدة"، مؤكدا "استعداد القائمة للجلوس مع غانتس في سبيل إخراج نتنياهو من المشهد السياسي الحكومي" (وكالة الأنباء الوطنية الماليزية، 2019)

ولعل نتنياهو كان متخوفا بالأصل من حصول الأحزاب العربية على مقاعد قد تساعد كتلة كاحول لفان على تشكيل حكومة، لذلك كان قد شن حملة تحريض ضد العرب على جميع الأصعدة من ناحية اصدار قوانين مراقبة الانتخابات بزرعة الكاميرات والتي كان الهدف منها تخويف الناخب العربي.

وأكد المستشار القضائي للحكومة، أفيحاي مندلبليت، ورئيس لجنة الانتخابات المركزية، القاضي يوحنان ميلتسر، على معارضتهما قانونا كهذا، خاصة قبل الانتخابات بأسبوع، كما تعارض معظم الكتل البرلمانية سن قانون كهذا.

وقرر "كاحول لافان" معارضة "قانون الكاميرات"، وأن يطرح هذا الحزب مشروع قانون موازٍ، في حال قام الليكود بطرح قانونه. وينص مشروع قانون "كاحول لافان" على أن صلاحيات ومراقبة صناديق الاقتراع والقرار بشأن نصب كاميرات ومكان نصبها تقررها هيئات رسمية فقط، وأن تصادق لجنة الانتخابات المركزية فقط على الكاميرات، وليس أن تقوم بذلك أحزاب أو ناشطون في أحزاب، خاصة وأن القانون لا يسمح بذلك.

ويدلل وقوف حزب كاحول لفان ضد هذا القانون على ان هناك رغبة لدى الليكود في اقصاء الأصوات العربية خوفا من ان تشكل بيضة القبان في أي تحالف سياسي قد يقصي ويمنع حزب الليكود من تشكيل أي حكومة، ولان اليمين الوسط اقل حدة في العديد من قضيا الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، كان من المتوقع ان توافق القائمة العربية المشتركة على دعم حزب كاحول لفان.

ولعل ادراك المواطن الفلسطيني في إسرائيل خطر المؤامرة والتحريض التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني من قبل نتنياهو وحزبه وذلك

خلال الدعاية الانتخابية جعلت المواطن الفلسطيني يتجه للتصويت في انتخابات سبتمبر للتصويت للقائمة المشتركة بدلا من التوجه نحو انتخاب أحزاب صهيونية مثل ميرتس وحزب كاحول لفان وكان ذلك واضحا في جدول المقارنة بين الانتخابات لعام 2019 حيث لوحظ انخفاض نسبة التصويت لدى الأحزاب العربية من 30% الى 20% حيث حصلت الأحزاب الصهيونية على عدد 40 الف صوت من الأصوات العربية في انتخابات سبتمبر في حين قد حصلت في انتخابات ابريل الماضي على 73 الف صوت .

كما أن حملات المقاطعة التي سادت قبل انتخابات ابريل لم تستطع اقناع المواطن الفلسطيني بجدوى المقاطعة فتشكيل القائمة العربية المشتركة جاء متناغما مع الكثير من قاطع ورفع شعار الوحدة. الى جانب العشوائية في طرح المقاطعة وظهرت كأنها مجرد معارضة ومناكفة لشخوص المرشحين فهذا كان واضحا من خلال الردود والانتقادات للنواب الفلسطينيين طوال الفترات السابقة.

بالإضافة الى قوة الحملات الدعائية والتي خاضها المرشحون عن القائمة العربية المشتركة حيث تواصل القيادي ايمن عودة والدكتور احمد الطيبي على وسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي حيث استطاع النواب إيصال الرسالة وممارسة كافة اشكال النضال السياسي والإعلامي وكافة الوسائل والإمكانات المتاحة من اجل التواصل مع كافة أطياف المجتمع الفلسطيني لإقناعهم أهمية التوجه نحو صناديق الاقتراع، وبالفعل كانت نتيجة الانتخابات تدلل على نجاح القائمة المشتركة حيث حصلت على 13 مقعد.

ولعل الوسط العربي في حال تشكلت القائمة العربية المشتركة قد يخلو من المنافسة بين الأحزاب العربية لان الهدف واحد الا أن بعض

الأحـزاب الصـغيرة والتـي حـاول تسـويق نفسـها كبـديل عـن القائمـة العربيـة المشـتركة (كحـزب الوحـدة الشـعبية وقائمـة الكرامـة) والتـي لـم تصـل الـى نسـبة الحسم.

لـم يقتصـر عمـل الأحـزاب العربيـة علـى تشـكيل قائمـة مشـتركة، بـل كانـت لجـان الانتخابـات تعمـل ليـل ونهـار مـن اجـل نقـل الناخـب الفلسـطيني مـن منـاطق الجنـوب والنقـب والتـي يصـعب علـيهم الوصـول لمراكـز الاقتـراع وكانـت العديـد مـن المناشـدات مـن اجـل نقـل الناخـب لكـي يصـوت لصـالح القائمة العربية المشتركة.

لعـل مـن أسـباب رفـع نسـبة التصـويت العامـة وانخفـاض المقاطعـة وانخفـاض نسـبة التصـويت للأحـزاب الصـهيونية يعـود الـى اهتمـام العديـد مـن النخب السياسية والثقافية في انتخابات سبتمبر

لمـا لهـا تـداعيات علـى مصـير الفلسـطينيين فـي إسـرائيل وخاصـة مـدى وعـى المثقـف الفلسـطيني الخطـر الـذي يهـددهم ويهـدد وجـودهم باسـتمرار وجـود نتنيـاهو فـي الحكـم فكـان الدعايـة الانتخابيـة لنتنيـاهو مسـلطة نحـو الفلسـطينيين فـي كـل مكـان حيـث وعـد نتنيـاهو ضـم البـؤر الاسـتيطانية والاغـوار فـي حـال فـاز بالانتخابـات لـذلك ظهـر حـراك المثقـف والأكـاديمي فكـان تشـكيل القائمـة العربيـة المشـتركة رغبـة جماهيريـة قبـل ان تكـون رغبـة لـدى قيـادات الأحـزاب العربية.

خاتمة:

لقد حاولت في هذه الورقة عمل تحليل نتائج انتخابات ابريل عام 2019ودراسة توجهات الناخبين الفلسطينيين حيث حصلت فيها الأحزاب العربية (الكتلتين العربيين) على 10 مقاعد من اجمالي 120 مقعدا من مقاعد الكنيست 21، حيث كان عدد المقاعد اقل من المقاعد التي حصلت عليها القائمة العربية المشتركة في انتخابات سبتمبر من نفس العام والتي قمنا بتحليل النتائج وتوجهات الناخبين حيث حصلت القائمة العربية المشتركة في انتخابات سبتمبر على عدد 13 مقعد. ومن خلال عمل دراسة المقارنة بين انتخابات ابريل وانتخابات سبتمبر تبين لنا ان أسباب زيادة نسبة المصوتين في انتخابات سبتمبر هو تشكيل القائمة العربية المشتركة، ومن خلال المقارنة نجد أيضا توجهات الناخب الفلسطيني اختلفت مع زيادة نبرة وحدة التحريض الي زادت في انتخابات سبتمبر على لسان نتنياهو حيث كان يستهدف الوجود الفلسطيني في كل مكان كل ذلك من اجل استعطاف الناخب اليهودي للتصويت له، هذا ما جاء عكس توقعات نتنياهو. فكان التصويت الفلسطيني أكثر بكثير من انتخابات ابريل.

إدراك الناخب الفلسطيني أهمية الوحدة بين كافة أطياف الشعب الفلسطيني وهنا لا بد من استثمار هذه المدركات من قبل أعضاء القائمة العربية المشتركة. والبناء عليها في المستقبل للعمل على زيادة نسبة التصويت أكثر في أي انتخابات قادمة.

المراجع

_1الموسوعة الحرة. (بلا تاريخ).

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9_%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D9%8A%D8%B1%. تم الاسترداد من ويكيبيديا.

2_النجاح الاخبارية. (6 9, 2019). نتنياهو يصر على سن قانون بنصب كاميرات في صناديق الاقتراع.

3_تحليل اخباري. (9 4, 2019). *ARABIC.NEWS.CN*.

4_مدى الكرمل. (4, 2019). *قراءة أولية في نتائج الانتخابات في المجتمع الفلسطيني ومعانيها*.

5_ معين الحلو. (12 10, 2019). (فيصل مغاري، المحاور) غزة، غزة.

6_معين الحلو. (12 10, 2019). (فيصل مغاري، المحاور) غزة، غزة، فلسطين.

7_ وكالة الأنباء الوطنية الماليزية. (22 9, 2019). *rnama.com/ar/news.php?id=1770136*.

أزمة إيرادات المقاصّة المتكررة: السياق السياسي والتداعيات الاقتصادية

رائـد محمد حلــس

باحث ومختص في الشأن الاقتصادي غـزة – فلسطين

مقدمة

منذ نشأة السلطة الوطنية الفلسطينية بموجب اتفاق أوسلو وما تبعه من توقيع بروتوكول باريس الاقتصادي تم ربط مسار المساعدات والمنح الدولية، أو إيرادات المقاصّة، بالمسار الأمني والسياسي على الأرض، بغض النظر عن الحاجة الفلسطينية إلى المال أو التنمية أو السيادة، لذا ترتبط المساعدات والمنح الدولية أو إيرادات المقاصّة، بمدى التزام الجانب الفلسطيني بعملية السلام وبتوفير الأمن لـ "إسرائيل".

وبالتالي عند قطع المساعدات الدولية أو انخفاضها وكذلك عند تجميد أو استقطاع جزء من إيرادات المقاصّة تواجه الحكومة الفلسطينية أزمة مالية تهدد أداء عملها.

وتعتبر إيرادات المقاصّة صمام الأمان للحكومة الفلسطينية والعمود الفقري لموازنتها العامة، لأنها تؤمن أكثر من 65% من مجموع إيرادات الحكومة الفلسطينية، وتغطي أكثر من نصف نفقاتها، وبالرغم من أهميتها إلا أنها ظلت أحد أوراق الضغط والابتزاز المالي الذي استخدمته إسرائيل في أحداث سياسية وأمنية مختلفة، ما يضع الحكومة الفلسطينية لتدارك هذا الوضع ومحاولة تعزيز استقلاليتها السياسية وكذلك استقلالية مواردها المالية حتى لا تقع تحت الابتزاز المالي لـ "إسرائيل".

تقرأ الدراسة أزمة إيرادات المقاصّة المتكررة في سياقها السياسي وأبعادها الاقتصادية سواء من جهة إجراءات الاحتلال الإسرائيلي، أو من جهة الخطوات الاقتصادية التي اتخذتها الحكومة الفلسطينية في مواجهة هذه الأزمة، وتقترح بعض السياسات والتدخلات الممكنة فلسطينياً لمعالجة الأزمة من جذورها في إطار الانفكاك الاقتصادي.

أولاً: نشأة إيرادات المقاصّة

نشأت إيرادات المقاصّة نشأة مشوهة ومنقوصة السيادة على استحقاقات الوصول إليها، بموجب بروتوكول باريس الاقتصادي عام 1994، حيث أعطى البروتوكول الحق لـ "إسرائيل" في تحصيل ضريبة القيمة المضافة من الواردات

من "إسرائيل"، وإدارة عمليات التخليص الجمركي على الواردات الفلسطينية التي تمر عبر الموانئ الإسرائيلية، وتحصيل الرسوم الجمركية وضريبة القيمة المضافة عن هذه الواردات (إيرادات المقاصّة)، ومن ثم تحويل هذه الإيرادات إلى السلطة الوطنية الفلسطينية شهرياً بعد خصم 3% منها كرسم تحصيل.[1]

في ضوء ما سبق تُعرف إيرادات المقاصّة بأنها إيرادات الضرائب التي تقوم "إسرائيل" بجبايتها نيابة عن السلطة الوطنية الفلسطينية بحسب ما جاء في بروتوكول باريس الاقتصادي الذي يحكم العلاقات الاقتصادية بين "إسرائيل" والأراضي الفلسطينية، وتشمل هذه الإيرادات على ثلاثة أنواع من الضرائب:[2]

1. **ضرائب مباشرة:** ضريبة الدخل على أجور العمال الفلسطينيين في "إسرائيل" والمستوطنات.
2. **ضرائب غير مباشرة على المستوردات من "إسرائيل":** ضريبة القيمة المضافة على كافة السلع المستوردة من إسرائيل وضريبة الشراء على مشتقات النفط والسجائر والكحول فقط.
3. **الضرائب غير المباشرة على المستوردات من الخارج:** ضريبة القيمة المضافة والجمارك وضريبة الشراء وغيرها.

وقد تم إدراج ضريبة الدخل على أجور العمال الفلسطينيين في "إسرائيل" والمستوطنات ضمن أنواع إيرادات المقاصّة، على الرغم من أنها لا تعد جزءاً من آلية المقاصة، فعمليات المقاصة تتعلق فقط بتبادل (تقاص) فواتير المشتريات من الخارج (البيان الجمركي) والمشتريات من الطرف الإسرائيلي لتسوية حسابات الضرائب غير المباشرة بينهما، لكن إحصاءات وزارة المالية

الفلسطينية تعامل ضرائب الدخل على أنها أحد بنود إيرادات المقاصّة، وتُحوَّل الضريبة على دخل العمال الفلسطينيين في "إسرائيل" والمستوطنات إلى وزارة المالية كل ثلاثة أو ستة أشهر، وليس شهرياً كما هو حال الضرائب غير المباشرة، وتستقطع إسرائيل لنفسها 25% من ضرائب الدخل هذه قبل تحويلها إلى السلطة الفلسطينية.[3]

وتخضع النسبة التي تستقطعها إسرائيل لقاء خدمات التحصيل والجباية التي تؤديها للرقابة الإسرائيلية فقط، أي أن النسبة غير محددة تماماً، وبالرجوع إلى وزارة المالية فإن هناك اختلافاً بين إيرادات المقاصّة على أساس نقدي وإيرادات المقاصّة على أساس الالتزام الفعلي، وتكشف هذه الاختلافات الاختلال في تعامل الاحتلال مع ملف إيرادات المقاصّة.

ثانياً: تطور إيرادات المقاصّة

تطور حجم إيرادات المقاصّة بشكل مستمر منذ إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية، نتيجة تزايد حجم الواردات في سياق ضعف القطاعات الإنتاجية، وتوفر تمويل لهذه الواردات من خلال المساعدات الخارجية وارتفاع حجم الاستهلاك النهائي في الاقتصاد الفلسطيني.[4]

حيث تزايدت إيرادات المقاصّة خلال الفترة (1996 – 2019) بشكل كبير، إذ ارتفع حجمها من 351.7 مليون دولار عام 1996 ليصل حجمها إلى 2219.2 مليون دولار عام 2019.

وبالنظر في البيانات المدرجة في الجدول رقم (1) نلاحظ ما يلي:

– بلغ المتوسط السنوي لقيمة إيرادات المقاصّة حوالي 457.6 مليون دولار بمتوسط شهري 38.1 مليون دولار خلال الفترة (1996 – 2006)، وبلغ متوسط نسبة إيرادات المقاصّة من الإيرادات المحلية حوالي 51.6%، بينما بلغ متوسط نسبة إيرادات المقاصّة من النفقات العامة حوالي 31.9% خلال نفس الفترة.

– تزايدت قيمة إيرادات المقاصّة ومساهمتها في الإيرادات المحلية والنفقات العامة بشكل كبير خلال الفترة (2007 – 2019) نتيجة لارتفاع قيمة إيرادات المقاصّة في تلك الفترة، حيث بلغ المتوسط السنوي لقيمة إيرادات المقاصّة حوالي 1763.3 مليون دولار بمتوسط شهري 146.9 مليون دولار خلال الفترة (2007 – 2019)، وبلغ متوسط نسبة إيرادات المقاصّة من الإيرادات المحلية حوالي 66.9%، بينما بلغ متوسط نسبة إيرادات المقاصّة من النفقات العامة حوالي 50.8% خلال نفس الفترة.

جدول رقم (1): تطور إيرادات المقاصّة ومساهمتها في الإيرادات المحلية والنفقات العامة خلال الفترة (1996 – 2019)

السنة	إيرادات المقاصّة	معدل نمو إيرادات المقاصّة (%)	مساهمة إيرادات المقاصّة في الإيرادات المحلية (%)	مساهمة إيرادات المقاصّة في النفقات العامة (%)
1996	351.7		54.5	32.8
1997	475.9	35.31	59.0	42.1
1998	543.9	14.29	62.6	50.6
1999	579.7	6.58	61.6	49.0
2000	587.0	1.26	62.5	35.2
2001	0.0	-100.00	0.0	0.0

2002	72.0	172.00	24.4	5.8
2003	472.0	555.56	61.9	28.9
2004	713.0	51.06	67.9	46.7
2005	894.0	25.39	65.3	39.2
2006	344.0	-61.52	47.6	20.2
2007	1318.0	283.14	80.3	45.8
2008	1137.0	-13.73	60.0	32.6
2009	1090.0	-4.13	65.1	32.3
2010	1234.2	13.23	64.0	38.6
2011	1487.4	20.52	67.9	45.7
2012	1574.4	5.85	68.8	48.3
2013	1690.5	7.37	66.5	49.4
2014	2054.3	21.52	70.1	57.0
2015	2046.9	-0.36	69.2	59.4
2016	2332.4	13.95	63.9	63.7
2017	2483.0	6.46	67.0	65.4
2018	2255.3	-9.17	62.6	61.7
2019	2219.2	-1.60	64.7	60.6

- **المصدر:** سلطة النقد الفلسطينية، الإيرادات والنفقات ومصادر التمويل للسلطة الوطنية الفلسطينية، (رام الله: 2019)، الموقع الالكتروني: http://bit.ly/2TJDQnE .
- المبالغ بالمليون دولار.

ثالثاً: السياق السياسي لأزمة إيرادات المقاصّة

تعرضت إيرادات المقاصّة الفلسطينية لسلسلة من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة (تجميداً واستقطاعاً)، وتندرج هذه الاعتداءات المتكررة في سياق الضغط السياسي على السلطة الوطنية الفلسطينية سياسياً واقتصادياً، وقد ترافقت فترات التجميد مع التغيرات السياسية على الأرض، كما هو موضح في الجدول رقم (2).

جدول رقم (2): الاعتداءات الإسرائيلية على إيرادات المقاصة الفلسطينية

خلال الفترة (1996 – 2019)

فترات تجميد أو استقطاع إيرادات المقاصّة	السـياق / الحجج الإسرائيلية
أغسطس 1997 – سبتمبر 1997	توتّر أمني
ديسمبر 2000 – ديسمبر 2002	اندلاع الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)
مارس 2006 – ديسمبر 2007	الانتخابات التشريعية الفلسطينية وتشكيل حركة حماس للحكومة الفلسطينية العاشرة
تشرين الثاني (نوفمبر) 2011	المساعي الفلسطينية لنيل اعتراف دبلوماسي من اليونسكو
كانون الأول (ديسمبر) 2013	نجاح المساعي الفلسطينية في الحصول على صفة دولة مراقب في الأمم المتحدة
كانون الأول (ديسمبر) 2014 – نيسان (أبريل) 2015	المساعي الفلسطينية للانضمام إلى محكمة الجنايات الدولية
فبراير 2019 (مستمر)	رفضت السلطة الفلسطينية تسلم إيرادات القاصة بعد قيام الاحتلال الإسرائيلي باستقطاع مبالغ مالية منها، تقدمها السلطة لعائلات الشهداء والجرحى والأسرى، إذ تعدها إسرائيل عمليات مالية لتغذية الإرهاب.

- **المصـــدر**: إعداد الباحث بالاستناد إلى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية – الأونكتاد، التطورات التي شهدها اقتصاد الأرض المحتلة، جنيف، أعداد مختلفة.

ومن الجدير بالذكر أن "إسرائيل" كانت تقوم بخصم مستحقات لشركة الكهرباء الإسرائيلية ومستشفياتها، قبل أن تُفرج عن أموال المقاصّة المحتجزة في العديد من المرات.

ويظهر الجدول رقم (2) الارتباط الوثيق بين فترات التجميد والاستقطاع لإيرادات المقاصّة إلى السلطة الفلسطينية من قبل الاحتلال الإسرائيلي وبين المسار السياسي على الأرض، حيث يظهر الضغط والابتزاز السياسي الذي مارسه الاحتلال الاسرائيلي على السلطة

الوطنية في ملف إيرادات المقاصة في السنوات الأخيرة وبخاصة بعد فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية في العام 2006، اعتراضاً على نتائج الانتخابات الفلسطينية التي جرت في يناير 2006.

وقد واصلت اعتداءاتها المتكررة على إيرادات المقاصة واستخدامها كورقة ضغط للابتزاز السياسي والمالي على السلطة الفلسطينية خلال الفترة (2011 – 2016) لصد السلطة الفلسطينية عن جهودها السياسية والدولية أحادية الجانب، بعد إخفاق الوسيط الأمريكي في تعزيز الحضور الفلسطيني في المنظمات الدولية، وعدم التزام الاحتلال الإسرائيلي بالاتفاقيات الموقعة مع السلطة الفلسطينية.

وقد تبنى الاحتلال الإسرائيلي استراتيجية جديدة لفرض سياساته على إيرادات المقاصّة والمتمثلة في سياسة الاستقطاع من الأموال الفلسطينية التي تجبيها نيابة عن السطلة دون الرجوع إليها أو الموافقة عليها، فقد اقتطع حوالي 11.3 مليون دولار في فبراير 2019، بحجة أنها تذهب إلى عوائل الشهداء والجرحى والأسرى تحت ذريعة أن هذه الأموال هي عمليات مالية لتغذية الإرهاب حسب الاحتلال، وهو ما رفضته السلطة الفلسطينية وكذلك رفضت استلام إيرادات المقاصّة منقوصّة.[5]

كما صادقت لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست الإسرائيلي بالإجماع على مقترح اقتطاع أموال التعويضات التي تُدفع للمستوطنين في منطقة غلاف غزة بسبب الحرائق من أموال المقاصة الفلسطينية.[6]

وبالإضافة إلى ذلك قام الاحتلال الإسرائيلي باستقطاع ما يعادل 3.6 مليون دولار من أموال المقاصّة الفلسطينية بتاريخ 15 أغسطس

2019، لصالح 51 فلسطينياً، وجّهت إليهم السلطة الفلسطينية تهمة التخابر مع الاحتلال الإسرائيلي "عملاء" منذ بداية التسعينات وحتى مطلع الألفية الثالثة، بعد فرارهم من السجون الفلسطينية إلى إسرائيل عام 2002 خلال عملية السور الواقي.[7]

ويُعتقد على نطاق واسع أن تدرُّج الاقتطاعات من أموال المقاصّة الفلسطينية المتكررة من قبل الاحتلال الإسرائيلي، يُظهر مدى قدرة الاحتلال في التحكم والسيطرة في أهم مورد مالي للسلطة الفلسطينية بغرض ممارسة الضغط عليها سياسياً واقتصادياً لإجبارها بقبول ما تفرضه عليها من إملاءات أو صفقات سياسية.

رابعاً: التداعيات الاقتصادية لتكرار أزمة إيرادات المقاصة

هناك انعكاسات سلبية على الاقتصاد الفلسطيني نتيجة تكرار تجميد أو استقطاع جزء أموال المقاصّة، ولا تزول هذه الآثار السلبية بمجرد عودة هذه الأموال وكأن الأمر لا يتعدى تأخير السداد بدون آثار سلبية مستدامة تنعكس على الأداء الاقتصاد على المدى الطويل، وتشمل الآثار والتداعيات ما يلي:

1. تهديد الاستقرار المالي الفلسطيني

يمثل احتجاز إيرادات المقاصة المتكرر من قبل الاحتلال الإسرائيلي تهديداً مباشراً للاستقرار المالي الفلسطيني، نظراً لما يتسبب به من تسرّب مالي واستنزاف لخزينة السلطة الفلسطينية، وحقيقة الأمر أنّ الاقتصاد الفلسطيني يواجه تهديدين مختلفين نتيجة تحكّم إسرائيل بإيرادات المقاصة:

التهديد الأوّل: يتعلّق بعدم القدرة على التنبؤ بحجم هذه الإيرادات، رغم أهميّتها بالنسبة للاقتصاد الفلسطيني، كمكوّن رئيسي للإيرادات المحلّيّة، فهذه الإيرادات تُعتبر صمّام الأمان للحكومة الفلسطينيّة في قدرتها على الوفاء بالتزاماتها، ودفع المستحقات المترتّبة عليها، حيث تشكّل بالمتوسط ثلاثة أرباع الإيرادات المحلّيّة الفلسطينيّة.[8]

التهديد الثاني: يتعلّق بالتسرّب المالي من خزينة السلطة الفلسطينية، حيث تعاني هذه الأخيرة من خسائر مالية كبيرة ناجمة عن ضياع حصيلة قيمة ضريبة القيمة المضافة وضريبة الشراء وجمارك المستوردات بسبب الاستيراد غير المباشر عبر إسرائيل. وهذا التسرّب المالي ناتج عن أنّ إسرائيل لا تزوّد السلطة بالمعلومات الكافية عن حجم الاستيراد والجهة التي قامت بذلك، لأنّ اتفاق باريس لا يلزمها بذلك، إضافةً إلى أنّ بعض التجار لا يقدّمون فواتير المقاصة لوزارة الماليّة، حيث تدفع إسرائيل الضرائب على أساس الفواتير، وذلك حتى لا يكشفوا عن حجم أعمالهم، التي يدفعون من خلالها ضريبة الدخل.[9]

ومن مصادر التسرّب المالي أيضاً البضائع المهرّبة من السوق الإسرائيلية، التي تُقدّر قيمتها ما بين 25–35% من مجموع الواردات من إسرائيل، حيث إنّ البضائع المنتجة في إسرائيل والمهرّبة إلى السوق الفلسطينية تنتج عنها خسائر كافة الضرائب غير المباشرة (القيمة المضافة والجمارك وضريبة الشراء)، بينما البضائع التي منشؤها بلد ثالث، تكون الخسائر فقط في الجمارك وضريبة الشراء في حال تم استيرادها من إسرائيل بموجب فاتورة مقاصة. والمعضلة هنا أنّ السلطة الفلسطينيّة لا تستطيع إجراء رقابة على حركة مرور البضائع إلى السوق الفلسطينيّة، بسبب عدم تواجدها على المعابر الدوليّة، وعدم وجود حدود داخليّة مع السوق الإسرائيلية، وهذا الأمر يزيد من حدّة تهريب البضائع من الأسواق والمستوطنات.[10]

وتشير التقديرات إلى أن التسرّب المالي للضرائب المباشرة وغير المباشرة المدفوعة من قبل المستهلك الفلسطيني والمحجوزة من قبل الجانب الإسرائيلي، يتسبب في خسائر تتكبدها الخزينة الفلسطينية تقدر بحوالي 306 ملايين دولار سنويّاً على الأقل، أي ما يعادل 17% من إيرادات الضرائب للسلطة الفلسطينيّة، وهذا يشكل 3.6% من الناتج المحلّي الإجمالي. [11]

إضافةً للخسائر الماليّة، فإنّ هناك تكاليف وخسائر اقتصادية إضافيّة لهذا التسرّب المالي، تمس الزيادة في الناتج المحلّي الإجمالي وزيادة نسبة التشغيل، التي كان يمكن للاقتصاد الفلسطيني أن يحقّقها لو تمّ توقيف هذا التسرّب المالي، ولو تمّ تحويل هذه الإيرادات من الخزينة الإسرائيليّة إلى الخزينة الفلسطينية، فالتقديرات تشير إلى أنّه لو تمّ منع هذا التسرّب وأمكن توفير هذه الإيرادات العامّة للسلطة الفلسطينيّة، لكان ممكناً زيادة الناتج المحلّي الإجمالي بنسبة 4%، وخلق ما يعادل 10000 فرصة عمل إضافيّة كل عام. كما يزيد هذا التسرّب المالي من هشاشة الوضع المالي للسلطة الوطنيّة الفلسطينيّة، ويقلّل من قدرتها على التخطيط المالي والإنفاق على الموازنات التطويريّة، ويضع الاقتصاد كلّه في مرحلة نموّ حرجة لا يمكن الخروج منها، ويبقيه عرضةً لتأثير السياسات الاقتصادية والمالية الإسرائيلية.[12]

2. التأثير على الموازنة العامة الفلسطينية

تشكل عائدات التخليص الجمركي "إيرادات المقاصّة" والتي تقدر بنحو 15% من الناتج المحلي الإجمالي، العمود الفقري للموازنة الفلسطينية، فهي تؤمن أكثر من 65% من الإيرادات المحلية، وأكثر من نصف نفقاتها العامة، وبالتالي فإن تجميد أو استقطاع إيرادات المقاصّة يؤثر بشكل مباشر على قدرة الحكومة الفلسطينية في تأمين فاتورة الرواتب والأجور للموظفين العموميين، أي

أن الحكومة الفلسطينية لن تتمكن من تسديد رواتب الموظفين كاملة والتي تقدر بحوالي 150 مليون دولار شهرياً[13]، وفي مثل هذا الوضع ستنعكس تداعياته بصورة شبه شلل عام سيصيب كافة مناحي الحياة الاقتصادية بسبب حالة الركود الناجمة عن عدم استلام الموظفين رواتب كاملة، باعتبار أن رواتب الموظفين تعتبر المحرك الأساسي لحركة الطلب والاستهلاك.

3. التأثير على الدين العام والمتأخرات

نتيجة لأزمة إيرادات المقاصّة والارتفاع الملحوظ والكبير في عجز الموازنة العامة، فقد ارتفع الدين العام وفقاً لبيانات وزارة المالية من 2369.5 مليون دولار عام 2018 إلى 2795.2 مليون دولار بنسبة 17.9%، وتحديداً بسبب ارتفاع الدين المحلي نتيجة قيام الحكومة الفلسطينية بالاقتراض من المصارف، وذلك في محاولة منها للتغلب على أزمة المقاصّة وتوفير مصادر أخرى للدخل من أجل الوفاء بالمستحقات والالتزامات المترتبة عليها، مما ترتب على ذلك أيضاً ارتفاع حجم المتأخرات المتراكمة على الحكومة، وبالتالي فإن ارتفاع حجم الدين المحلي والمتأخرات المتراكمة على الحكومة، يهدد سلامة الجهاز المصرفي ويهدد خطط التوسع والاقتراض في المستقبل.[14]

4. التأثير على المناخ الاستثماري

إن تكرار الأزمات وخاصة أزمة إيرادات المقاصّة، وانخفاض القدرة على التنبؤ بالمستقبل وتراكم المتأخرات على القطاع العام تجاه الموردين، وارتفاع سعر الفائدة بتأثير الدين العام، يحبط مشاريع الاستثمار المستقبلية، وينعكس سلباً على الإنتاج والتشغيل المستقبلي.[15]

يتبين من قراءة هذا الوضع أن الاحتلال الإسرائيلي يتحكم في أكبر جزء من الإيرادات العامة الفلسطينية "إيرادات المقاصّة"، وبالتالي فإن غياب السيطرة

والتحكم بهذا الجزء الجوهري من مكونات إيرادات الخزينة العامة يُمّكِن الاحتلال من استغلال هذه الأموال ضد الشعب الفلسطيني كوسيلة للابتزاز والضغط السياسي والمالي، لذلك ينبغي على الحكومة الفلسطينية تدارك هذا الوضع ومحاولة تعزيز استقلالية مواردها المالية حتى لا تقع تحت الابتزاز السياسي والمالي لـ "إسرائيل".

خامساً: الخطوات الاقتصادية لتجاوز أزمة إيرادات المقاصّة

اتَّخذت السلطة الفلسطينية في معظم المرات السابقة لأزمة إيرادات المقاصّة عدَّة خطوات اقتصادية لتجاوز الأزمة الحادة في موازنتها، الناتجة عن تجميد إيرادات المقاصّة، وقد تراوحت في ثلاثة إجراءات في سياساتها الاقتصادية وهي: التوجه للدول المانحة والدول العربية لتقديم دعم إضافي لموازنتها، وتطبيق إجراءات تقشفية، والاستدانة الداخلية.

وغالباً ما كان يترتب على هذه الخطوات آثار اقتصادية ومالية سلبية، تزيد من حدَة المشكلات المالية وتؤثر في تخفيض النمو الاقتصادي.

1. التوجه للدول المانحة والدول العربية لتقديم دعم إضافي لموازنتها

ناشدت السلطة الوطنية الفلسطينية الدول المانحة لتقديم دعم إضافي لدعم موازنتها في كل أزمة من أزمات إيرادات المقاصة السابقة، وقد لاقت مناشدة السلطة استجابة من الاتحاد الأوروبي وبعض الدول المانحة والدول العربية، إذ كان هناك تدخلات خارجية عن طريق الدول المانحة في ثلاث حالات فقط، وهي التي طالت مدتها، غالباً مثلما حدث في أزمة عام 2000

وأزمة عام 2006، بالإضافة إلى أول أزمة التي حدثت في عام 1997، إذ تدخل الاتحاد الأوروبي بشكل مباشر وكذلك بعض المانحين من خلال:[16]

- تقديم تسهيل ائتماني قصير المدى من الاتحاد الأوروبي لمواجهة أزمة إيرادات المقاصة عام 1997.

- تقديم تسهيل ائتماني خاص من الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى قروض من المانحين العرب من خلال البنك الإسلامي للتنمية، ضمن مشروع دعم الخدمات الطارئة وقام البنك بإدارة هذا التسهيل خلال أزمة إيرادات المقاصّة في عام 2000.

- أما أزمة إيرادات المقاصّة في عام 2006، فتم مواجهتها بآلية عمل دولية مؤقتة لتوجيه مسار أموال المانحين خارج إطار السلطة الفلسطينية لدفع المخصصات مباشرة إلى كوادر الخدمة المدنية والنفقات الخاصة بالخدمات الأساسية تحت بنود الموازنة خارج بند الأجور.

وخلال الأزمات الخاصة بإيرادات المقاصة التي حدثت خلال الفترة (2011 – 2019)، بدأت السلطة الفلسطينية البحث عن شبكة أمان عربية بديلة عن الدول المانحة التي تخلت عن السلطة الفلسطينية استجابة للتهديدات الأمريكية نتيجة توجه السلطة الفلسطينية للحصول على صفة دولة مراقب في الأمم المتحدة وكذلك انضمامها للمنظمات الدولية بما فيها محكمة الجنايات الدولية، وبالتالي توجهت للدول العربية للالتزام بتوفير شبكة الأمان العربية التي تقدر بـ100 مليون دولار لدعم الموازنة العامة الفلسطينية والتي تعهد بها زعماء الدول العربية في القمم العربية التي عقدت في تلك الفترة.

وفي هذا الصدد فإن الدول العربية لم تلتزم بتعهداتها المالية لصالح شبكة الأمان باستثناء السعودية التي تدفع حصتها البالغة 14% بشكل مستمر كل

ثلاثة شهور أي ما يعادل 20 مليون دولار وهو ما يفسر اتجاه السلطة الفلسطينية إلى الاستدانة المحلية من البنوك الفلسطينية لمواجهة أزمتها المالية الناتجة عن أزمة إيرادات المقاصّة.[17]

2. تطبيق إجراءات تقشفية

واجهت الحكومة الفلسطينية أزمة إيرادات المقاصّة بنفس الإجراءات في معظم الأزمات التي حدثت، وهي إجراءات تقشفية تمثلت بدفع نسبة من الراتب 60% وبحد أدنى 2000 شيكل وراتب كامل لمن يتقاضى راتب أقل 2000 شيكل.

ولتخفيف أثر التقشف على الموظفين كانت سلطة النقد الفلسطينية تصدر تعليمات إلى البنوك الفلسطينية تتمثل في عدم خصم ما يزيد عن 50% من قيمة القسط المستحق، وعدم تجاوز الخصم 50% من القيمة المحولة لراتب الموظف الحكومي، وعدم استيفاء المصارف لعمولة الشيكات المعادة، وألا تتجاوز الشيكات قيمة راتب الموظف.[18]

3. الاستدانة من البنوك المحلية

أقدمت الحكومة الفلسطينية على الاقتراض من البنوك العاملة في السوق المحلية، في الأزمات التي حدثت وبخاصة في الأزمات التي لم يكن الدعم الدولي بجانب الإجراءات التقشفية كافية لتجاوز الأزمة المالية ووقف الانهيار الاقتصادي، ولكن هذا أدى إلى تراكم الديون على الحكومة في السنوات التي حدثت بها أزمة.

سادساً: الخيارات الممكنة لمعالجة أزمة إيرادات المقاصة المتكررة

من غير المعقول والمقبول أن يبقى الاقتصاد الفلسطيني رهينة اتفاقية أبرمت قبل 24 سنة في إطار شبه جمركي منقوص ومشوه، وأعطت الحق للاحتلال الإسرائيلي التحكم والسيطرة بأهم مورد مالي للسلطة الفلسطينية "إيرادات المقاصّة"، واستخدامها كورقة ضغط للابتزاز السياسي والمالي بشكل متكرر، وباتت مشكلة حقيقية تتطلب إعادة التفكير الجاد لإيجاد حل جذري لهذه المشكلة ومنهجية تحصيلها، وفق ترتيبات جديدة، وفي إطار التوجه نحو الانفكاك الاقتصادي.

إن التوجه نحو الانفكاك الاقتصادي وتحقيق الاستقلال الاقتصادي يتطلب بشكل مباشر وفاعل لإلغاء اتفاق باريس الاقتصادي، ليس فقط لاحتوائه بنوداً مجحفة بحقنا، ولكن أيضاً بسبب قيام الاحتلال بتدمير مفهوم الاتحاد الجمركي (بما يتبع ذلك من حرية البضائع والعمال وتوحيد النسب الضرائب) وإرساء منظومة سيطرة منيعة لتقف في طريق أي تقدم اقتصادي فلسطيني، ومن ثم العمل على تهيئة ترتيبات تجارية واقتصادية جديدة، وذلك عبر السياسات والتدخلات الممكنة والتي سوف تفضي إلى حل جذري لمشكلة إيرادات المقاصة في إطار الانفكاك الاقتصادي، ويمكن إجمال السياسات والتدخلات التي تساهم في الانفكاك الاقتصادي، بما يلي:[19]

- دعم وتفعيل مبادرة التكامل الاقتصادي الفلسطيني العربي، الّتي أطلقها منتدى الأعمال الفلسطيني الدّولي في عمّان في شهر تشرين ثاني (نوفمبر) 2015، والّتي تهدف إلى تحرير الاقتصاد الفلسطيني من التبعيّة لـ "إسرائيل"، فالاندماج الإقليمي العربي يمثّل فرصة حقيقيّة لتنمية قطاع التجارة

الفلسطيني من خلال توسيع وتنويع نطاق الأنشطة التجاريّة له بعيداً عن الشريك الإسرائيلي المهيمن، وتوفير الاستقلال الذي تحتاجه التجارة الفلسطينيّة كمنطقة تجاريّة مستقلّة ذات سيادة جمركيّة.

- اتباع سياسات جمركية مختلفة عن تلك السائدة في "إسرائيل"، بحيث تكون أعلى من الإسرائيلية في مجال السلع الاستهلاكية، وأقل من الإسرائيلية في مجال السلع الرأسمالية والمواد الخام والوسيطة، وذلك بغض النظر عن نقطة العبور إلى المناطق الفلسطينية، طالما أن مصدر هذه السلع هو طرف ثالث.

- تحسين القاعدة الضريبية وتحسين سبل الجباية، وإعادة النظر في السياسات الضريبية الموائمة للاقتصاد الفلسطيني.

- الاعتماد على الاستيراد المباشر بوسائل عملية الاستيراد المباشر بوسائل عملية من خلال الدعم، أو سياسة صناعية وتجارية بهدف تقليص الاستيراد غير المباشر، حيث يلجأ عدد من المستوردين الفلسطينيين للاستيراد من خلال مستوردين إسرائيليين مما يحرم الخزينة الفلسطينية من الضرائب والجمارك المستحقة على تلك البضائع.

- مواصلة الجهود الحثيثة للحصول على العضوية الكاملة في منظمة التجارة العالمية، ويأتي التوجه في إطار إعادة هيكلة الاقتصاد الفلسطيني، وتحريره من الاقتصاد الإسرائيلي، والتفاؤل تجاه الفوائد الموعودة والمحتملة من الاندماج في العولمة بواسطة التحرير التجاري العالمي وآلياته المتخصصة، ويعتبر هذا التوجه خيار استراتيجي للانفكاك من التبعية ويحمل العديد من الآثار الايجابية، أهمها، أن حصول دولة فلسطين على صفة العضوية في منظمة التجارة العالمية يساعدها على الاستفادة من المساعدات الفنية التي من شأنها إيجاد نظام تجاري يتماشى مع قواعد المنظمة، ناهيك عن أن العضوية أيضًا تساعد فلسطين على بناء القدرات اللازمة والحصول على المعرفة في

مجال التجارة الدولية، وستجلب المنافسة إلى السوق المحلي من خلال رفع القدرة التنافسية للمنتجات وتحسين جودتها وتخفيض أسعارها، ويؤدي أيضاً إلى تشجيع الاستثمار الأجنبي داخل فلسطين وبالتالي زيادة الإيرادات العامة للسلطة الفلسطينية.

- تطبيق كامل للقانون الفلسطيني الصادر عام 2010 حول حظر بضائع المستوطنات والعقوبات المترتبة على ذلك، ومنع دخول بضائع المستوطنات كلياً من الدخول إلى الأسواق الفلسطينية.

- تعزيز المنتج الوطني وتشجيع صناعات بديلة من خلال سياسة إحلال الواردات، وتوجيه الاستثمار في تلك القطاعات من خلال الحوافز الضريبية.

خاتمة:

كما أشرنا سابقاً، أن هناك عدداً وفيراً من السياسات والتدخلات الممكن تطبيقها فلسطينياً، للإسهام في إيجاد حل جذري لمشكلة إيرادات المقاصّة وتحرير الاقتصاد الفلسطيني من التبعية القسرية مع افتصاد الاحتلال التي كرسها بروتوكول باريس الاقتصادي، وذلك في إطار التوجه نحو الانفكاك الاقتصادي.

إن تطبيق الانفكاك ليس سهلاً نتيجة لطبيعة العلاقات الاقتصادية الشائكة والمتداخلة مع اقتصاد الاحتلال ولكنه ليس مستحيلاً، إذا توفرت الإرادة الحقيقية للتطبيق الفعلي.

فالانفكاك الاقتصادي يجب تطبيقه بشكل متدرج ويتطلب مساهمة جميع أطراف التنمية في فلسطين، القطاع العام والخاص ومؤسسات المجتمع المدني والمواطنين، كما ويتطلب أيضاً وضع برنامج تنموي يتلاءم مع الترتيبات الاقتصادية والتجارية الجديدة وفي إطار الانفكاك الاقتصادي أي بعيداً عن تدخلات الاحتلال وقيود برتوكول باريس الاقتصادي وضمن مسار سياسي وطني يتم تنفيذه تدريجياً.

الهوامش:

1. مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية – الأونكتاد، تقرير التطورات التي شهدها اقتصاد الأرض المحتلة، (جنيف: الأونكتاد، 2016)، ص8.

2. نعمان كنفاني وسلام صلاح، تجميد أموال المقاصة: أزمة متكررة وآثار طويلة الأمد، المراقب الاقتصادي والاجتماعي التقرير السنوي 2014، (رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني – ماس وآخرون، 2015)، ص30.

3. نفس المرجع السابق، ص30.

4. مازن العجلة، القرصنة الإسرائيلية على إيرادات المقاصّة الفلسطينية: السياقات والخيارات والتداعيات، (غزة: المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية، 2019)، ص5.

5. معاذ العامودي، في الاقتصاد السياسي لأزمة المقاصّة الفلسطينية، (منتدى السياسات العربية، 2019)، ص9.

6. موقع عرب 48، الاحتلال يقتطع تعويضات أضرار الحرائق من ميزانية السلطة، نشر بتاريخ 11 يونيو 2018، في: http://bit.ly/2TOHsWB.

7. أحمد ملحم، إسرائيل تقتطع قرابة 13 مليون شيكل من أموال الضرائب لصالح متهمين بالتعامل معها، موقع المونيتور الأمريكي، نشر بتاريخ 3 سبتمبر 2019، في: http://bit.ly/2Uc6cXl.

8. رائد حلس ومحمود عيسى، التحديات الاقتصادية للأمن القومي الفلسطيني، ضمن كتاب الأمن القومي الفلسطيني: مرتكزات وتحديات، (غزة: مركز التخطيط الفلسطيني، 2016)، ص108.

9. سوسن الهدهد، التسرب المالي لدى خزينة السلطة الفلسطينية وعلاقته بالمستوردات غير المباشرة، رسالة ماجستير غير منشورة، (نابلس: جامعة النجاح، 2010)، ص103.

10. حنين حميض، تأثير المقاصة على الإيرادات الضريبية في فلسطين من (1995–2005)، رسالة ماجستير غير منشورة، (نابلس: جامعة النجاح، 2006)، ص80.

11. مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية– الأونكتاد، تقرير بعنوان: تسرب الإيرادات المالية الفلسطينية إلى إسرائيل في ظل بروتوكول باريس الاقتصادي، (نيويورك وجنيف، 2014)، ص39.

12. نفس المرجع السابق، ص41.

13. صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد 2018، الفصل الثالث عشر: الاقتصاد الفلسطيني، (أبو ظبي: 2019)، ص253.

14. وسيم صافي، أزمة إيرادات المقاصّة وأثرها على بنود الموازنة الفلسطينية خلال نصف العام 2019، مجلة المرساة المصرفية، العدد 24، (رام الله: سلطة النقد الفلسطينية، 2019)، ص17.

15. نعمان كنفاني وسلام صلاح، مرجع سبق ذكره، ص31.

16. صندوق النقد الدولي، الضفة الغربية وقطاع غزة: المستجدات الأخيرة في إيرادات التخليص، (واشنطن: أكتوبر 2011)، ص9.

17. معاذ العامودي، مرجع سبق ذكره، ص13.

18. سلطة النقد الفلسطينية، تعليمات سلطة النقد للمصارف الفلسطينية، رام الله، شوهد بتاريخ 16 آذار 2019، في: http://bit.ly/2x0liXc.

19. تم الاستعانة في صياغة السياسات والتدخلات التي تساهم في الانفكاك الاقتصادي بالمراجع التالية:

– مسيف جميل مسيف، كيفية الارتهان الاقتصادي في ظل برتوكول باريس الاقتصادي: الانفكاك الاقتصادي عن "إسرائيل"، مجلة سياسات، العدد 47، (رام الله: معهد السياسات العامة، 2019).

– رائد حلس، سياسات لانفكاك الاقتصاد الفلسطيني من التبعية مع الاحتلال الإسرائيلي، مجلة شؤون فلسطينية، العددان 273 – 274، (رام الله: مركز الأبحاث الفلسطيني، خريف 2018 – شتاء 2019).

ترجمات

الانقسام المستمر
مشاركة الأقلية الفلسطينية في الانتخابات الاسرائيلية

أ.زهير عكاشة

المصدر: معهد الشرق الأوسط

التاريخ: سبتمبر 2019

الكاتب غريس ويرنبول

ملخص

بالرغم من أن الأقلية الفلسطينية في إسرائيل تمثل نحو 20 في المائة من مجمل عدد السكان، فهي لا تشكل قوة سياسية ذات أهمية. لعبت الأحزاب العربية طيلة تاريخ الدولة دور المعارضة الدائمة، وكنظام ديمقراطي برلماني متعدد الأحزاب بنسبة حسم انتخابي متدنية، تسمح إسرائيل بالتمثيل النسبي وإشراك قادة الأقلية. ومع أن المشاركة الفلسطينية الانتخابية المتدنية

والتمثيل البرلماني غير المتكافئ أثرتا على النفوذ السياسي إلا أن هذه العوامل لم تكن سوى جزءاً يسيراً من تركيبة صورة متعددة الوجوه متعددة الأسباب، وبالتالي فإن هذه التقرير يقدم تحليلاً شاملاً للمحركات الداخلية والخارجية التي قلصت المشاركة السياسية الفلسطينية، حيث يسلط هذا العمل الأضواء على العوائق الهيكلية التي فرضها ويحافظ على استدامتها اليمين الإسرائيلي، والذي يسعى جاهداً إلى كبح جماح النفوذ الفلسطيني سواء في صناديق الاقتراع أو في الكنيست. هذا الأسلوب المعيق قانونياً واجتماعياً هو الذي أدى في بعض الأوقات إلى المقاطعة الأيدولوجية الانتخابية لصناديق الاقتراع من قبل أفراد الوسط العربي في إسرائيل، وهذا التراجع الملموس في طبيعة النظام الديمقراطي والذي تجلى في استطلاعات الرأي الأخيرة تزامن مع حالة من الشعور بعدم النفوذ في نظام يتيح الخنق الاجتماعي والاقتصادي وعدم التمكين السياسي بين أوساط الأقلية العربية في إسرائيل.

المقاطعة الانتخابية المدفوعة بعوامل سياسية ناجمة هي أيضاً عن شعور سلبي ناحية الساسة الفلسطينيين والوعي الجماهيري تجاه الانقسامات الحزبية الداخلية، وعدم القدرة على التأثير داخل البرلمان. تشير هذه الورقة إلى أن إعادة هيكلية القائمة المشتركة لا تبشر بالضرورة بتكرار نجاح انتخابات عام 2015. وهكذا فإن التباينات السياسية داخل أوساط القائمة الجديدة ومن ضمنها الخلاف على التعاون مع الحزب الصهيوني أزرق-أبيض تظل تعصف بالتحالف الحزبي المتعدد الأمر الذي يؤدي إلى تقليص ثقة الناخب بها.

الفلسطينيون في إسرائيل أقلية فطرية

تميل التحليلات والأخبار حول النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني إلى التركيز على هؤلاء الفلسطينيين الذين يعيشون خارج حدود العام 1967 في

الضفة الغربية وقطاع غزة وخارج الوطن، وجزء يسير من الاهتمام يولى إلى الأقلية الفلسطينية التي تعيش داخل حدود العام 1948 كمواطنين داخل دولة قومية كما تعرف نفسها ومؤسساتها السياسية بناءً على الطبيعة اليهودية.

العلاقة بين هؤلاء المواطنين الفلسطينيين أحفاد الناس الذين تمكنوا من البقاء في فلسطين إبان حرب عام 1948 وبين الدولة ظلت دائماً مصدراً للتوتر والصراع الذي لم يحل.

يعيش أغلب الفلسطينيين اليوم في إسرائيل داخل مدن وقرى متجانسة (69) في المائة في ثلاث مناطق رئيسة وهي الجليل في الشمال ومنطقة المثلث في الوسط والنقب في الجنوب. إضافة إلى ذلك يعيش نحو 10 في المائة من السكان داخل مدن مختلطة مثل القدس وحيفا واللد وتل أبيب ويافا والرملة وعكا. وكناطقين بالعربية وينتمون إلى الطائفة السنية يشكل المواطنون الفلسطينيون أقلية دينية وثقافية. لا يمثل هؤلاء أقلية اثنية مهاجرة على العكس يعتبر الفلسطينيون هناك أنفسهم أناس أصليون يعيشون تحت حكم الأغلبية التي هي أصلاً غير متجانسة، وبذلك هم يتحدون المطالب اليهودية في الأرض. في الوقت نفسه تنظر الدولة إلى الانتماء المفترض لهؤلاء وتعاطفهم مع الأمة الفلسطينية الكبرى بعين من الريبة وعدم الثقة، ونتيجة لذلك فإن الوضع الاقتصادي والاجتماعي الناجم عن ذلك يمثل مفارقة بالنسبة لهذه الأقلية.

يمثل المواطنون الفلسطينيون في إسرائيل نحو 1.9 مليون نسمة أو 21 في المائة من مجمل عدد السكان اللذين يفترض أن لهم نفس الحقوق ونفس الحماية القانونية ووضع المواطنة الرسمية أسوة بباقي السكان الإسرائيليين، إلا أنهم يعتبرون أقلية مهمشة تعاني من التمييز. وكمواطنين في دولة يهودية لا تعترف بأن هناك تمييزاً سوء بين الدين والدولة أو بين الدولة والقومية يعاني أبناء هذه الأقلية القومية من اللاأهلية القانونية التي تتعلق

بالدرجة الأساس بالهجرة وحقوق الملكية الخاصة، ولقد راكم عدم المساواة في التعليم والرفاه والصحة والخدمات العامة في الأحياء والبلدات الفلسطينية والمدن المختلطة حالة الضيق الاقتصادي والاجتماعي والعجز الثقافي.

نظام ديمقراطي قائم على التعددية الحزبية

لاشك أن الأدبيات المعاصر المتعلقة بالأنظمة الديمقراطية تتحرك بفعل فرضيات أيدلوجية تقول بأن المشاركة السياسية من قبل الأقليات تعزز التمثيل النسبي والشرعية الاجتماعية. إضافة إلى ذلك فإن منح الأقليات الإثنية قدرات تقاسم السلطة كما يقول المنطق يفضي إلى إمكانية إدارة الصراع عبر ترتيبات وإجراءات مؤسساتية ليكون مآل المشاركة السياسية فعال. يقال أن الديمقراطيات المعاصرة هي التي توفر للأفراد القنوات التي تؤهلهم كي يكون "الواحد منهم سيد نفسه" إما عبر التصويت الشخصي أو عبر المشاركة في الحملات الانتخابية.

اسرائيل وبصفتها ديمقراطية برلمانية متعددة الأحزاب بنسبة حسم انتخابي قليلة نسبياً تمثل نظام التمثيل النسبي الذي يتيح أقصى قدر من التأثير وضم قادة الأقليات، ومع ذلك كله فإن الأحزاب الصهيونية تظهر هيمنة واضحة داخل النظام السياسي الإسرائيلي. التهميش السياسي الذي يتعرض له المواطنون الفلسطينيون في إسرائيل يجمع ما بين تعدد الأسباب وتعدد الوجوه، إضافة إلى أنه يتضمن تدابير اجتماعية متنوعة ومختلفة منتشرة في شتى أرجاء البلاد. وعليه فإن نسبة التصويت في المثلث وهو تجمع القرى المحاذية للضفة الغربية ظلت دائماً أعلى من مثيلتها في سائر المناطق الأخرى في البلاد.

عدا عن المعوقات القانونية والممارسات العنصرية التي يتعرض لها الساسة والناخبين الفلسطينيين فإن هذا يتطرق أيضاً لقدرة الممثل الفلسطيني

وإمكانياته داخل أروقة الكنيست. والواقع هو أن نسبة الاقبال على التصويت المتدنية نوعاً ما ناجمة عن أيدلوجية المقاطعة التي تشكك في القدرة والرغبة في تحدي التكتيكات الحكومية التي تضع العراقيل الهيكلية أمام المواطنين الفلسطينيين. تشير استطلاعات الرأي التي أجريت مؤخراً إلى وجود تراجع في الشعور بالطبيعة الديمقراطية تجاه المواطنين الفلسطينيين. في عام 2012 أجاب 44 في المائة من المستطلعين بأن الدولة ديمقراطية في الاتجاه الصحيح، بينما في عام 2018 ادعى 33 في المائة فقط بأن الدولة ديمقراطية تجاه المواطنين الفلسطينيين.

الانخراط السياسي الفلسطيني

استغرق الأمر حتى بداية الثمانينات والتسعينات كي تتمكن الأحزاب السياسية الفلسطينية من تطوير خطوط أيدلوجية ودينية طويلة، عشية ما كان يعرف بفترة الفلسطنة وهذه الفترة التي وصفها رامي زيدان بفترة اليقظة القومية التي تعكس حوادث سياسية واجتماعية هامة داخل المجتمع العربي في إسرائيل، إضافة لتطوير مفهوم الانتماء الذاتي للفلسطينيين في إسرائيل. على الصعيد السياسي تعزز مبدأ مفهومية الاهتمامات والمصالح الفلسطينية ضمن إطار العالم العربي بوجه عام، وأبرز نقطة تحول حدثت في هذه العملية كانت أواخر ثمانينات القرن المنصرم مع اندلاع شرارة الانتفاضة الأولى (1987–1993) حيث وضعت هذه الانتفاضة الشعبية في الضفة الغربية وقطاع غزة الوسط العربي في إسرائيل على مكان يلامس العصب الحساس. جعلت هذه الانتفاضة قادة المجتمع الفلسطيني في إسرائيل ينخرطون أكثر في العلاقات الدولية مع العالم العربي، وعملية السلام الاسرائيلية– الفلسطينية أوائل التسعينات، حيث الأحزاب السياسية الفلسطينية التي تشكلت في العقود السابقة دعماً هاماً لاتفاقيات أوسلو، كجزء من الشراكة التي كانت تعرف آنذاك باسم الكتلة، حيث ساعد حزب حداش الذي تأسس عام 1977،

والحزب الديمقراطي العربي، الذي تأسس عام 1988 في المصادقة على تشكيلة الحكومة عام 1992 بزعامة اسحق رابين زعيم حزب العمل.

وفي العام 1995 صوت أعضاء الكتلة لصالح المصادقة على اتفاقيات أوسلو، الأمر الذي حدا بزعيم المعارضة حينها بنيامين نتنياهو إلى الاحتجاج والقول بأن "هذه الاتفاقيات مررت بأغلبية غير صهيونية تضم خمس ممثلين عن الأحزاب العربية التي تنتمي لمنظمة التحرير" وفي غمرة هذه الغبطة باتفاقيات أوسلو والخطاب السياسي الداخلي الذي تركز جله حول عملية السلام، ارتفعت وتيرة نسبة الاقبال على التصويت ما بين الأعوام 1992–1999 وزاد توجه الناخب الفلسطيني نحو الأحزاب السياسية الفلسطينية وابتعاده عن الأحزاب الاسرائيلية الصهيونية.

هناك نقطة حاسمة أخرى حدثت للنموذج الانتخابي الفلسطيني عام 2000 مع اندلاع شرارة الانتفاضة الثانية. فمع أن هذه الانتفاضة كسابقتها الانتفاضة الأولى حدثت داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة إلا أن المتظاهرين الفلسطينيين داخل إسرائيل خرجوا لتحدي اليد الثقيلة التي استخدمتها إسرائيل كردة فعل على المظاهرات والعنف في الأراضي المحتلة. حيث أدت الصدامات التي وقعت بين المتظاهرين الفلسطينيين في الداخل والشرطة في أكتوبر من العام 2000 إلى مقتل 13 متظاهراً الأمر الذي فاقم من عزلة المواطنين الفلسطينيين داخل مجتمع إسرائيلي تتزايد فيه وتيرة الاستقطاب يوماً بعد يوم. وقد أدت هذه الأحداث إلى نشر تقارير مختلفة، منها تقرير اللجنة التي تشكلت عشية اندلاع هذه الصدامات وعرفت بلجنة "أور" إضافة إلى ما يسمى بوثائق الرؤية العربية للمجتمع الفلسطيني في الداخل. وقد سعت هذه الوثائق إلى توفير توصيات خاصة بإنشاء مجتمع أكثر شمولية للأقلية الفلسطينية من خلال إجراء إصلاحات سياسية شاملة. تقرير لجنة أور الذي نشر في سبتمبر من عام 2003 طالب (ولم ينجح)

بـــإجراء اصـــلاحات داخـــل جهـــاز الشـــرطة الإســـرائيلية ومحاســـبة الضـــباط المتـورطين فـي أعمـال القتـل. فـي الوقـت نفسـه انتقـد التقريـر بقسـوة المجتمـع الإسـرائيلي لإجحافـه وإهمالـه المنظمـين بحـق المـواطنين الفلسـطينيين فـي الـبلاد. حتـى قبـل نشـر تقريـر لجنـة أور كـان للتحقيـق أثـراً كبيـراً فـي الوسـط الفلسـطيني فـي إسـرائيل، وقـد أكـدت الشـهادات التـي أدلـى بهـا شـهود العيـان فـي نـوفمبر مـن العـام 2000 وجـود اسـتخدام عنصـري للعنـف ضـد الفلسـطينيين مـن قبـل أفـراد، الأمـن الـذين فشـلوا فـي تـوفير الحمايـة الكافيـة مـن الحشـود الغاضـبة. وقـد اتهمـت الأقليـة الفلسـطينية الدولـة وعلـى رأسـها رئـيس الـوزراء إيهـود بـاراك زعـيم حـزب العمـل بتتفيـه محنـتهم وأبـدت امتعاضـها الشـديد حيـال المؤسسـة السياسـية القائمـة، وهـذا أدى إلـى شـعور كثيـر مـن قـادة الوسـط الفلسـطيني بـأن لـيس هنـاك اختلافـاً واضـحاً بـين اليمـين واليسـار الإسـرائيليين. ولأول مـرة يـتم هنـاك توافـق واجمـاع بـين أوسـاط الفلسـطينيين فـي إسـرائيل علـى ضـرورة مقاطعـة الانتخابـات العامـة. وفـي الانتخابـات الخاصـة بانتخـاب رئـيس الـوزراء التـي جـرت فـي فبرايـر شـباط عـام 2001 هبطـت نسـبة التصـويت فـي الوسـط الفلسـطيني إلـى معـدل لـم يسـبق لـه مثيـل وهـو 18 فـي المائـة وهـذا يشـكل حكمـاً واضـحاً علـى ولايـة بـراك. عـدم تقـديم الضـباط للمحاكمـة والتجاهـل العـام لتوصـيات لجنـة أور ظلـت بمثابـة جـرح ينـزف فـي الوسـط العربـي كمـا تجلـى مـن خـلال الاعتـذار المتـأخر الـذي قدمـه بـراك فـي يوليـو تمـوز 2019. ورداً علـى مقـال نشـره فـريج العيسـاوي عضـو الكنيسـت عـن حـزب ميـرتس بعنـوان "أشـياء يجـب علـى بـاراك أن يقولهـا "اعتـذر زعـيم حـزب العمـل السـابق عـن دوره فـي القمـع الشـديد للاحتجاجـات، أمـلاً فـي تسـوية الطريـق أمـام الانـدماج بـين حزبـه الجديـد الحـزب الـديمقراطي الاسرائيلي وميرتس وهو حزب يساري يدعم المساواة تجاه الأقليات في الدولة.

مـع بدايـة القـرن الحـادي والعشـرين أخـذت نسـبة الاقبـال علـى التصـويت لـدى الناخـب الفلسـطيني فـي التراجـع، حيـث هبطـت هـذه النسـبة كمـا هـو موضـح

في الشكل 1 من 77 في المائة عام 1996 إلى 62 في المائة عام 2003 و53.4 في المائة عام 2009 و56.5 في المائة عام 2013. ورغم الارتفاع البسيط في نسبة التصويت التي وصلت عام 2015 إلى 63.7 في المائة مع حل القائمة المشتركة فقد شهدت انتخابات أبريل عام 2019 عودة إلى ما قبل وتيرة عام 2015. حيث لم يدل إلا 49 في المائة ممن يحق لهم التصويت بأصواتهم في انتخابات أبريل 2019. ومع أن تراجع مستوى مشاركة الفلسطينيين في انتخابات الكنيست تزامن مع تراجع عام في هذه النسبة لدى الناخبين الاسرائيليين بشكل عام، إلا أن حدة ذلك كانت أشد، لأن هناك دوافع اجتماعية واقتصادية تخص الناخب الفلسطيني خصوصاً. والواقع هو أن المستويات العالية الثابتة من مشاركة الفلسطينيين في الانتخابات البلدية التي وقفت عند الـ 90 في المائة طيلة العقود الثلاثة المنصرمة، تظهر أن هناك التزاماً مستمراً بالمشاركة في السياسات المحلية. وقد وصلت نسبة التصويت في الانتخابات المحلية الأخيرة التي جرت 5 أكتوبر 2018 في الوسط الفلسطيني إلى 84.4 في المائة مقارنة بـ 54.8 في المائة في الوسط اليهودي.

فصل الانتخابات المحلية عن الانتخابات العامة كما أشار كثير من الباحثين ساعد الانتماءات العشائرية والعائلية والإيمان بفاعلية الساسة المحليين وقدرتهم على تحقيق المصالح اليومية. كما نوهنا سابقاً فإن الأسباب الكامنة وراء هذه النماذج المميزة للمشاركة السياسية بين أوساط الأقلية الفلسطينية في الانتخابات العامة محكومة بفعل اجراءات إسرائيلية واسعة النطاق شديدة الصرامة الهدف منها تقليص حجم هذه المشاركة.

شكل رقم 1 يبين نسبة مشاركة الفلسطينيين في الانتخابات طيلة السنين

السنة	الكنيست	نسبة الاقبال على التصويت	نسبة الاقبال على التصويت	التباين في النسب	نسبة من يحق لهم التصويت	نسبة عدد السكان الفلسطينيين من العدد الكلي	نسبة انتخاب الفلسطينيين للأحزاب الفلسطينية	نسبة انتخاب الفلسطينيين للأحزاب الصهيونية
1949	الأولى	69.30	86.90	17.60-	9.50	13.60	22.20	77.80
1951	الثانية	85.50	75.10	10.40	11.60	11.40	16.30	83.70
1955	الثالثة	92.10		9.30	9.00	11.20	15.60	84.40
1959	الرابعة	88.90	82.80	7.30	8.20	10.90	11.20	88.80
1961	الخامسة	89.30	81.60	7.70	7.70	11.30	2.50	97.50
1965	السادسة	85.80	83.00	2.80	8.30	11.40	23.70	76.30
1969	السابعة	88.20	81.70	6.50	8.40	14.40	30.30	69.70
1973	الثامنة	80	78.60	1.40	8.40	14.70	37.40	62.60
1977	التاسعة	76.30	79.20	2.9-	9.20	15.70	51.60	48.40
1981	العاشرة	69.70	78.50	8.80-	9.80	16.40	39	61
1984	الحادية عشر	73.60	78.60	5.30.	13	17.20	49.60	50.40
1988	الثانية عشر	73.90	79.70	5.80-	14.30	18.10	58.40	41.60
1992	الثالثة عشر	69.70	78.20	8.50-	13.30	18.20	47.70	52.30
	الرابعة عشر	77.30	79.30	2-	10.30	18	62.40	37.60
1999	الخامسة عشر	75.20	78.70	3.50-	11	18.40	68.60	31.40
2003	السادسة عشر	62	67.80	5.80-	13	19.10	69.20	30.80
2006	السابعة عشر	56.3	63.50	7.20-	13	19.80	71.90	28.10
2009	الثامنة عشر	53.40	64.80	11.40-	14	20.50	81.90	18.10
2013	التاسعة عشر	56.50	67.80	11.30-	14	20.60	77.20	22.80
2015	العشرون	63.70	72.30	8.60-	15	20.70	77.20	22.80
أبريل2019	الحادية والعشرون	49	68.46	19.46-	17	21.50	أرقام غير متوفرة	أرقام غير متوفرة

وذلك بتسخير نظام قانوني وإجراءات سياسية إقصائية وكبح جماح الناخبين، سعياً للحفاظ على الوضع الراهن.

إن مساعي الحزب الحاكم في انتخابات أبريل عام 2019 لتجهيز موظفين عند صناديق الاقتراع في التجمعات السكنية الفلسطينية بكاميرات تصوير على سبيل المثال، كان بدافع الرغبة في كبح جماح إقبال السكان

الفلسطينيين على التصويت في هذه التجمعات حسب ما أورده المركز الإسرائيلي للديمقراطية. تؤكد كيزلر غبار وهي شركة علاقات عامة تفتخر بإنجازاتها التي حققتها عشية الانتخابات، أنه وعبر التعاون العميق والوثيق مع نخبة من الأشخاص داخل الليكود تم إطلاق عملية ساهمت بشكل حاسم في واحد من أهم الانتخابات التي حققها المعسكر اليميني القومي من خلال وضع مراقبينا عند كل صندوق اقتراع ليتبين أن نسبة المشاركة في الانتخابات في الوسط العربي أقل من 50 في المائة وهي الأدنى خلال السنوات الأخيرة.

بعد قرار لجنة الانتخابات المركزية في أغسطس 2019 بمنع الأحزاب من نصب كاميرات، قال الليكود أنه سيبحث عن مشروع قرار يسمح للممثلين عند صناديق الاقتراع بحمل كاميرات يوم 17 سبتمبر القادم.

التهميش السياسي للفلسطينيين في إسرائيل

ينوه الباحث الاسرائيلي ايلان بابي، إلى أن سياسة التمييز والإقصاء الدائمة ضد الفلسطينيين في إسرائيل طمست حقوقهم الأساسية الإنسانية والمدنية. وهذه الإجراءات الاقصائية امتدت إلى الفضاء السياسي، حيث أجبر المواطنين الفلسطينيين في أغلب الأحيان على أن يعودوا ليكونوا زبوناً لمؤسسات إسرائيلية تركز على تعزيز هيمنة الديمقراطية الاثنية القائمة. وحسب ما ورد في تقرير صادر عن منظمة عدالة لحقوق الإنسان وهي أيضاً مركز قانوني فقد سنت الحكومة أكثر من 65 قانوناً يميز ضد الفلسطينيين في كثير من القطاعات من التعليم إلى الملكية إلى المشاركة السياسية. ومن بين القوانين التي سلطت عليها عدالة الأضواء، قانون القومية الذي شرع كقانون أساسي في يوليو تموز 2019 بعد موافقة الكنيست عليه بأغلبية 55-62 صوتاً. دستورياً ينص هذا القانون على تجسيد هوية الدولة كدولة قومية للشعب اليهودي من خلال ضمان الطابع الإثني- الديني لإسرائيل

كدولة يهودية شمولية والإعلان بأن للشعب اليهودي حق شامل في تقرير المصير القومي للدولة. عدم تطرق القانون سواء للمساواة أو لحقوق الأقلية إضافة لتنزيل مرتبة اللغة العربية من لغة رسمية إلى لغة ذات وضع خاص، أدى إلى اندلاع موجة من الانتقادات من قبل اليسار الإسرائيلي ومن الأحزاب الفلسطينية. وفي بيان مشترك شجب فيه عضو الكنيست أحمد الطيبي ويوسف جبارين تمرير مشروع القرار، ووصفاه بالمسمار الأخير في نفس ما يسمى بالديمقراطية الإسرائيلية. توصيف المواطنين الفلسطينيين كمواطنين درجة ثانية أدى إلى إطلاق دعوات لمقاطعة الانتخابات بداية هذا العام استناداً على ما سماه أسعد غانم ومحمد مصطفى، بشعور عدم التأثير بسبب العراقيل الهيكلية التي يضعها النظام الاثني في إسرائيل. سعى كثير من النشطاء المؤيدين للفلسطينيين إلى اقناع الأقلية الفلسطينية بعدم الأداء بأصواتهم في محاولة لمقاطعة الجهة التي تحاول جاهدة طمس الهوية الفلسطينية. هذا القانون يتجه أحياناً نحو تفعيل نظام إقصائي للقيادة الفلسطينية السياسية. وكما تقول شوريده مولافي "لقد دأبت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على استخدام أنواع من الأدوات القانونية تشمل التحقيقات الجنائية كأسلوب للقمع السياسي". أصبح تعديل القانون الأساسي عام 2002 إجراء هام بالدرجة الأساس لكبح جماح التمثيل الفلسطيني. في مايو أيار من العام 2000 تم إقرار التعديل 35 الذي يمنع أي شخص من الترشح للكنيست إذا كان هدفه أو أفعاله سواء كان ضمنية أو جهرية تنكر أو تتحدى الطبيعة اليهودية والديمقراطية لدولة إسرائيل. يشير التعديل أيضاً إلى أن تأييد الكفاح المسلح لدولة عدو أو منظمة إرهابية تعمل ضد دولة إسرائيل يشكل أساساً لنزع أهليته لانتخابات الكنيست. ورغم الطبيعة الغامضة لمفهوم الكفاح المسلح أو المنظمة الإرهابية كما تقول مولافي، فالحقيقة هو أن هذا التشريع ينطبق على أعضاء الكنيست العرب. استخدم التعديل 35 في كثير

من الأحيان منذ إقراره. ففي عام 2007 على سبيل المثال اتهمت إسرائيل رئيس حزب بلد آنذاك عزمي بشارة بدعم حزب الله خلال حرب لبنان الثانية من خلال تزويد الحزب بمعلومات عن مواقع الأهداف الاستراتيجية خلال الحرب التي دامت 34 يوماً. حينها اضطر بشارة إلى مغادرة البلاد خوفاً من احتمال السجن لمدة طويلة. ورغم نشر تسجيلات صوتية بحثت تورطه المزعوم، ظل بشارة يؤكد على براءته قائلاً بأن السبب الحقيقي وراء اتهامه هو إيمانه الراسخ بأن إسرائيل لن تكون دولة يهودية وأن عليها حماية حقوق العرب وأن تكون دولة لجميع المواطنين. بعدها بثلاث سنوات وبالتحديد عام 2010 أدين عضو كنيست آخر من نفس الحزب وهو حنين الزعبي على خلفية مشاركتها في اسطول الحرية المتجه إلى غزة. وفي محاولة لكبح جماح مشاركتها السياسية في الكنيست منع الزعبي في ديسمبر من العام 2012 من الترشخ لانتخابات الكنيست التاسعة عشرة بسبب قرارها المشاركة في أسطول الحرية عام 2010.

لاشك أن تطبيق إجراءات 2001 التشريعية سارت بشكل متوازي مع التعديل الذي أقر عام 1985 الذي يهدف إلى ضمان الولاء للدولة. جاء في الفقرة السابعة من تعديل القانون الأساس ما يلي: "يمنع أي عضو كنيست أو حزب سياسي من الترشح للانتخابات إذا أبدى سواء بالأهداف أو الأفعال أو بالتعبير أو الإيماء أو إنكار وجوه دولة إسرائيل كدولة للشعب اليهودي أو إنكار الطبيعة الديمقراطية للدولة أو التحريض على العنصرية. وعليه فقد صوت أعضاء لجنة الانتخابات المركزية في مارس آذار من عام 2019 على منع الحزب الفلسطيني رعام- بلد من خوض الانتخابات بعيد مشروع اقتراح قانون تقدم به حزب الليكود بزعامة نتنياهو الذي ادعى أن كتلة بلد- رعام تؤيد إبادة إسرائيل كدولة يهودية وتدعم الجماعات المسلحة اللبنانية والفلسطينية، بيد أن هذا القرار رد لاحقاً من قبل المحكمة العليا في إسرائيل.

في انتخابات سبتمبر 2019 تعاون الليكود مع حزب عتصماه يهوديت اليميني المتطرف من أجل منع القائمة المشتركة من خوض الانتخابات القادمة، حيث تقدما بالتماس إلى المحكمة العليا لتنفيذ ذلك. وحسب ما ورد في الالتماس فإن الأحزاب الأربعة التي تتألف منها القائمة المشتركة (تؤيد إيران والمخربين في السجون) وتنكر حق إسرائيل في الوجود كدولة يهودية. أما بالنسبة للتساؤل حول ولاء الفلسطينيين والحل القومي لهذه القضية فهذه أمور ظلت تطرح منذ قيام الدولة.

لقد تولى أعضاء الكنيست من الأحزاب اليمينية دوراً بارزاً في خطاب المؤسسة السياسية الإسرائيلية وظلوا يحرضون ضد نظراءهم من أعضاء الكنيست الفلسطينيين الذين ينتقدون الدولة ومطالبتهم بتقديم دليل على ولاءهم. أواخر السنوات التي امتدت من عام 2000 إلى عام 2010 ظل حزب يسرائيل بيتنا بزعامة أفيغدور ليبرمان يخوض الحملة الانتخابية تحت شعار (لا مواطنة دون ولاء) في إشارة مباشرة للاتهامات المستمرة لأعضاء الكنيست الفلسطينيين بالخيانة بناء على مواقف يعتقد أنها انتقادية للدولة والاتهام بالتعاون مع العدو. أيضاً حصل البرنامج الانتخابي لليبرمان على مزيد من الاهتمام بعد مطالبته كل من يريد الحفاظ على المواطنة الإسرائيلية بإعلان ولاءه لإسرائيل كدولة للشعب اليهودي. في بداية العام 2019 طور نتنياهو جنباً إلى جنب مع وزراء اليمين خطابهم السياسي بالتحريض ضد ممثلي الأحزاب الفلسطينية، مدعين أن الأحزاب العربية تبيت النية لتدمير دولة إسرائيل. استهداف الممثلين الفلسطينيين من قبل مسؤول الحكومة وأعضاء الكنيست حسب ما ورد في تقرير منظمة أمنستي لحقوق الإنسان حول معاملة أعضاء الكنيست العرب يهدف إلى نزع الشرعية عنهم ونعت عملهم عبر سيل الاتهامات بالخيانة ونعتهم بالطابور الخامس والخونة.

مناقشة قضية الولاء لم تكن الأداة الوحيدة فقط المستخدمة لكبح جماح المشاركة السياسية للفلسطينيين، بل استخدمت بنفس القدر مع أدوات أخرى لتشجيع الناخب اليهودي على الإدلاء بصوته. لاشك أنه محاولة الرمق الأخير من قبل نتنياهو لحشد التأييد في انتخابات العام 2015 وذلك باستخدام عبارات ملهبة كالتي قال فيها أن منظمات المجتمع المدني اليسارية تشحن الفلسطينيين في حافلات، هذه الحملة كانت تهدف بالدرجة الأساس إلى منع (الأحزاب العربية كما يقول من تدمير دولة إسرائيل) وهو نفس التكتيك (إما هم وإما نحن) الذي خرج أوائل العام 2019 عندما سعى رئيس الوزراء إلى تعرية بيني غانتس ويائير لابيد ووصفهما بجنرالات الجناح اليساري يعتمدان على الأحزاب العربية التي لا تعترف بدولة إسرائيل فحسب بل أيضاً تريد تدميرها، وهذا أمر أنكراه بشدة زعيمي حزب كحول- لفان ونفيا أن يكونا قد وقعا على أي اتفاق مع الأحزاب العربية ملمحاً إلى أن مثل هذا الاتفاق يشكل أرضية مواتية لمقاطعة الانتخابات. بيد أن غانتس أوضح في مارس أنه قد يعمل مع أي إنسان سواء كان يهودياً أو صهيونياً وبذلك يكون قد استبعد بشكل كامل الاسرائيليين- الفلسطينيين من أي حسابات سياسية ممارسات التخويف الانتخابي المستمرة الهادفة إلى قصقصة جناح المشاركة السياسية للفلسطينيين لم تتركز جلها على التأثير على إقبال الناخبين العرب على الانتخابات. فعلى سبيل المثال ورغم الزيادة التدريجية في عدد الممثلين الفلسطينيين، فقد ظل تأثيرهم محدوداً حيث يستبعد هؤلاء بشكل ممنهج من الانضمام إلى اللجان البرلمانية المؤثرة مثل لجنة المالية ولجنة الشؤون الخارجية. وبالضبط مثلما هو حاصل في مجالات أخرى من مجالات الحياة العامة والمدنية. فقد عكست محكمة العدل العليا وهي أعلى جهة قضائية في البلاد ويفتخر بأنها قوة الديمقراطية الليبرالية صورة التمثيل الدوني الاجتماعي. فإلى غاية الآن لم يعمل في هذه المحكمة المؤلفة من 15 قاضياً سوى

قاضين اثنين وهما عبد الرحمن الزعبي عام 1999 وسليم جبارين الذي عمل من عام 2003 حتى عام 2017. بعد انتخابات عام 1977 التي تميزت بانتقال السلطة من العمل إلى الليكود، لم يشارك أي فلسطيني في السلطة التنفيذية حتى عام 1992. ونتيجة لذلك لم يشهد نصف تاريخ دولة إسرائيل نوع من التمثيل الفلسطيني في الهيئة التنفيذية، سوى ثلاثة أعضاء في الأحزاب الصهيونية عينوا كوزراء، وسبعة أعضاء كنيست كنواب وزراء. وعلى هذا الأساس فإن نسبة التمثيل لدى هؤلاء في الهيئة التنفيذية لم تتعد الـ 5 في المائة وهي أقل بقليل من نسبة الناخبين وعدد السكان الفلسطينيين في المجتمع الإسرائيلي. نسبة التمثيل الأعلى في الهيئة التنفيذية حدثت خلال الشراكة بين حكومة رابين والكتلة عندما احتل الفلسطينيون 10 في المائة من مجموع مناصب الوزراء ونواب الوزراء وأغلب الفلسطينيين الذين كان لهم دوراً في الهيئة التنفيذية هم دروز وهؤلاء أقلية فلسطينية ذات وضع فريد من نوعه بمعنى أقلية داخل أقلية. أيوب قرة من حزب الليكود هو الوحيد الذي عمل وزيراً للمواصلات من العام 2017 حتى العام 2019 ليستقيل بعدها متهماً حزب الليكود بتجاهله بسبب "الاجحاف الممارس ضد الطائفة الدرزية".

بعد حل قوائم (المدار العربي) في السبعينات بقيت الأحزاب الفلسطينية دائماً جزء من أقلية ضد الصهيونية مثل بلد أو لا صهيونية. وبذا ظلت تلعب دور "المعارضة الدائمة" كونها لم تدع على الإطلاق لتكون جزءاً من الأغلبية البرلمانية أو المشاركة في الحكومة. جزء من ذلك الموقف يعود إلى رغبة الأحزاب الفلسطينية المعلنة ذاتياً بالبقاء في المعارضة ريثما يتم التوقيع على اتفاق سلام إسرائيلي– فلسطيني وتحقيق المساواة بالنسبة للفلسطينيين في البلاد. مهما يكن من أمر تبقى هذه القضية خاضعة للتغيير إذ كشف استطلاع للآراء أجري عام 2016 أن أغلبية الناخبين الفلسطينيين مع ضم الأحزاب الفلسطينية إلى الائتلاف وإلى الهيئة التنفيذية، وهو اتجاه ظل قائماً

إلى غاية اليوم. علاوة على ذلك أعلن بعض أعضاء القائمة المشتركة عام 2015 أنهم يؤيدون تشكيل حكومة يسارية عن طريق منح التصويت الخارجي للائتلاف وليس الإطاحة به. رغم أنه كان بالإمكان تشكيل حكومة جديدة بالشراكة بين الأحزاب اليسارية ويسار الوسط وأحزاب الوسط بأغلبية 63 عضواً في الكنيست لم يكن هناك اعتبار للقائمة المشتركة

الرؤية الفلسطينية- الاهتمامات فوق عدم التأثير

يقول غنام ومصطفى أن الرغبة لدى الفرد في التوجه إلى الانتخابات تزيد عندما يكون هناك شعوراً بالقدرة على التأثير. وبغض النظر فإن الإجراءات الإقصائية التي تطرقنا إليها آنفاً خاصة في المجال القانوني والاجتماعي أججت الشعور بالاستغراب تجاه الدولة ومؤسساتها ورموزها. وبالنسبة للعوائق الهيكلية فهي أيضاً اصبحت الشعور بعدم التأثير السياسي. والواقع هو أن استطلاعات الرأي تشير إلى مستويات عدم الثقة في نفوس الفلسطينيين تجاه الكنيست ظلت عالية وحسب استطلاع أجري عام 2018 من قبل معهد الديمقراطية الإسرائيلي، فإن 81 في المائة من المواطنين الفلسطينيين الإسرائيليين لا يثقون بالكنيست. عدم القدرة على التأثير السياسي من خلال المشاركة الانتخابية والعمل البرلماني قلصت من الدافعية والرغبة في التصويت وأحياناً الدعوة إلى مقاطعة الانتخابات. فعلى سبيل المثال اعتبرت مقاطعة انتخابات العام 2006 عقب نشر نتائج لجنة أور احتجاجاً ضد النظام السياسي الإسرائيلي، وخلال الحملة الانتخابية لانتخابات العام 2006 ناقشت اللجنة الشعبية لمقاطعة الانتخابات وهي هيئة دفاع سياسية "فشل تجربة التأثير في تحقيق الحقوق السياسية والوطنية في أروقة الكنيست ودور هذه المؤسسة البرلمانية كمصدر من مصادر التشريع ضد المواطنين الفلسطينيين ودعت في المقابل إلى برلمان فلسطيني منفصل في إسرائيل لتمثيل مواطنينا".

ورغم محاولات القادة السياسين في الوسط العربي إقناع الجمهور بالمشاركة في الانتخابات فقد زاد فشل الهيئة المذكورة في تطبيق التوصيات من وتيرة المقاطعة، حيث صوت 56.3 في المائة فقط في انتخابات الكنيست السابعة عشر عام 2006. بعد عقود من المحاولات المستمرة من قبل الكنيست لنزع أهلية القوائم الفلسطينية، زادت نسبة المقاطعة لدى الفلسطينيين زيادة كبيرة لتحاول لجنة الانتخابات المركزية في مارس 2019 من جديد نزع أهلية المرشحين الفلسطينيين والأحزاب المشاركة في القائمة المشتركة السابقة.

قرار لجنة الانتخابات المركزية الذي ردته محكمة العدل العليا فاقم من الدعوات القائمة لمقاطعة الانتخابات، والواقع أن إعلان حالة الطوارئ من قبل قادة الوسط العربي في أبريل نيسان 2019 جاء بعيد توقعات كثيرة بعدم تصويت نصف الناخبين الفلسطينيين في الانتخابات. خلاصة الأمر ثبتت نسبة الاقبال على التصويت لدى الفلسطينيين في إسرائيل عند الخمسين في المائة أي بانخفاض بنسبة 13 في المائة عن نسبة المشاركة في انتخابات العام 2015، مما أدى إلى خسارة ثلاثة مقاعد في الكنيست. وبينما أثر حل القائمة المشتركة سلباً على الناخب الفلسطيني لعب الشعور بالتهميش دوراً بارزاً. وكما أشارت زهوة حسن اعتقد الكثير من المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل أن التصويت يضفي شرعية على حكومة أخبرتهم أنهم ليسوا جزءاً من المجتمع الإسرائيلي من خلال قانون القومية. لذلك سعى مؤيدو المقاطعة إلى الانسياب في تيار المحتجين على قانون عام 2018، وكما قال أحد المحتجين "قاطعوا المؤسسة التي تسعى جاهدة إلى طمس الهوية الفلسطينية".

تتبع المقاطعة الانتخابية، كما ورد في العبارة السابقة من الاحتجاج الأيدلوجي القائل بأن المشاركة في الانتخابات تشكل شرعية للدولة. وهذا الأسلوب من التغيب السياسي يعبر عن شيئين وهما الاحتجاج السياسي ضد وضع الفلسطينيين في إسرائيل وعدم القدرة وعدم الرغبة من قبل الحكومة في

تغيير هذا الوضع. تجلت هذه الازدواجية من الإدراك من خلال مبادئ أقرتها لجنة المقاطعة الانتخابية التي خرجت إلى الوجود في انتخابات رئاسة الوزراء عام 2001.

وفي بيان أصدرته هذه اللجنة عام 2006 التي ضمت في عضويتها حركات مثل أبناء البلد والتي سعت قدماً إلى الدفع باتجاه مقاطعة الانتخابات منذ التسعينات، أعلنت فيه أنها تدافع عن مبدأ مقاطعة انتخابات الكنيست القادمة على أسس سياسية. نوهت اللجنة إلى أن المبدأ المركزي الوطني القائم على أساس استبعاد دعم أعلى مؤسسة في الدولة وهي الكنيست من خلال التصويت إليها ودعم شرعيتها ينبع من تمثيل هذه المؤسسة "لدولة قامت على أنقاض شعبنا ولازالت تمارس القمع اليومي واضطهاد أبنائنا". واضح أن نسبة المقاطعين الأيدلوجيين حسب ما يقول غانم ومصطفى تمثل 10 في المائة من الناخبين الفلسطينيين الذين يحق لهم التصويت في انتخابات العام 2000–2010 وهذه النسبة تتشابك جداً مع الاحساس نحو الدولة. يظهر مقياس العلاقات اليهودية –العربية للعام 2017 تراجع في شرعية اليهود والدولة لدى العرب من خلال زيادة عدد الفلسطينيين المقاطعين للانتخابات وهذا أمر لا يمكن استبعاده.

قيادة متعبة

لاشك أن مستوى التمثيل البرلماني لا يعتبر مؤشراً على النجاح أو الفشل. فشعور الجمهور الفلسطيني نحو زعامته يوفر وسائل أخرى لتحليل نسبة الإقبال على التصويت في أوساط هذه الأقلية الأصلية. ومدى ثقة الفلسطينيين بزعامتهم تتداخل تداخلاً وثيقاً بالامتناع أو مقاطعة الانتخابات، الواقع هو أن أنصار المقاطعة يتضمنون أناساً يشككون في القدرة الحقيقية للساسة الفلسطينيين على خدمة مصالح الشعب أو أنهم غير راضين عن

هـؤلاء الساسـة. وحسـب مـا يقـول خضـر سـواعد فـإن الاهتمـام بالزعامـات السياسـية الـذي يتركـز علـى المصـالح الشخصـية أو الحزبيـة ولـيس علـى الوسـط بشـكل عـام يتنـامى علـى مـدار العـامين الماضـيين علـى ضـوء التنـاحرات الحزبيـة ولـوائح الاتهـام فـي المحـاكم ضـد الزعامـات السياسـية الفلسـطينية. آخـر الفضـائح القانونيـة تمثلـت فـي الحكـم علـى باسـل غطـاس عـام 2017 بالسـجن علـى خلفيـة تهريـب الهواتـف الخلويـة لسـجناء فلسـطينيين وقـد عـزل مـن منصـبه علـى خلفيـة ذلـك. وفـي عـام 2019 أعلـن عضـو آخـر مـن قائمـة بلـد وهـو حنـين الزعبـي عـن اسـتقالتها بعـد ادعـاءات بالفسـاد فـي الحملـة الانتخابيـة عـام 2013. وفـي أغسـطس 2019 أعلـن المـدعي العـام الاسـرائيلي أفخـاي منـدبليت أنـه بصـدد توجيـه لائحـة اتهـام ضـد رجـل قـانون فلسـطيني بـارز وهنـاك أيضـاً احتمـال ادانـة 35 عضـو مـن قائمـة بلـد علـى خلفيـة عـدم الإعـلان عـن أمـوال تلقوهـا فـي الحملـة الانتخابيـة عـام 2013. صـحيفة هـآرتس نشـرت مـؤخراً تقريـراً استقصـائياً ذكـرت فيـه أن قائمـة بلـد التـي خاضـت الانتخابـات بالشـراكة مـع القائمـة العربيـة الموحـدة فـي انتخابـات مـارس آذار الماضـي، تورطـت فـي صـفقات غيـر قانونيـة مـع حـزب يهـودوت هتـوراه الـديني المتطـرف للحصـول علـى مزيـد مـن القـوة فـي صـناديق الاقتـراع الحاسـمة. عـدم الرضـا عـن الزعامـات الفلسـطينية فـي الوسـط العربـي تجلـى مـن خـلال اسـتطلاعات الـرأي العامـة التـي أجريـت فـي أوسـاط الجمهـور الفلسـطيني. وفـي دراسـة أعـدتها جامعـة تـل أبيـب فـي مـارس آذار 2019 وجـدت أن 42 فـي المائـة مـن الفلسـطينيين الاسـرائيليين الـذين اسـتطلعت آرائهـم يعتقـدون أن أداء أعضـاء الكنيسـت الفلسـطينيين سـيء، بينمـا قـال 24 فـي المائـة أن هـذا الأداء سـيء للغايـة. لاشـك أن انعـدام الثقـة رغـم إعـادة تشـكيل القائمـة المشـتركة ربمـا يسـتمر ليعصـف بالزعامـة والإقبـال علـى التصـويت لـدى الناخـب الفلسـطيني. فـي المقـابلات التـي أجريـت مـع مـواطنين فـي مـا يسـمى بالمـدن والبلـدات العربيـة والتـي أجرتهـا صـحيفة هـآرتس فـي أغسـطس آب

2019 وجد أن الناخبين العرب يمتعضون من عدم تركيز أعضاء القائمة المشتركة على أمور الحياة اليومية للفلسطينيين في إسرائيل. التناحر السياسي والخلافات في التوجهات السياسية أخلت بثقة الناخب، كما أن حل القائمة المشتركة في فبراير شباط بعد انسحاب عضو الكنيست أحمد الطيبي منها بناء على حسابات سياسية أدى إلى أزمة سببت في تدني نسبة الإقبال على التصويت لم يسبق لها مثيل منذ عام 2001. الاختلافات السياسية بين أعضاء القائمة المشتركة الجديدة المنقسمة أيدولوجياً بين إسلاميين وقوميين وشوعيين ظلت تقلق هذا الائتلاف وقد تجسد ذلك بطول عملية التوحيد عام 2019. إعلان رئيس القائمة المشتركة أيمن عودة عن رغبته في تشكيل حكومة مع كحول- لفان ساهم أيضاً في كشف الاختلافات السياسية رغم التأييد القائم لدى الجمهور الفلسطيني لمثل هذا التحالف. وعليه فقد رفض أعضاء من حزب حداش الجديد لأيمن عودة وكذلك القائمة المشتركة مثل هذا الترتيب، تاركي الأمر للناخب كي يتأكد أن الخلافات الحزبية الداخلية لازالت تطغى على المصالح القومية. نتيجة لانتخابات أبريل 2019 المخيبة للآمال التي جعلت الأعضاء السابقين في القائمة المشتركة يدرسون من جديد فكرة خوض انتخابات سبتمبر 2019 بالشراكة مع كتل أخرى، وفي يوليو تموز توصلت كل من حداش ورعام ونعال وبلد إلى اتفاق على إعادة إحياء القائمة المشتركة أملاً في الاطاحة بحكومة نتنياهو وتكرار نجاح القائمة في انتخابات عام 2015. تحت شعار (رغبة الأمة) أصبحت الأحزاب الفلسطينية الأربعة التي شكلت القائمة المشتركة في عام 2015 أضخم ثالث كتلة برلمانية بعد أن حصلت على 13 مقعداً في الكنيست بعد الليكود الذي حصل على 30 مقعداً والمعسكر الصهيوني الذي حصل على 24 مقعداً وبهذا تكون أيضاً قد ضمت أضخم عدد من المقاعد للأحزاب الرئيسية التي تمثل الفلسطينيين في إسرائيل.

حصلت الأحزاب الفلسطينية مجتمعة على 444 ألف صوت أي بزيادة قدرها 27.3 مقارنة بانتخابات عام 2013. كما حصلت على نصيب أكبر من الأصوات الفلسطينية التي حصلت عليها في الانتخابات السابقة 83.2 في المائة. في الوقت نفسه وخلال العملية التي بدأت أواسط التسعينات أظهر الناخبون الفلسطينيون تأييداً قليلاً 16.8 في المائة للأحزاب الصهيونية حيث تراجع هذا التأييد بنحو 40 نقطة منذ عام 1992 (52.3 في المائة). تشكيل قائمة فلسطينية مشتركة في انتخابات العام 2015 سبقه نقاشات وجهود بغية التوصل إلى اتفاق وحدة. كشفت استطلاعات الرأي التي كانت تجري أواسط العقد 2000–2010 عن وجود قدر من التأييد للوحدة. في العام 2012 أعد معهد الأبحاث الفلسطيني مدى الكرمل بحثاً وجد فيه أن 76 في المائة من المستطلعين يؤيدون التوحيد وقد تصاعدت النسبة إلى 88 في المائة عام 2014. قبل سنتين من انتخابات الكنيست التاسعة عشر جرت مفاوضات تمهيدية بين قادة أحزاب حداش وبلد ونعال ورغم كل ذلك لم تستطع الزعامات الحزبية التوصل إلى اتفاق وحدة. هناك قانون جديد صادقت عليه الكنيست بأغلبية 67 صوتاً ساعد في إحياء مفاوضات الوحدة وهذا القانون الذي سمي بقانون الحكم لعام 2014 الذي قدمه أفيغدور ليبرمان زعيم حزب يسرائيل بيتنا اليميني وقد شغل آنذاك منصب وزير الخارجية رفع الحد الأدنى من الأصوات اللازمة للحصول على مقاعد برلمانية من 2 في المائة إلى 3.25 في المائة وهذا يساوي تقريباً أربعة مقاعد برلمانية. الغاية من القانون المعلن هي تقليل الهشاشة السياسية وزيادة الحوكمة. ينوه زيدان أن بالنسبة لساسة مثل ليبرمان فإن الهدف من وراء هذا القانون يتمثل أيضاً في تقليص حجم التمثيل الفلسطيني في الكنيست. الواقع هو أن القانون المذكور الذي دفع به الائتلاف إلى الأمام كإصلاح يهدف إلى إيجاد سلطة تنفيذية وتشريعية قوية قادرة على تمرير القوانين. واضح من أن الغاية منه هو أن رفع نسبة الحسم

ستكون لها تداعيات بعيدة على المشاركة الفلسطينية السياسية الحزبية لأنه سيصعب عليهم جداً اجتياز نسبة الحسم. وبناء على ذلك تعرض القانون للانتقاد الشديد من قبل الأحزاب الفلسطينية الأربعة التي تشكل القائمة المشتركة حيث وصفه أحمد الطيبي رئيس تحالف رعام–رئعال بأنه غير ديمقراطي ومبادرة يمينية متطرفة تستهدف الأحزاب الفلسطينية والأقليات الأخرى. هذا التوحيد التي تعزز بفعل شيئين وهما تفضيل الناخب له وتراجع نسبة الإقبال على التصويت بدأ ينظر إليه كآلية للبقاء بالنسبة للأحزاب الفلسطينية. فبعد شهرين من المفاوضات اتخذ القرار في يناير كانون ثاني من عام 2015 بتشكيل قائمة مرشحين واحدة لتجنب الخلافات وهي القائمة المشتركة واتفق أيضاً على أن لا يكون الدمج الجديد على أساس الحزب بل على أساس قائمة مرشحين فقط الأمر الذي يسمح لكل عضو بالبقاء وبتعزيز أجندة خاصة به.

نتائج ونسبة التصويت في انتخابات الكنيست 2015

شكل رقم 2

الكتلة الحزبية	عدد الأصوات الصحيحة	نسبة الأصوات الصحيحة	عدد المقاعد في الكنيست
كتلة اليمين			
الليكود	985.408	%23.4	30
البيت اليهودي	283.910	%6.7	8
إسرائيل بيتنا	214.906	%5.1	6
كتلة الوسط			
يش عتيد	371.602	%8.8	11
كولانو	315.360	%7.5	10
كتلة الصهيونية الوسط			
الاتحاد الصهيوني	786.313	%18.7	24
ميرتس	165.529	%3.9	5
الكتلة العربية			
القائمة المشتركة	446.583	%10.6	13
الكتلة اليمينية المتشددة			
شاس	241.613	%5.7	7

يهود هتوراه الموحدة	210.143	%5.0	6
إجمالي الاقبال على التصويت	4.254.738	%72.3	120

تفكك الأحزاب الفلسطينية في القائمة المشتركة

شكل رقم 3

اسم الحزب	إيجندات ومحددات أخرى	الرئيس
الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة تأسست عام 1977	أ-جناح يساري وتعاون يهودي فلسطيني. ب- إيجندا اشتراكية ج- مع حل الدولتين- دولتين لشعبين. د- اندماج تام للفلسطينيين في إسرائيل والمساواة بين كل مواطني الدولة.	أيمن عودة
القائمة العربية المشتركة تأسست عام 1996	أ- حزب إسلامي ديني. ب- إلتحقت بالفرع الجنوبي للحركة الإسلامية في أراضي عام 48 التي انشقت عن الفرع الشمالي (الذي يقاطع الانتخابات الإسرائيلية). ج-مع حل الدولتين. د- الدعوة إلى الاندماج الجزئي للفلسطينيين في إسرائيل مع إدارة ذاتية.	منصور عباس
الحركة العربية للتغيير تأسست عام 1996	أ-حزب علماني ب- الدعوة في المساواة المدنية. ج- مع حل الدولتين	أحمد الطيبي

يؤكد أعضاء القائمة المشتركة بزعامة أيمن عودة على أن القاسم الوطني المشتركة أقوى من الانتماء الديني أو السياسي وقد كانت هناك فجوة شاسعة بين الإسلاميين في رعام–نعال والشوعيين في حداش. سياسة العقيدة التي أبداها الوسط العربي إبان انتخابات 2015 انسجمت مع التوقعات

العالية لأعضاء الكنيست الجدد. ظلت الجهود التي بذلت إبان الحملة الانتخابية التي تركزت على تفعيل خطة مدتها عشر سنوات لردم الهوة بين الفلسطينيين في إسرائيل واليهود موضع اهتمام النواب الفلسطينيين داخل أروقة الكنيست. ففي ديسمبر 2015 أدى التعاون بين قيادة القائمة المشتركة ونتنياهو إلى المصادقة على خطة تنمية خمسية لزيادة ميزانية الوسط الفلسطيني في إسرائيل. بموجب هذه الخطة التي نسبها عودة إلى الجهود التي لم تنقطع والضغط الذي مارسه أعضاء الكنيست الفلسطينيين تم تخصيص مبالغ لم يسبق لها مثيل (15 مليار شيكل أي 4.2 مليار دولار) للسنوات الممتدة من عام 2016 حتى 2020 بهدف تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمواطنين الفلسطينيين في إسرائيل. هناك أيضاً دراسة أعدت عام 2019 وجدت أن نحو ربع الاقتراحات المقدمة من جانب الأعضاء القائمة المشتركة في الكنيست تركزت حول قضايا تتعلق بناخبيهم مثل العلاقات الفلسطينية– اليهودية والمساواة في الأجور وتحسين أداء النظام الديمقراطي في إسرائيل فضلاً عن مقياس العمل البرلماني لعام 2018 الصادر عن معهد الديمقراطية الإسرائيلي وجد أن القائمة المشتركة جاءت في المكان الخامس من بين عشرة أحزاب من حيث الأداء الكلي في الكنيست عندما يتعلق الأمر باستخدام الأدوات البرلمانية المتاحة مثل المداخلات والخطابات. ولكن من حيث عدد مشاريع الاقتراحات الموافق عليها والمشاركة في جلسات الكنيست بكامل هيئتها تصنف القائمة المشتركة في مستوى متدني وبهذا تكون قد فشلت في الوصول إلى الجودة التي يعتبرها أغلب الفلسطينيين الأهم على الإطلاق وهي إنجاز الأمور.

لاشك أن الجمهور الفلسطيني على دراية تامة بالفوارق في التأثير لدى أعضاء الكنيست العرب. ففي مسح أجرته مؤسسة كونراد أدناور وجد أنه 42 في المائة من الجمهور العربي يعطي تقييماً سلبياً لأداء أعضاء الكنيست

الفلسطينيين كما أن 24 في المائة يعتبرون أن أداء هؤلاء سيء للغاية. لم يساعد حل القائمة المشتركة بداية العام 2019 في تعزيز هذا الإدراك حيث وجد المسح أن 64 في المائة من هؤلاء المستطلعين لا يعتقدون أن حل الائتلاف السياسي على شكل قائمة مشتركة سيؤثر على التأثير السياسي كون عبارة تأثير سياسي لم تذكر على الإطلاق. يرى هؤلاء الذين استطلعت آراءهم أن حل القائمة المشتركة يشكل إشارة أخرى على الانقسام والافتقار إلى التنسيق والتأثير. في الوقت الذي ربما يكون فيه الاهتمام بالتنسيق السياسي ولد من جديد بعد نفخ الصور في القائمة المشتركة فإن التكرار المتخيل في الأذهان لانتخابات 2015 قد يكون أمنية مختزلة كما أشير سابقاً. التناحرات السياسية الداخلية حول تخصيص القوائم المتدنية في يوليو تموز 2019 أحيت هي الأخرى الانتقاءات الموجهة نحو التزامات القادة بمصالح الشعب وتذكر سلباً بالتناحر الذي حصل بالنسبة لقضية تناوب الأعضاء في القائمة الأمر الذي سبب شعور عميق بعدم الراحة لعام كامل تقريباً. استعادة ثقة الجمهور الفلسطيني في ظل غياب أي تفاصيل مهمة في خطط القائمة المشتركة لمرحلة ما بعد الانتخابات سيستغرق وقتاً طويلاً ومع ذلك لا تحمل الأحزاب الفلسطينية ولا الناخب الفلسطيني المفتاح الوحيد للاصلاح والتأثير السياسي. فالاجراءات القانونية التمييزية التي تستهدف الشريحة الفلسطينية في إسرائيل تقضم الحق في المشاركة السياسية وتقلص القدرة على استعمال الأدوات الديمقراطية التي تعزز المجتمع المتساوي والعادل. في الوقت نفسه فإن استخدام اللغة التمييزية البغيضة من أجل مكاسب سياسية يعزز بدوره الكلمة المجازية النفسية المستخدمة منذ أمد بعيد وهي (الاخر). لاشك أن استخدام رئيس الوزراء نتنياهو المستمر لرواية سلبية لا أصل لها ضد الأحزاب وأعضاء الكنيست الفلسطينيين كما شوهد خلال السباق نحو انتخابات سبتمبر 2019 يزيد من تلوث الاتهامات الباطلة ويوفر

أرضية خصبة للتمييز الاجتماعي على أعلى المستويات. مواجهة الانقسام السياسي المستمر لا يتطلب فقط إصلاحات تأسيسية بل يتطلب بنفس القدر إعادة تقييم عملية اجتماعية شاملة.